ديناميكية التربية
فى المجتمعات
(رؤية عصرية مقارنة)

دكتور
عرفات عبد العزيز سليمان
أستاذ التربية المقارنة وادارة التعليم
بجامعة الزقازيق
وكيل كلية التربية ببنها

١٩٩١

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

رقم الايداع بدار الكتب ٩٤٤٧ / ١٩٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« ... وعلمك ما لم تكن تعلم

وكان فضل الله عليك عظيما »

الاهـــــداء

الى أســـاتذتى ...

أولئـك الذين علمـونى

وتعلمت منهم

الى زملائى ، وزميلاتى ...

هـؤلاء الذين يعلمـون ...

ومنهم ، تتعلم الأجيال

تحيــة وفاء ، وتحية تقــدير

أ. د. عرفات عبد العزيز سليمان

فهرست

فهرس الكتاب

الموضـــوع	الصفحة

الفصـــل الأول

التربية وحياة البشر

الفصـــل الثانى

الموضـــوع	الصفحة

الفصل الثالث

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الفصـــل الخامس

فلسفة التربية وتطبيقاتها

مقـــدمة

نحظى موضوعات التربية فى عصرنا الحاضر ، باهتمام كثير من المفكرين ، والكتاب ، والمشتغلين بالتعليم ·

ذلك ، أن التربية تعبير عن حركة المجتمعات ؛ بها تنمو ، وترتقى ، وعظ طريقها ، تتقدم الأمم ، وبوسائلها تعد القوى البشرية ، وتستثمر طاقات الانسان ·

والتربية ـ بما تتصف به من شمول ، واستمرار ، وفاعلية فى حياة المجتمع ـ تلقى على المتخصصين فيهـا ، مسئولية متابعة أنماطها ، ورصد حركتها ، من خلال رؤية واضـحة لممارسات الشعوب ·

وموضوع هذا الكتاب ، يدور حول ديناميكية التربية ، من حيث المنظور العام لحياة البشر ، مع ابراز العوامل ، والقوى الثقافية التى توجهها ، وتقف خلف أدوارها الاجتماعية ·

ولما كانت الديناميكية من المصطلحات ، ذات الصـــفة العلمية التطبيقية ، فان تناولنا لهذا الموضوع ، تعبير عن الطاقة المحركة لايجابية الجهود المبذولة من أجل بناء الانسان ومدى توافقها مع متطلبات المجتمع الذى يعيش فيه ·

وقد اشتملت فصول الكتاب على نمــاذج من أوضــاع التربية فى بعض دول عالمنا المعاصر ، متضمنة الفلســفات التربوية التى تنتهجها هذه الدول ، مع القاء الضوء عـلى ركائز قيامها ، والغاية من تطبيقها ، ومراميها ·

وفى معالجتنا للموضـوعات التى تنـاولناها ، حاولنا استخدام الأسلوب التحليلى ، المقـارن ، كلما أمكن ، وذلك لابراز نواحى التشابه ، والاختلاف بين مضـامين ثقافات الدول ، وفلسفات التربية فيها ، ومــدى امكانية التفـاعل بينها ، فى عالم سريع التغير ·

وانني اذ أقدم للمكتبة العربية ، هذا الجهد المتواضع ، أرجو أن أكون قد وفقت فيما قصدت اليه ، وأن تتحقق الغاية المرجوة منه ••

المؤلف

الفصـــل الأول

التربيــــــة

وحياة البشر

التربية والطبيعة الانسانية

عرف الانسان التربية منذ أن وجد فى دنياه ، وان اختلفت أساليب معرفته ، وتنوعت طرائقها على مر العصور ، وعبر الأجيال •

لقد عرفها ـ بأبسط صورها ـ فى المجتمعات الأولى التى عاشها ؛ بين الكهوف والمغارات ، وعلى سفوح الجبال ، وبين الأدغال والغابات ، وفى الوديان والسهول ، وفى المراعى والروابى ، وعلى شواطىء البحار ، ووسط الجزر ••• الخ •

وهو ـ فى هذا ـ كان دائم الصراع بينه وبين تحديات الطبيعة التى حوله ، حتى يتمكن من الحياة ، والاستمرار فيها •

وكانت تربية الانسان ـ حينذاك ـ تربية مباشرة ؛ يمارسها الفتى مع أبيه ـ عن طريق التقليد والمحاكاة ـ وتمارسها الفتاة مع أمها ـ عن طريق ادارة المنزل ، والقيام بالأعمال التى تتطلبها الحياة اليومية •

وعندما وجد الانسان فى بيئة قليلة المحتوى ، بسيطة التكوين ، ارتبط بمن يعيش معهم ، وتوافق مع أسباب حياتهم ؛ فكانت العلاقات الاجتماعية بسيطة وغير معقدة ، ومن ثم ، اتخذ من أسلوب التعامل ، سياسة ينتهجها فى حياته ، يتعامل بموجبها مع مواطنيه ومع غيرهم ممن يعيشون مجاورين له ، أو بعيدين عنه •

فاذا ما وطئت قدماه شواطىء الأنهار ، شرع يستوطن

ضفافها ، ـ بعد طوال ترحاله وتجواله ـ يستنبت تربتها ، ويستزرع أرضها ، ومن ثم ، ارتبط بهـا ، يحدوه الأمل فى رؤية ما صنعت يداه ، وما قدم من جهد ، حتى اذا أخضرت ، وربت ، وأنبتت ـ باذن ربها ـ من كل زوج بهيج ، أكل ممـا أنتجته ، ورعى دوابه وأنعـامه ، وادخر ما تبقى من يومه لغده ، وسعد بالانتماء اليها ، وحرص على البقاء فيهـا ، والدفاع عنها ٠

ثم توالت الأيام ، وتكاثر الناس ، وتعددت احتياجاتهم ، وتنوعت متطلبات حياتهم العامة ، والخاصـة ، وشرعوا يبنون الدور ، ويشيدون القصور ، ويقيمون الحضـارات ، بما اهتدوا اليه من علم ، وفكر ، وفن ؛ يعلمونه لأبنـائهم ، وهؤلاء ، يضيفون اليه ، ويبتكرون فيه ، ثم هو يتطور جيلا بعد جيل ؛ فأساليب الحياة تتطور، ونظمها تتباين، وفى هذه الحياة ، ومن تلك النظم والطرائق لحياة النـاس ، تتكون شخصية الفرد ، وتتلون اتجاهاته ، وتتشكل قيمه ، ومثله ، ٠٠٠ وكل ذلك ، من ركائز تربيته ٠

ولما كان الانسان ، هو الكائن الحى ، النامى ، المتجدد ، المتطور ، فهو بالتـالى ، دائم التغيير فيما يعيش حوله ، مستهدفا النفع الأكبر لحياة أفضل ، سواء فى طعـامه ، وشرابه ، أو مسكنه ، وملبسه ، أو فى فكره ، وعمله ، أو فى مقتنياته ، وتراثه ، ٠٠٠ وتلك ، هى حركة التربيـة فى مجتمعات البشر ٠

حول مفهوم التربية :

التربية من الكلمات ذات المعانى المتعـددة ، لا سيما فى العرف التربوى والمصطلحات التربوية ٠

وهى ، وان تعددت مفاهيمها ،فلكل منها ، معنى ذو دلالة فى مجاله ، ثم هى فى النهاية ، كل متكامل ٠

ونحاول - فى السطور التالية - القاء الضوء على بعض هذه المفاهيم ٠

التربية عملية نمو :

ذلك ، أن الانسان ، عندما يوجد فى هذا العالم - وهو بعد طفل صغير - مزودا بكافة أعضائه ، وحواســـه التى يتميز بها ككائن بشرى ، لا يستطيع القيام بممارسة كثير من الأمور بمفرده فى هذه الفترة من حيــاته ؛ فهو ضعيف فى جسمه ، لا يستطيع المشى ، ولا القبض على الأشياء أو نقلها، أو تغيير شكلها ، فهــو عاجز عن التمييز بين المرئيـــات والمسموعات ، ولو لفترة من الزمن وهو عاجز من الناحية العقلية ، فلا يعرف شيئا ، ولا يجيد التفكير فى شىء ، وهو عاجز من الناحية الخلقية ، فهو لا يفرق بين الخير والشر ٠ ولا بين الفضيلة والرذيلة ، وهو قاصر فى عاطفته ، فلا يحب ولا يكره ، وهو كذلك فى الناحية الروحية ، فلا يفرق بين الجمال ، والقبح ، ولا بين الحق ، والباطل ٠

وبمضى الزمن ، يصبح هذا الطفل ، مواطنا ، له مكانته فى المجتمع ؛ فهو قوى الجسم ، يستطيع أن يحمل الأشـياء بيديه ، ويستطيع القيام بما يرغبه من أعمال ، ويصبح ناضج الفكر ، فهو يعرف قدرا من المعلومات المتصلة بالحيـــاة ، والمستمدة من العلوم المعروفة ، وهو يستطيع أن يفكر فى مشكلاته ، وفى مشكلات الجماعة التى يعيش بينها ،ويشارك فى حلها ، ويصبح - وقد تكونت أخــلاقه - قادرا على أن يميز بين الفضـائل وبين الرذائل ، وتتكون عواطفه ، فهو

يحب ، ويكره ، ويرضى ، ويغضب ، وتنمو روحه فاذا هو يفرق بين الجميل ، والقبيح ، وبين الخير ، والشر ، وبين الحق ، والباطل ٠

ونتيجة لهذا التغيير ، يصبح (ذلك الطفل الصغير) مواطنا يقوم بدوره فى الجماعة ؛ فهو يعمل فى مهنة ، أو صاحب حرفة ، ينتج عن طريقها لنفسه ، وللجماعة ، وهو مواطن له حقوقه ، وعليه واجباته ، ثم هو ، يكون أسرة ، يعولها ، ويشترك ــ عن طريقها ــ فى بناء أمته ووطنه ٠

فالفرق بين الفرد فى الحالتين ــ بينه وهو طفل عاجز وبينه وهو مواطن راشد ، يرجع الى ما اكتسبه أثناء حياته فى الجماعة من النضج ، الذى أكسبه ــ بدوره ــ القوة المادية فى جسمه ، والقوة الفكرية فى عقله ، والقوة المعنوية فى عواطفه ، وأخلاقه ؛ فهو فى سياق حياته ، قد تعلم أشياء كثيرة ، وتكونت لديه عادات ، واكتسب كثيرا من المهارات ، وتعلم كيف يميز بين الأشياء ، والأفكار ، ثم هو قد كون لنفسه عددا من المثل العليا التى توجه تصرفاته فى الحياة ، وتوفر له قدر من الارادة ، يجعله يناضل فى الحياة العملية فينتج ٠

وهذه العملية ، التى اتفقت له فى حياته، فأكسبته كل هذه المزايا ، التى ارتفعت به من طفل ضعيف، لا يقدر على شىء ، الى مواطن ذى مكانة فى المجتمع ، هى ما نطلق عليه ، اسم « التربية » ٠

فالوالدان يتعهدان طفلهما ــ منذ ولادته ــ بالتربية ، فاذا بلغ سن التعليم ، أسلماه الى مدرسة تعلمه ، وتسهم معهما فى تربيته ، وهو ما بين أسرته ومدرسته ، يحتك بالناس فى حياته اليومية ، يسمعهم يتحدثون ، ويراهم يعملون ،

ويلاحظهم يتعاملون ، وتنطبع كل هذه الخبرات فى نفسه ، فيكتسبها ، ومن ثم ، فهو ينمو ، ويكبر بواسطتها ، فنراه يتعلم طرق الحياة فى الجماعة ، ويكتسب القـــدرة على ممارستها • وبالتالى ، فانه يمكننا أن نقول ان التربيـــة عملية مساعدة الفرد على أن ينمو ، مع توجيــه هذا النمو وجهة اجتماعية •

التربية عملية اكتساب خبرة :

ذلك أن الفرد يتعرض للعــــديد من الخبرات من واقع احتكاكه مع الجماعة ، وفى البيئة التى يعيش فيهـــا ، فاذا ما تمرس هذه الخبرات ، وأحدثت تغييرا فى ســــلوكه ، وتفكيره ، وقدراته، وكذلك فى عاداته، وميوله ، واتجاهاته، بحيث يتوافق هذا كله مع متطلبات الحياة فى الجمــاعة ، ومستلزمات نجاحها ، وتقدمها، فهناك خبرات جسمية متعلقة بصحة الفرد ، ونمو بدنه ، وقوته ، وقدرته على المحـــافظة على سلامة جسمه ، وسلامة غيره ،

وهناك خبرات معرفية متعلقة بمـــا يتعلمه الفـــرد من المعلومات والمعرفة ، وما يتعوده من عادات التفكير المنطقى المنظم •

وهناك خبرات خلقية متعلقة بمـــا يتكون لدى الفرد من عادات وطباع فى معاملته مع الآخرين •

وهناك خبرات عاطفية متعلقة بمـــا يحب وما يكره من الأشياء ، والأفكار ، والاشخاص ، تبعا لما اتفقت عليــــه الجماعة من معايير •

وهناك خبرات تذوقية متعلقـــة بقدرته على التمييز بين

ما هو جميـل ، وما هو قبيح ، وما هو خير ، وما هو شر ، وما هو حق ، وما هو باطل ... الخ .

والواقع أن خبرات الحياة ، لا تنتهى ، فهى أكثر ممـا يستطيع أن يتعلمه الانسـان فى حياته ، ثم ان خبـرات الحياة متغيرة ، متجددة ، وذلك ، تبعا لرقى الشـعوب ، ودرجة تحضر الأمم ومدنيتها .

وهنا ، نرى أن نلمح - فى ايجاز - الى مفهوم الخبرة ؛

فالخبرة - بوجه عام - هى أثر التفاعل بين الفرد وبيئته .

والخبرة مستمرة ، لأنها تظل طوال الوقت ما دام الفرد حيا ؛ فلا يمكن وقفها ما دام حيا .

والخبرة ، فيها تبادل بين الفرد ، وبيئته ؛ فهو يؤثر فى البيئة ، والبيئة تؤثر فيه .

والخبرة ، من حيث بدايتها ، ونهايتها ، ونتائجها ، غير ثابتة ، وكذلك ، اتجاهاتها .

والخبرة التربوية - فى واقعها - تتسم بسمتين بارزتين، متلازمتين ، هما :

(أ) الاستمرار .

(ب) التفاعل .

فالاستمرار ، يعنى وجود الخبرة ، وملازمتهـا لسلوك الانسان طوال حياته ، والتفاعل، يعنى وجود ايجابية الفرد، وتوافقه بين ما يدور حوله من ظروف ، وما يعتمل فى نفسه

من عوامل داخلية · فمبدأ الاستمرار ، ومبدأ التفاعل ، لا يفترق كل منهما عن الآخر ، بل انهما يلتقيان ، ويتحدان ، حتى ليمكننا القول بأنهما الجانب الطولى، والجانب العرضى للخبرة ؛ فالمواقف المختلفة يتبع بعضها بعضا ، ولكن شيئا ينحدر من الخبرات السابقة الى التى تليها بسبب مبدأ الاستمرار · وكلما مر الفرد من موقف الى آخر ، فان عالمه (أى بيئته) يتسع أو يضيق ، وهو لا يجد نفسه يعيش فى عالم آخر ، بل يعيش فى جزء أو جانب آخر من نفس العالم ، ويصبح ما تعلمه من ضروب المعرفة ، والمهارة فى موقف من المواقف أداة لفهم المواقف التالية ، وعلاجها علاجا فعالا ، منتجا ، وتبقى هذه العملية قائمة ما بقيت الحياة ، وما دام التعلم ، والا ، فمجال الخبرة لا يكون منتظما ، لأن العامل الفردى ، الذى يدخل فى تكوين الخبرة ، قد انقسم ، وتفكك، فى حين أن الاستمرار ، والتفاعل فى حالة اتحادهما الايجابى ، الفعال يكونان مقياسا لمغزى الخبرة ، وقيمتها التربوية ·

على أنه لكى يتم احداث الخبرة ، احداثا متكاملا ، لا بد وأن تتوافر لها جملة شروط ، من أهمها :

١ - أن تبدأ الخبرة ، وتستمر فى نموها ، من حاجات يشعر بها الفرد ، شعورا حقيقيا ، بحيث يمكن اكتسابها بنجاح ·

٢ - أن تتكامل أجزاء الخبرة ، ويتفاعل بعضها مع البعض الآخر ، وذلك فى صالح الفرد ، مع مراعاة تغير الظروف وما يتبعها من تعديل الخبرة ·

٣ - أن تتسم الخبرة ببعض الخصائص التى تميزها ككل،

وليست كمجموعة أجزاء ؛ فكل خبرة لهـــا مجموعة صفات توحدها ، وتميزها ٠

٤ - أن تساعد الخبرة الفرد على ربط القـــديم بالجديد والسابق باللاحق من مفاهيمه ومدركاته ، مع تهيئته لاضافة ما هو جديد ، بصفة مستمرة ٠

٥ - أن تقلل الخبرة - كلما أمكن - من تعـارض حاجات الفرد واتجاهاته ، بعضها مع البعض الآخر ، وذلك بأن تعمل الخبرات على مساعدة الفرد على اشـباع حاجاته ٠

٦ - أن تنتهى الخبرة بارتيــــاح لدى الفرد ، الأمر الذى يمنحه ثقة فى قدرته على معالجة المواقف ، والوصول الى نتائج مرضية ٠

٧ - أن تمتزج الخبرة النظرية (كالدراســـة النظرية) بالخبرة العملية أو الممارسة الفعلية ، اذ أن الدراسة النظرية لا يكون لها معنى بالنسبة للفرد ،الا فى ضوء خبراته السابقة ، فاذا انعزلت الدراسة النظرية عن الخبرة العملية ، ولم تقم على أســـاسها ، فقد تعذر فهمها ، وأصبحت مجرد صيغ لفظية ٠

تلك ، هى مقومات الخبرة المباشرة ، والمربيـــة فى نفس الوقت ، فاذا افتقدتها ، كانت خبرة غير مباشرة ٠

بالاضافة الى ذلك ، فليست كل الخبرات ، خبرات مربية؛ فقد يتعلم الطفل - نتيجة للعوامل التى يخضع لها - الكذب أو الغش ، أو السرقة ، فهو قد تغير فى ســـلوكه ، وتعلم أشياء ، ولكنها أشياء غير مرغوب فيها ، وبالتـــالى ، فان خبراته هذه ، تؤدى الى تربية خاطئة ٠

ومن هنا ، كان من متطلبات التربية السليمة ، أن يكون التغيير الذى تحدثه فى الفرد ـ نتيجة لاكتسابه الخبرات ـ تغييرا صالحا ، مفيدا ، تقبله الجماعة التى يعيش فيها ٠

التربية عملية اعداد للحياة :

اذا كانت التربية عملية توفير الفرص الملائمة لنمو الفرد نموا متكاملا ، فى جميع نواحى شخصيته ؛ الجسمية ، والعقلية ، والوجدانية ، والعاطفية ، والاجتماعية ٠٠٠ حتى يستطيع ممارسة أنماط سلوكية مختلفة ،

فانها ـ بالتالى ـ عملية تشكيل ، واعداد أفراد انسانيين في مجتمع معين ، باعتبارها الوسيلة الأساسية التى تنقل الآدمى من مجرد فرد الى انسان، يشعر بالانتماء الى مجتمع له قيمه ، واتجاهاته ، وآماله ، ومصالحه ، وله أيضا قضاياه وآلامه ٠

بل ان التربية ، هى وسيلة المجتمع الى أن يترجم نفسه فى سلوك الأفراد ، وهذا المجتمع ، متعدد العلاقات، والأبعاد ، ولكنها متسقة ، ومترابطة ، ويؤثر كل منها فى الآخر ٠

أى أن عملية التربية ، عملية تفاعل مستمر بين الكائن الحى النامى (الفرد / الانسان) ، وبين البيئة الاجتماعية التى يعيش فيها ، أو المجتمع الذى يعيش فيه ، بثقافته ، وأفراده ٠

وبالتالى ، فان التربية عملية خلق اجتماعى ، وتجديد ثقافى بما تحدثه من تجديد ، وتغير فى شخصيات الأفراد ، وفى العلاقات التى ينظمونها ، ويعيشون بواسطتها ، ذلك أن المعنى الأصيل لكلمة « تربية » هو أنها عملية استخراج

امكانيات الفرد فى اطاره الاجتماعى ، وتكوين اتجاهاته ، وتوجيه نموه ، وتنمية وعيه بالأهداف التى يسعى اليهـــا ، والتى تعمل الجماعة ـ التى هو عضو فيها ـ على تحقيقها ٠

ومن ثم ، فان التربية ، لا تقتصر على المدرسة ، أو المعهد التعليمى ، ولا تقتصر على فترة معينة ، أو مرحلة معينة من مراحل نمو الانسان ، بل انها وظيفة المؤسسات الاجتماعية التى توجد فى المجتمع أيضا ؛ والتى ينبغى أن تعمل معهـا المدارس أو المعـــاهد التعليميـــة على اختلاف مراحلها ، ونوعياتها ، متضامنة فى تكوين شخصية الانسان ٠

وفى ضوء ذلك ، تعتبر التربية عملية توجيه واع لطاقات الفرد ، ونموه ؛ فهى لا تقوم على مجرد تعلم عرضى ، أو تعلم من كتاب ، وانما تحدث فى مواقف الحياة الحقيقية ، وتعمل على تهذيب أسلوب الفرد فى مواجهته لهذه المواقف ، بالمزج بين محتواها ، وأساليبها ، ومحتوى الحيـــاة ، ووسائلها ، وتشترك فى هذا ، المدرســـــة ، وغيرها من المؤسســـات الاجتماعية بصفة دائمة ، ومستمرة ، ودائبة الحركة ، مما يضفى على عملية التربية ، صفة الدينـــاميكية المتطورة ، وليست الاستاتيكية الراكدة ٠

والتربية ـ بهذا المعنى ـ تبنى على ما يكتسبه الفرد فى الحياة ؛ من خبرات ، ومهارات ، ومفاهيم متعــددة ، تعدل من سلوكه ، وتساعده على التقدم ، والمضى فى مجتمعــه ، وهى ـبهذاـ عملية سلوك ، فضلا عن أنها عملية اجتماعية، تهدف الى تنمية الفرد ، وتوجيه دوافعه توجيها صــالحا ، يؤدى به الى نمو القــدرات ، وكسب المهـــارات اللازمة للمشاركة فى الحياة بنجاح ٠

بالاضافة الى ذلك ، فان التربية ، ليست علما بحتـــا ،

مستقلا عن غيره من العلوم، بل انها ميدان تطبيقى ،متداخل التفاعلات ، متشابك العلاقات ، يهدف الى اعداد الفرد للحياة ، وبما لهذه الحياة من معان مختلفة ؛ فهى تعده لمواجهة الطبيعة ، وهى تعده لذلك ، بالمعنى الصحى ، وبالمعنى الاقتصادى ؛ اذ أن عليها أن تهيئه لمهنة يكسب رزقه منها ،

وهى تعده للحياة بالمعنى الثقافى ، وبالمعنى العقائدى ، الدينى ، وغير الدينى ، وبالمعنى الاجتماعى ؛ اذ أن عليه أن يتعلم كيف يعايش أبناء وطنه ، وأفراد مجتمعه ، وكذلك المجتمعات الأخرى ولذلك ، فان التربية ، تزود الأجيال الناشئة بخبرات المجتمع ؛ السابقة منها ، والمستحدثة ، وبالطرائق التى ابتدعها المجتمع لمواجهة الحياة ، وقضاء الحاجات ، والتعامل بين الناس ، الى جانب ممارسة العبادة ، والمحافظة على الصحة ٠٠٠ وهكذا ٠

التربية عملية تطبيع اجتماعى :

لعله من المسلمات ، أن تكون التربية أداة المجتمع فى المحافظة على مقوماته الأساسية ، وفى تكوين ، وتشكيل مواطنيه ، وفى الكشف عن طاقاته ، وموارده ، وفى استثمارها ،وتعبئتها، على أن العنصر البشرى، هو الدعامة الرئيسية التى تعتمد عليها التربية فى احداثها ، وتفاعلها ؛

ذلك ، أن التربية لا تحدث فى فراغ ، ولكنها تحدث فى وسط اجتماعى متكامل العناصر ، وهى تتأثر تأثرا كبيرا بنوع هذا الوسط الذى تتم فيه من حيث مكوناته المادية ، والبشرية ، والثقافية ، بصفة عامة ، كما تؤثر البيئة الاجتماعية على عملية التربية ، ومن ثم ، فهى تخلق من الفرد ، الشخص الذى يعرف بصفاته ، وخلقه ، واتجاهاته، ومثله ، اذ أن الكائن البشرى ، يختلف عن سائر الكائنات الحية الأخرى ؛ فهو لا يملك عند مولده قوة فطرية ، غريزية، وقدرة فيزيقية خاصة بالكفاية والضبط الاجتماعيين، ولهذا، لا بد له من الاعتماد على الآخرين عددا من السنين ، أثناء نموه ، ليكتسب ـ بفضل رعاية هؤلاء له وخاصة الكبار منهم ـ من الوسائل الاجتماعية ، والنضج الجسمانى ، والثقافى ، ما يعينه على رعاية نفسه ، والتفاعل مع غيره من الناس ،

وبفضل هذه الرعاية الوالدية، وهذه التنشئة الاجتماعية التى نسميها بالتربية ، يحقق الفرد (الطفل) الكفاية ، والقدرة اللازمتين لوجوده ، وبقائه الاجتماعى ۰

وبالتالى ، فان أساليب الحياة ، وأنماط التفكير التى تتكون ، وتستقر بين الأفراد ، لا تنتقل انتقالا وراثيا (بيولوجيا) كما تنتقل بعض الصفات الجسمانية كطول

القامة ، أو قصرها ، أو لون العينين ، والشعر ، والبشرة ، ولكنها تكتسب عن طريق التعلم ، والمشـــاركة فى الخبرة الاجتماعية ·

ومن الأمثلة التى تتناقلها كتب التربيـــــة ، والاجتماع ، وتؤكد ضرورة وجود وسط اجتماعى لاتمام عملية التربية ، باعتبارها عملية تنشئة اجتماعية ، وعملية تطبيع اجتماعى، قصة تلك الفتاة ، التى وجدت صغيرة فى احدى الغـابات ، وظلت بها حتى سن الســــابعة أو أكثر قليلا حيث تطبعت بطبيعة البيئة التى وجدت فيها ، وهى بيئة تخلو من المكونات الاجتماعية ، التى ينبغى أن تمارس فيها عملية التربية ،فهى بدلا من أن تأكل بيديها ، تقضم بفمها ، أو تلعق بلســانها ، وهى بدلا من أن تتكلم ، تزوم ، وتهمهم ، وتصيح ،

وهى بدلا من أن تمشى على رجليها ، تزحف ، وتمشى على أربع ··· الى غير ذلك من العمليات ذات الطابع الحيوانى، والممثلة للبيئة التى تعيش فيها ·

فالتنمية الاجتماعية ، عملية تعليم ، وتعلم ، وتربيـــة ، وهى تقوم على التفاعل الاجتماعى ، وتهـــدف الى اكساب الفرد أو الكائن البشرى ، (طفلا ، أو فتى ، أو مراهقا ، أو راشدا ، أو شابا ، أو كهلا ، أو شيخا) سلوكا ، ومعايير ، واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية ، معينـــة ، تمكنه من مسايرة جماعته ، والتوافق الاجتماعى معهـــا ، وتكسبه الطابع الاجتمـــاعى ، وتيسر له الاندماج فى الحيـــاة الاجتماعية ·

ومهما كانت بساطة الحياة فى أية جماعة انسانية ــ من حيث أنظمتها ، وأساليب معيشتها ، وأدواتها ، وقيمهـــا ،

ومعاييرها الخلقية ، وكذلك ، من حيث محصولها اللغوى ، وتقدمها العلمى - فان المرادفات السلوكية لهذا كله ، لا تنشأ مع الأفراد بمجرد ولادتهم ، أو وجودهم فى الحياة ، وانما تنمو فيهم عن طريق الممارسة ، والتلقين ، والمشاركة فى أنواع النشاط ، التى تميز أفراد الجماعة ، التى ينتمون اليها ، أى عن طريق التربية ٠ اذ لكى تتم التربية ، لا بد من وجود بشر ؛ لهم من الصفات ، والعادات ، والتقاليد ما يمكنهم من التفاعل فى المجتمع ، ولكى تتم التربية ، لا بد من وجود حياة ، وحركة ، وتفاعل ، واحتكاك بين الأفراد بعضهم البعض ، نتيجة وجودهم فى مواقف اجتماعية مختلفة ، يسلكون فيها انماطا متنوعة من السلوك ٠

ولكى تتم التربية ، لا بد من وجود حاجات لدى الأفراد ، ينبغى أن تشبع ، وقدرات ، ينبغى أن تستغل ، وطاقات ، ينبغى أن توجه ٠

ولكى تتم التربية ، لابد من وجود المكونات المادية للثقافة ، والتى تعبر عن طبيعة المجتمع ،

ولكى تتم التربية ، لابد من وجود لغة، يتعامل بها الناس، ويتخذونها وسيلة لانتقال تراثهم الثقافى من السلف الى الخلف ٠

وفى ضوء ما سبق ، نستطيع أن نقول ان التربية ، ضرورة حيوية للمجتمع الانسانى ، ولاستمرار ثقافته ، وانه لاحداث عملية التربية ، واتمام تفاعلها ، ينبغى وجود وسط اجتماعى ، يمكنها من القيام بعمليات تكوينية نشطة ،

وأنه كلما ارتقت الجماعة الانسانية فى سلم التطور الثقافى، وعظم نصيبها من العلم ، والتطبيق العلمى ، وتعقدت نظمها، وأساليب المعيشة فيها ، وكذلك ، زاد محصــولـها اللغوى ، كانت مسئوليات التربية لهذه الجماعة ، كبيرة ، ومقتضيات اتمامها ، أكثر وجوبا ، والحاحا ٠

التربية عملية مواطنة :

ذلك أن التربية تتشكل بطابع المجتمع الذى توجد فيـه ؛ فالأفراد يتمرسون عادات ، وتقاليد ، وطرزا معينـــة فى حياتهم ، وبينهم روابط نفسية مشتركة، ولهم لغتهم المشتركة أيضا ، وبينهم تفاعلات اجتماعية، ولهم نظمهم، وتنظيماتهم، وتراثهم الثقافى المشترك ، وكذلك ، لهم مثلهم ، وقيمهم التى يؤمنون بها ، ويعملون على تحقيقها، ومن ثم ، فهم يشعرون بالانتماء الى مجتمعهم ، والفرد ، لا ينتمى الا لمجتمع يشعر فيه بشعور الزمالة بينه ، وبين مواطنيه ، ويحقق بين أفراده حاجاته ، ومطـــالبه عن طريق علاقات تقوم على عادات ، وتقاليد ، ولغة مشتركة ، وتراث ثقافى مشترك ،

ولعل هذا ، يفسر فشل المجتمعات الاســتعمارية - كما حدث فى بعض الدول - فى جذب أفراد المجتمعـــات التى خضعت لها ، ومحاولاتها لتذويب شخصياتهم فى ثقافة غير ثقافتهم التى ألفوها ، وتشبعوا بها ، ومن ثم ، فهم يشعرون بالفجوة التى يتعرضون لها عند محاولة اعادة تربيتهم فى اطار ، يجدون فيه غربة ، وعدم ملاءمة ٠

وهذا ،يعنى أن التربية تهتم باعداد المواطنين فى بيئاتهم، طبقا لما يسودها من نظم ، وأفكار ، ومعتقـــدات ، وعادات اجتماعية ٠٠٠ الخ ٠

وهذا الاعداد ، يختلف من دولة الى أخرى ، ومن شـعب الى آخر ، ومن ثم ، تختلف نوعية المواطنة ؛

فالمواطن المصرى - على سبيل المثال - له من العادات ، والتقاليد ، والأنماط الســـلوكية ، ما يجعله منسجما مع الجماعة ، متقبلا من مواطنيه ، متكيفا مع مجتمعه ٠

والمواطن الأمريكي ، له خصائص مجتمعه ، ولديه القدرة

على ممارسة تقاليده ، وعاداته ، بحيث يبدو طبيعيـــا فى المجتمع الأمريكى ٠

والمواطن الروسى ، لديه من مكونات الحياة فى مجتمعه ، ما يجعله متمرسا لها بنجاح ٠

والمواطن الســـويدى ، له من العادات ، والطبـــاع ، والتقاليد ، ما يرتضيه مجتمعه ، وتقره الجماعة التى يعيش فيها ٠

وهكذا ، لكل مجتمع من المجتمعـــات البشرية ، مكوناته؛ المادية والمعنوية ، وله مقومات الحياة فيه ، وله أيضـــا مواطنوه الذين يتشربون ثقافته ، ويتمرسون ما يتفقون عليه من أساليب حياتهم ، حتى اذا قدر لمواطن أن ينتقل من بلده الى بلد آخر ، فقد لا يستطيع التكيف مع أنماط الحيـــاة فى البلد المنقول اليه ٠

بالاضافة الى ذلك ، قد يبدى من سلوكياته ما يستهجنه أهل هذا البلد ، وينفرون منه ، بينما يراه هو غير ذلك ،

وهنا ، تظهر أهمية التربية فى اعداد الفرد للمواطنـــة ؛ فالمجتمعات الانسانية ، يقوم تمـــاسكها على ما يوجد بين أفرادها من روابط، وأنماط عامة، توجه سلوكهم فى علاقات بعضهم مع بعض ، اذ أن الرابطة بينهم ، رابطة عضوية ، وليست عفوية أو مفتعلة ، ولكنها ، تقـــوم على أســـاس تفاعلهم ، فى ضوء ظروف بيئاتهم ومجتمعاتهم،وما يسودهم من عرف ، وقوانين ، ومعايير اجتمـــاعية ، وما بينهم من معانى الحقوق والواجبات ٠

واذا جاز لنا أن نقول ان التربيـــة ، هى فن صـــناعة المواطنين ، فانه ينبغى - اذن - أن تتوفر امكانيات اتمـــام هذه الصناعة ، وهو ، ما يفعله المجتمع بما لديه من وسائل اعداد القوى البشرية للحياة فيه ٠

التربية عملية هادفة ، وليست عشوائية :

من الأمور التى يكثر حولها الجدل ، والمناقشة : « الغاية من التربية » فبينما يذهب فريق من المربين الى وجوب تحقيق سعادة الفرد وتحقيق نموه ، دون أن تفرض عليه معلومات أو مثل أو مهارات ، لا يرغب هو فيها ، ولا يشعر بقيمتها ، حتى ولو كانت مما تحتاج اليه الجماعة التى يعيش فيها ، وتتطلبه فى أفرادها ، وهذه هى الغاية من التربية ٠

يذهب فريق آخر الى ضرورة اتمام تربية الفرد ، داخل الاطار العام لمجتمعه ، مع عدم فرض معايير المجتمع ،ومثله عليه ، مما يؤثر على توجيه قدراته ، وميوله ، ومن ثم يتحقق الغرض من التربية ٠

وهناك ، فريق ثالث، يرى أن الفرد مصيره الى الجماعة، ولا حياة له بدونها ، وللجماعة خبرات تجعل الفرد أقدر على القيام بدوره فيها ٠

وللجنس البشرى ـ بصفة عامة ـ ولمجتمع الفرد ـ بصفة خاصة ـ مثل عليا ، وقيم ، وطرائق حياة، اختارها لاقتناعه بفائدتها ، وهو لن يقبل فردا فيه ، الا اذا أجادها بعد تفاعل وممارسة ، ومن ثم ، ينبغى أن تقوم القوى المعلمة فى المجتمع (ومنها المدرسة وغيرها) بتوفير الخبرات ، وتنويعها أمام الفرد ، مع توجيهه نحو غايات اجتماعية ، وعندئذ ، يتحقق هدف التربية ٠

ونحن اذا وقفنا على طبيعة التربية ـ فى ضوء هذه الآراء ـ لوجدنا ، أن المعلومات ، والمثل ، والمهارات ، وكذلك العادات والأخلاق ، بل والعواطف ، كلها أمور اجتماعية ، لا تكتسب معنى، ولا قيمة، الا بالتطبيق فى مواقف اجتماعية، تضم الفرد مع غيره من الناس ، ثم ان الفرد ، لا يمكن أن

يحيا بمفرده ، ولا تتحقق شخصيته الا فى وسط جمـــاعة ، وهذه من خصائص الحياة الانســـانية ، ومن ثم ؛ فالفرد ، لا يستطيع أن يتصرف بمفرده ، أو أن يفكر ، أو أن يعمل ، الا اذا قاس هذا كله بأثره فى حياة الناس المحيطين به ٠

فوظيفة التربية -بالنسبة للفرد- أنها تعده للحياة بنجاح فى البيئة الطبيعية التى يعيش فيها ، والجماعة التى يعيش بينها ، وهى التى تعين الفرد على أن يقضى حاجاته ، وأن يحقق حوافزه ، وغاياته ، وأهدافه ، بالشكل أو بالصـــورة التى يرضى عنها المجتمع ، بحيث لا تتنـــــافى مع متطلبات الأخلاقيات والمثل العليا فيه ٠

هذا ، بالنسبة للأفراد - على وجه العموم -

أما بالنسبة للنشء - على وجه الخصوص - فان وظيفة التربية هى الكشف عن مواهبهم ، وميولهم ، واستعداداتهم، وقدراتهم ، والعمل على اتاحة الفرص لنموها ، وتنميتها ، وكذلك تفتحها ، وصقلها ، مما يفيـــد هؤلاء النـــاشئين ، وبالتالى يفيد مجتمعاتهم ٠

وأما وظيفة التربية بالنسبة للمجتمع - فيمكننا القـــول بأنها تعمل على استمراره ، فضـــلا عن أنهـــا تعمل على استقراره ؛

ذلك أن المجتمع حين يهيىء لأفراده التعرف على مبادئه، وعاداته ، وتقاليده ، وأساليب حياته ، ومفاهيمه السائدة ، ثم آماله الحاضرة ، وأمانيه المقبلة ، بالاضافة الى خبراته الماضية ؛ فهو انما يحافظ على ذاته ، باعتباره حفيظا على هذه الأمور ، حريصا على ابقائها بمكوناتها ، ومقوماتها ، وربما كان هذا ، من الأسباب التى دعت فريقـــا من علماء الاجتماع الى اتهام المجتمعات بمحاربة التقدم أو التطور فى بعض الأحيان ٠

ولما كان نقل التراث الاجتماعى، والحفاظ عليه، والحرص على بقائه ، من أهم وظائف التربيــــة ، فان المجتمع الذى لا يحرص على تراثه ، مجتمع نفسه للزوال ، وربما كان فى

أساليب الاستعمار نحو الدول التى منيت به ، ومحاولتـــه تفتيت تراثه ، وضياعه ما يؤكد صحة ذلك ليس من حيث هو مجتمع قائم بأفراده ، ومنشئآته ، ومكوناته المادية فحسب ، ولكنه من حيث مقومات الأصالة فى هذا المجتمع أيضا ٠

وهنا ، ينبغى أن نؤكد وجود التراث القومى للمجتمعات، ووجود التراث الانسانى للبشرية عامة ، ومهمة التربيــة فى هذا السبيل ، هى التوفيق بين المحافظة ، والتقدميــــة ، بالنسبة للفرد أولا ، وبالنسبة للمجتمع ثانيا ٠

فهى تبقى على الصالح ، والمفيد من القيم ، أو العادات ، أو أساليب الحياة ، وطرزها ٠

ثم ، هى تساير الاتجاهات المعاصرة ، وما تمخض عنه الفــكر البشرى ، وما كشفت عنــه العــلوم والمخترعات ، وأساليب التقدم البشرية بما يفيد المجتمع ٠

وبهذا التوفيق ، والتوافق ، تكون عملية التربية ، عملية نمو فردى ، اجتماعى ، انسانى ٠

وهى بهذا المعنى، عملية هادفة، أى أنها ليست عشوائية، ولا اعتباطية ، وانما هى عملية ذكية ، واعية ، تتجــه الى أهداف ، وغايات بالنسبة للفرد وللجماعة ، وان كانت فى بعض الأحيان ، عملية عفوية ، الا أنها ذات هدف واضح ، وغاية مقصودة من القيام بها ٠

التربية دعامة تقدم المجتمع :

إذا كانت التربيـــــة ، هى السبيل الى تشكيل الأفراد ، وتحقيق الاستمرار بين الأجيال المختلفة ، وفى حياة المجتمع بصفة عامة ، فلا بد لكل جيل أن يدرك الى أين وصل أسلافه حتى يبدأ سيره من حيث قطعت عليهم آجالهم المسير ؛

ولهذا ، تسعى المجتمعات الى تهيئة صـــــغارها لمعرفة طبيعة الحياة فيها ، ووقوفهم على فهم حاضرها ، واعدادهم لمواصلة تقدمها ، وتتخذ من المؤسسات التعليمية (كالمدارس وغيرها) وسيلة لتحقيق ذلك ، لاسيما فى عصـــور التقدم العلمى ، والفكرى ، كما فى عصرنا الحاضر ، ومن ثم تحتل التربية مكانها البارز فى ثقافة المجتمع ، باعتبار أن الثقافة هى كل ما يصنعه أى شعب أو أمة من نظم ، وحياة اجتماعية ، وأدوات ، ومصنوعات ، وأفكار ، أى التراث الاجتماعى ، الذى تراكم خلال الأجيال المتعاقبة ، والذى يعيش فيه هذا الشعب أو هذه الأمة ٠

فالعلاقة وثيقة بين التربية ، والثقافة ، كذلك ، فان الثقافة تنتقل ، وتستمر عن طريق التفاعل ، والتنشئة ، والتربية ، وكلما زادت الثقافة تعقيدا ، زاد ما يتعلم منها فى مؤسسات التعليم ٠

واذا كانت التربية ــ كما أسلفنا ــ عملية اكتساب الفرد لأنواع من الخبرات من خلال حياته فى المجتمع ، فان من بين هذه الخبرات ، ما يتلقاه النشء أثناء فترة التعليم وسنوات الدراسة ، حتى اذا ما انتهوا من تلك السنوات ، تحولوا الى المجتمع الذى يعيشـــــون فيه ، حيث يعملون ، وينتجون ، ويسهمون فى تطويره ، وفى دفع عجلة التقدم فيه ٠

وهم فى ذلك ، يمثلون القوى البشرية الواعية ، والمدربة ،

وهم فى نفس الوقت ، مصدر للانتاج ، والابتكار ، والتجديد فى حياة المجتمع ، فضلا عن اسـهامهم فى تشكيل مستقبل مجتمعهم ، ونحن عندما نعد أبنـاءنا فى مدارس اليوم ، فنحن لا نعدهم لمجتمع اليوم فحسب ، ولكننا ، نعدهم لمجتمع المستقبل أيضا ، وهم عنـدما يكتسبون خبرات الحيـاة المعاصرة ، فليس معنى ذلك ، أنهم سيقتصرون عليها ، وانما سيضيفون اليها من واقع ممارستهم ، ونظرتهم المستقبلية ٠

فالأطفال ، الذين يولدون اليوم ـ على سبيل المثـال ـ سيعملون فى المجتمع بعد عقدين من الزمان أو نحو ذلك ، وبالنظـر الى سرعة التغير المتزايدة فى مكونات العصر ، فاننا نتوقع أن شكل المجتمع ، وبنيته . وأفكاره ، وأحداثه ، لابد ، وأنها ستختلف اختلافا جوهريا عما هى عليه الآن ٠ ومعنى هـذا ، أن المدارس تعد الأطفـال لمجتمـع يختلف تماما عن المجتمع الحاضر، وتصنع مستقبل المجتمع بصناعة اتجاهات الأطفال ، والشباب ، وتكوين قيمهم ، وتشـكيل أفكارهم ، وبالتالى ، فانها تقرر مستقبل الثقافة ، ونوعيـة الحياة ٠

والتربية ـ بمفهومها الشامل والمستمر ـ تستوجب تهيئة هؤلاء الناشئين لحياة المستقبل ، وتنبذ الجمود ، والثبـات عند حدود معينة ٠

ومن ثم ، فان العلاقة بين التعليم والمسـتقبل ، ينبغى أن تكون علاقة عضوية متبادلة (وبخاصة فى عصرنا الحاضر) والا جمدت الحياة ، وركدت المجتمعات الانسانية، وبالتالى، فانه لتحقيق تلك العلاقة ، ينبغى أيضـا أن يأخذ أصحاب المسئولية فى المجتمعات بأسس التخطيط ، وتحديد أوضاع التعليم ، ورسم مساره ، بحيث تكون النظرة المستقبلية ، هى المنظمة لحركة التعليم ٠

هذا ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان التربية عندما

تتعهد النشء بالاعداد للحياة ، فانها تعدهم لنوعيـــات من التخصصات ، ومجالات من المعايشة اللازمة لمجتمعاتهم ؛

فما نلمسه فى كثير من دول عالمنا المعاصر من تقنيـــات حديثة ، أو تقدم علمى ، أو تكنولوجيا عصرية ، وما تتمتع به من تماسك اجتماعى ، أو تطور فى أساليب معيشتها ، أو جودة فى انتاجية أفرادها ، وما تحرزه من تفوق سياسى ، أو عسكرى ، وما تحظى به من اقتصاد وماديات ٠٠٠ الخ ٠ فان مرد هذا كله الى ما يتوفر لدى أفرادها من :

علم (أولا) ومهارة (ثانيا) ووعى بمتطلبات مجتمعهم (ثالثا) ٠

وهنا ، يقع على التربية ـ عن طريق التعليم والتدريب ـ عبء اعداد هذه القـــوى البشرية ، وتدريبهم ، وهؤلاء بدورهم ـ عن طريق العلم كذلك ـ يســـــهمون فى تطوير مجتمعاتهم ،

ولقد أدرك كثير من ولاة الأمر فى شعوب العـــالم فى عصرنا الحاضر أهمية العلم والتعليم فى تحقيق أهدافهم ؛ السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، بل والحربيـــة أيضا ، وبه وصلوا الى غاياتهم المنشودة ٠

ومن أجل ذلك ، كانت التربية ، دعامة أساسية فى تقدم المجتمع ، وتطويره ٠

الفصـــل الثـــــانى

ركائز التربيــة

ماذا نعنى بـ « ركائز التربية » ؟

يقصد بركائز التربية ، الدعائم الرئيسية ، أو الأصول التى تستند اليها التربية فى أى مجتمع من المجتمعات ، أو أية دولة من دول العالم ·

ذلك ، اننا بعد أن استعرضنا فى الفصل السابق ، طبيعة التربية ، وحاولنا تحليل مفهومها ، وربطه بالطبيعة الانسانية ،

نتناول فى هذا الفصل ، ركائز التربية التى تستند اليها فى المجتمعات البشرية ، باعتبارها موجهات أساسية تؤثر فى احداث التربية ، وأساليبها لدى الشعوب ·

فالتربية ، فى بلاد العالم ، وليدة ظروف مجتمعاتها ، ذلك أن أسلوب التربية ، يعكس صورة المجتمع الذى يعيش فيه ، وما يتصل بهذا المجتمع من ظروف ؛ اقتصادية ، أو جغرافية ، أو تاريخية ، أو حضارية ، أو سياسية ، أو دينية ··· الخ ·

وهذه الظروف ، أو العوامل والقوى ، لابد وأن تكون وثيقة الصلة بأساليب التربية ،وهى ـ وان اختلفت فى درجة تأثيرها فى تربية الشعوب ـ الا انها تتفاعل جميعها ، ومن ثم تتماسك فتحدث هذا النسيج المتكامل فى بنية المجتمع ، وهيكله ، وتنظيماته ، ومكوناته ، وكذلك ، مقومات الحياة فيه ·

ولما كان الفرد ، وهو الكائن الحى ، النامى ، والعنصر البشرى ذو الفعالية ، المنتجة فى المجتمع ، هو محور التربية دائما ، فان هذه الركائز فى تفاعلها تستهدف حياة الانسان، ومدي تأثرها بما لها من موجهات ، اذ أنه بدون مواءمة بين

تلك الركائز ، وأساليب التربية فى المجتمع ، تكون هنـــاك فجوة بين تنظيماته ، وتصدع فى جوانبـه ، وبالتـــالى ، تغيرات فى نتائج التربية ، ومخرجاتها ٠

على أن ركائز التربية أو عوامل وجودها ،ليست موجهات متباعدة أو متنافرة ، بعضها منفصـل عن البعض الآخر ، ولكنها فى حقيقتها متداخلة ، ومتكاملة ، وقد يؤثر كل منها فى الأخرى ، أو بينها تأثير متبادل ، يختلف – قوة وضعفا – من واحدة الى أخرى ٠

وفيما يلى ، نعرض لأهم ركائز التربية ، وأسسها :

اولا ـ النواحى الاجتماعية :

ونعنى بها ، حياة المجتمع ، من حيث هو مجتمع بدائى أو متقدم ، بسيط ، أو معقد ، مجتمع طبقى أو ديموقراطى ، مجتمع رأسمالى ، أو اشتراكى ، مجتمع مفتوح ، ذو صلات بغيره ، أو انعزالى ، مغلق ، ... ثم ما يسود هذا المجتمع من مبادىء ، وقيم ، ومثل ، واتجاهات عامة ، وما يحس به الأفراد من مساواة ، وعدل ، أو تمايز وظلم اجتماعى ، ثم ، مدى الاحساس بالرفاهية أو الاضطهاد، وكذلك ، ما يتعرض له المجتمع من تغير اجتماعى ، نتيجة ظروف معينة ، بالاضافة الى درجة التقدم الحضارى الذى يعيش فيه ، باعتبارها كلها دلالات معبرة عن العناصر البشرية ، المكونة للأسرة الانسانية ، وبين هذه العناصر ، المكونة للمجتمع ، علاقات ديناميكية ، تقتضيها طبيعة الحياة ، وهى فى ذات الوقت ، تحول التربية من مجرد عملية فردية (تعنى بالفرد) الى عملية اجتماعية (تنظر الى الجماعة ككل) ، فالتربية ، لا يمكن تصورها فى فراغ ، اذ تستمد مقوماتها من المجتمع الذى توجد فيه ، كما أنها تهدف الى تحويل الفرد من مواطن بالقوة بحكم مولده فى هذا المجتمع ، الى مواطن بالفعل ، يفهم دوره الاجتماعى ، ومسئولياته وسط الجماعة التى ينتمى اليها .

والتربية ـ فضلا عن ذلك ـ هى السبيل الى استمرار الثقافة ، مهما كان الطابع العام لهذه الثقافة ، ودرجة تطورها .

ومهما كانت الصورة التى تأخذها العملية التربوية ؛ فهى تحدث فى المنزل، وفى المدرسة (أو المنشئات التعليمية) ، وفى منظمات المجتمع ، ومؤسساته ، وهى تتأثر بما يوجد فى البيئة ، وما يعيش المجتمع فيه ، من عمران ، وتقاليد ، وعادات ، ونظم ، وأفكار ، ومدى تقبل أفراده للتعليم ،

ونوعية هذا التعليم ، ثم نوعية المواطنين فى هذا المجتمع ، ومدى استعدادهم للعلم من واقع حيـــاتهم ؛ فى مدنهم أو حضرهم ، فى ريفهم أو بداوتهم والى أى مدى يســـتجيبون للنظم التعليمية ، والى أى مدى يتأثرون بها ، وبمـــا يحدث حولهم من تقدم ، وتطور ، وأى أسلوب تربوى يجدى معهم ؛ أسلوب الطفرة ، أم أسلوب التأنى ، أم الأساليب المرحلية ، التى تقطع شوطا ، وتتبعـــه بآخر ، وهكذا · الأمر ، الذى حدى بكثير من المفـــكرين والمربين الى ضرورة الربط بين حركة التربية فى المجتمع ودرجة التحضر والعمران فيه ؛

هناك ، من يرى أنه كلما ارتفع المستوى الفكرى العـــام لأبناء الأمة ، ازدادت درجة حضارتهم ، وتقدمهم العلمى ، والقدرة على اعداد القوى البشرية اللازمة لحركة الحيـــاة فيـــــه ·

وهناك ، من يرى أن للبيئة أثرها الكبير فى درجة التقدم الحضارى الذى يحدث فى المجتمع ؛ فالمجتمعات الانســـانية الأولى ، كانت مجتمعات بطيئة التغير ، بســـيطة التكوين ، والتركيب ، محدودة الحاجات ، والمطـــالب ، والأهداف ، قادرة على أن تقوم بذاتها ، وأن تعيش منعزلة بعضها عن بعض ، يكتفى كل منها بنفسه ، حتى ولو كانت قليلة العدد ، والامكانيات ·

وعاش الانسان وسط هذه المجتمعات مشغولا بعمل يومه ، قانعا ، محدود التفكير والخبرة ·

وعندما عرف الانســـــان القراءة ، والكتابة ، ووجدت الحكومات المركزية ، والدول الكبيرة - نسبيا - على نحو ما حدث فى كل من: وادى النيل، ووادى الرافدين (العراق)، أخذ الانسان يتابع أخباره ، ومشـــاهداته ، ويحفظ أهم ما يوجد فى تراثه الثقافى؛ من دين ، وعلم ، وفن، ويسترجع تاريخه ، ويعبر عن آماله ، ويحدد بعض مشكلاته ، وعنيت

الحكومات المركزية بدراسة بعض جوانب الحياة كجزء من وظيفتها فأرسلت البعوث الكشفية للتعرف على ما فى باطن الأرض ، وعلى ظهرها ، وأخذت ترعى نواحى الحيــــاة لشــــعوبها ، بحيث أصبحت مسئولياتهــا أكثر شمولا ، واتساعا ٠

ثم تعاقبت العصور ، ولكل منها مقومات الحياة فيه ، بما شملته من بيئات ، وتعددت من أسباب ٠

حتى اذا كان العصر الحاضر ، ازدادت المعرفة ، وكثرت وسائلها ، وتنوعت اهتمامات الناس ، نتيجة ما حدث فى المجتمعات من تطور شمل جميع مجالات الحيـــاة ، وكانت التربية مجالا تطبيقيا مبـــاشرا ، تؤثر فى حركة المجتمع ، وتتأثر به ، فالعلاقة بينهما ، علاقة تبادلية ٠

ويمكننا أن نتبين مدى فعالية النـواحى الاجتماعية فى طرز التربية من خلال نظم التعليم ؛ فمثلا :

فى جنوب أفريقيا :

هناك ، تتعدد الأجناس ، وتتشابك العــلاقات ، وتتنوع السلالات البشرية بين السكان ، ســـواء كانوا أصليين أو مهاجرين ، والذين يكونون أربع مجموعات ، لكل منهـــا عاداتها ، وتقاليدها ، وأســـاليبها التربوية ، ونظمهـــا التعليمية ،

هذه المجموعات ، هى :

- مجموعة البانتو، وهم من قبائل متنوعة، ويمثلون غالبية السكان ٠
- مجموعة السكان الملونين ، وهؤلاء خليط من أجنـــاس متعددة ٠

- مجموعة الهنود ، وهم أقل السكان عددا .
- مجموعة الأوربيين ، ويمثلون نحو ثلث عدد السكان ، وهى الفئة الحاكمة فى البلاد .

ومن المعروف - على الصعيد الدولى فى وقتنا الحاضر - أن المجموعة الأوربية تمثل فى جنوب أفريقيا ، قمة التمييز العنصرى بالنسبة الى بقية المجموعات؛ فهى تمارس أعنف، وأحط الأساليب العنصرية ، المهينة ، فى تعايشها مع غير البيض ؛

ومن ذلك ، النظم التعليمية ، والحياة المدرسية ، بل والحياة العامة ؛ فهؤلاء القلة من البيض ، لا يستطيعون السيطرة على الكثرة الوطنية ، الا بتشريدهم ، والقبض عليهم ، واضطهادهم ، حتى القانون ، نجده يناصر البيض على الملونين ، ويتغاضى عن كثير من حقوقهم كمواطنين ، وينعكس ذلك على التعليم ؛ فنرى تعليم البيض من أرقى أنواع التعليم وأحدثها فى عالمنا المعاصر ؛ حيث يقدم للتلاميذ البيض ، الفرص التعليمية ، والخدمات التعليمية ، ويلحقون بالمدارس ذات التجهيزات التربوية الممتازة ، ويقوم على تعليمهم ، مدرسون مؤهلون ، يحصلون على مرتبات عالية ، بالاضافة الى ادارة تعليمية ، تهتم بشئونهم، الى غير ذلك ، مما يكفل للبيض امتيازات لا تتسنى لغيرهم من الملونين ، والأفريقيين ، والآسيويين ، الذين يعيشون معهم فى دولة واحدة ، والذين تحول السلطة الحاكمة من الأوربيين البيض ، دون مساواتهم ، حتى ان هذه السلطة ، كثيرا ما تصدر القوانين المجحفة ضد الملونين ، مثلما حدث فى سنة ١٩٥٣ ، حيث صدر قانون يشترط فيمن يرغب الالتحاق بالتعليم الثانوى من غير البيض ، أن يحصل على درجات عالية فى امتحان نهاية المرحلة الابتدائية كوسيلة للحد من التحاق أبناء الملونين ببقية المراحل التعليمية ، الأمر الذى يسبب حرمان الكثيرين منهم من الاستمرار فى

التعليم ؛ اذ يعتقد المسئولون الأوربيون هناك أن اختلافات الجنس ، واللون ، والسلالة ، لها انعكاساتها على الطبيعة البشرية من حيث النظم التعليمية ، والتربوية التى ينبغى أن تتبع معها ٠

كذلك ، يرى الأقليـة البيض أن بينهم ، وبين مواطنيهم السود فروقا فى الذكاء ، والقدرات العقليـة ، والفكرية ، والانفعالية ، مما يسمهم بضعف القدرة على التطور ، والاستجابة لمقومات التقدم ٠ وقد أثبتت الأبحاث العلميـة الصادقة ، كذب ما يدعيه البيض ، وبالرغم من ذلك كله ، فان الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا ، ترى نفسها مهددة بين الحين والآخر من تزايد صيحات احتجـاج الملونين ، وكذلك من التزايد المستمر فى أعدادهم ، مما يشكل خطرا يهدد كيانها ، وسطوتها ٠

فالبيئـة ، وما تشتمل عليـه من عوامل ، وظروف ، وما يتضمنه التركيب الاجتماعى لسكانها ، مؤثر ذو فعالية فى احداث التربية ،

وهذه البيئـة ، تختلف من دولة الى دولة ، بل ، وفى الدولة الواحدة ، تختلف من اقليم الى اقليم ، ومن مدينـة الى أخرى ،

وهى تختلف ـ أيضـا ـ من الحضر الى الريف ، الى البادية ، الى الغابات والادغال ، الى الجزر النائية ،

وربما ، لا نكون مغالين، اذا قلنا ان العوامل الاجتماعية التى تسهم فى تشكيل التربية فى البيئـة ، قد تختلف فى المدينة الواحدة من حى الى آخر ، تبعا لظروف كل منهما ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، سواء فى الدول المتقدمة ، أو شبه المتقدمة ، أو النامية ، بلا استثناء ٠

وهنا ، نذكر – على سبيل المثـــال – ونحن فى النصف الثانى من القرن العشرين ، الزاخر بمختلف نواحى التقدم العلمى ، والمعرفى ، والتكنولوجى ، والحضـارى بصــفة عامة ،

نقول ، ونحن فى عصرنا هذا ، نجـد أن حكومة الفلبين تعلن فى صيف ١٩٧١ (١٩٧١/٧/٨) عن اكتشاف قبيلة بدائية تعيش كما كان يعيش انسان العصر الحجرى ، ويقول علماء الأجناس ، هناك ، ان هذه القبيلة التى أطلق عليهـا «تساداى ماينوب» تضم حوالى مائة شخص (١٠٠ فرد) يعيشون فى غابات استوائية فى منطقة جبلية ، منعزلة فى جزيرة «ميداناو» جنوب الفلبين ، دون أى اتصال بالحضارة الانسانية المعاصرة (١) ٠ وتعتبر هذه القبيلة ، فصلا نادرا فى دراسة الانسان البدائى؛ فهم لا يعرفون الأرز، أو القمح، أو الملح ، أو الأوانى الفخارية ، وليس لهم صلة بالبحر ، ولا يعرفون المعادن ، بل انهم يمثلون الجماعة الوحيدة فى العالم ، التى لا تعرف التبغ ٠

من هذا ، يتضح أثر البيئة ، ومقوماتها فى التنشـــئة الاجتماعية للانسان ، وبالتالى فى درجة تقدمه الحضارى ، وسلوكه فى الحياة ٠

---

(١) د٠ حامد عبد السلام زهران ٠ علم النفس الاجتماعى ٠ مكتبة عالم الكتب٠ القاهرة ١٩٧٢ ص ٢٦٧ ٠

ثانيا ـ النواحى السياسية :

ونعنى بها ، الأوضاع السياسية للدولة ، بما فى ذلك ، نظام الحكم ، وأساليبه فى المجتمع ، والظروف التى يعيشها فى حاضره ، وما تمليـــه هذه الظروف على المجتمع من متطلبات ، وما يقف أمامه من تحديات ، وما يتعرض له من أحداث ، وما يتمتع به من استقرار سياسى داخلى، وخارجى، وتطلعاته الى المستقبل ، ومدى ما يعلقه على أبنائه من آمال، يعدهم لتحقيقها ، والى أى مدى يستطيع التعليم أن يسهم فى ذلك ، وأهمية المراحل التعليمية ، وتكامل هذه الأهميـــة ، وهكذا ٠

فالدولة التى تسودها الاتجاهات الديموقراطيـة ؛ حيث الحرية ؛ حرية التعبير عن الذات ، حرية الرأى والكلمة ٠٠ والايمان بقيمة الفرد ، وتشجيع النقد البناء ، والدعوة الى الابتكار ، والتجديد ، والتخلص من القيـود ، والاحتكار ، والضغوط ؛

نقول ، ان الدولةالتى يسودها هذا النوع من الاتجاهات، تختلف فى سياستها التعليمية ، وأوضاع التربية فيها ، عن دولة ، سياستها خنق الحريات، وممارسة التسلط ، والقمع، سواء كان ذلك ، عن طريق حكام الدولة أنفســـهم ، أو عن طريق نظام مفروض على الدولة، كما تفعل الدول المستعمرة نحو الشعوب المستعمرة ؛ وفرق بين انسان ينعم بالحرية ، والراحة النفسية ، وبين انسان يشعر بالقيود على تحركاته، وسكناته ، وأن الخطر يتهدده ، ان هو حاد عما رسم له ، وأن العقوبة الصارمة فى انتظاره ، اذا لم ترض السلطات الحاكمة عن سلوكه ، وتصرفاته ٠

ذلك ، أن التربية ، تخدم مجتمعا معينا بأهداف معينة ، وتشكيلات سياسية معينة فى كل عصر من العصور ، وفى

كل مرحلة من مراحل تطـور المجتمع ، والتعليم ، هو أداة تكوين المواطن ٠

وتختلف المفاهيم المرتبطة بالتعليم ، والتى يقوم عليهـــا باختلاف الاطار السياسى الذى يعمل فيه ؛ ومن ذلك ، مفهوم تكافؤ الفرص التعليمية ، ومفهوم الادارة التعليمية ، بل ان المادة التى يدرسها من يتعلمون،لابد وأن تتأثر بفعل التوجيه السياسى العام ، الذى يخضع له التعليم ٠

وباعتبار ، أن السياسة ،تعنى الاهتمام بحياة الجماهير ، والعمل على حل مشكلاتهم ؛ فانهـــا تتدخل فى المواقف ، والعمليات التعليمية ، وبالتالى ، فان نوع الادارة التعليمية (على سبيل المثال) ونوع المسئوليات ، والحقـوق فى كل موقع منها ، يعد تعبيرا عن الطابع السياسى للدولة، فالتعليم شأنه ، شأن أى ميدان فى المجتمع ، تحكمه قوانين، ولوائح، وتنظيمات ، وهذه كلها ، تعبير عن السلطة الســياسية فى المجتمع ٠

وتتضح فعالية القوى السياسـية ، من حيث أثرها على توجيه التربية ، ونظم التعليم على مر العصور ، وفىمختلف المجتمعات ؛ من ذلك ، ما حدث فى « اسبرطة » (فى العصور الاغريقية القديمة) ، وما حدث فى « ألمانيا » النـــازية ، وايطاليا الفاشية ، فى عصرنا الحديث ، فقد كانت القـــوى المتسلطة على الحكم فى اســـبرطة تتحكم فى كل شىء ؛ فمقومات الحياة الاجتماعيـــة ، تسير على طراز معين ، تقتضيه السياسة العامة للدولة ،

وبالمثل ، كانت أوضاع التعليم ، انعكاسا طبيعيا لسياسة الدولة ، وما يراه المسئولون فيها ٠

كذلك، حرصت كل من « المانيا » و « ايطاليا » على تربية ابنائها، تربية تساير اتجاهات الدولة ، وتحقق ما تهدف اليه

سياستها • ولا شك ، أن هناك تقاربا بين أنماط التربيـــــة في « اسبرطة » ، وبين هاتين الدولتين ؛ فقد رأى «النازيون، والفاشيون » ، كما رأى «الاسبرطيون» ان انشاء ديكتاتورية عسكرية ، والابقاء عليها ، انما يعتمد ـ الى حد كبير ـ على وجود رقابة تامة ، وواسعة على أطفالهم ، وشبابهم ، كما أن مستويات الأعمار لتنظيمات الشباب فى ألمانيا، وايطاليا، تشـــبهان مثيلاتهـــا فى النظام الاسبرطى ، الى حد كبير أيضـــا •

وفى عالمنا المعاصر ، يتضح تأثير السياسة فيما تتبعــه الدول الشيوعية فى نظمها ، التربوية ، والتعليميـــــة ، والفكرية ، حيث تسود النظرية اللينينية ، والاتجـــاهات الماركسية ، الى جانب أن أسلوبها التسلطى ، الديكتاتورى ، مرسوم له ، والولاء للحزب الشيوعى ، والهيئة الحاكمة ، مخطط له فى الاطار العام لمسار التربيـــة ، ووســـائلها ، ونوعيات التعليم الذى تقدمه الدولة ؛ فالمناهج ـ باعتبارها وسائل لصنع أجيال من البشر ـ محددة، والادارة التعليمية مركزة فى أيدى الهيئة الحاكمة ؛ ففى كل جمهوريات الاتحاد السوفيتى ـ على سبيل المثال ـ يوجد ممثل للحزب الشيوعى فى كل وحدة تعليمية ، سواء كانت صـــغيرة ، أو كبيرة ، وذلك للتأكد من أن الفلسفة الشيوعية مطبقة ، وأنها تسود البرامج ، والتنظيمات المختلفة ، وان منظمات الشـــباب الشيوعى فى المدارس ، تقوم بتوضـــيح قرارات الحزب ، وقوانين الدولة •

الى جانب هذا ، تقوم أجهزة الشرطة السياسية بمتابعة النظام الادارى للتعليم ، وذلك ، للتأكد من ولاء العـــاملين بالادارة التعليمية ، والمدرسية بما فيهم المعلمون، والتلاميذ، وغيرهم ممن لهم صلة بالعملية التعليمية •

كذلك ، فان الصين ، لم تستطع أن ترسم لنفسها نظـاما

تربويا ، يلائم حاجاتها ، وظروفها ، الا بعد أن قامت بثورتها الكبرى عام ١٩١١ ، تلك الثورة التى تمخضت عن اعلان جمهورية الصين الشعبية عام ١٩١٢ ، ثم توالت الأحداث، وتعاقبت السنوات ، الى أن أعلنت جمهورية الصين الشعبية فى عام ١٩٤٩، والتى نهضت بالبلاد نهضة شاملة، وتمكنت من رسم سياسة تعليمية ، تسير جنبا الى جنب مع الثورة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والتى تهدف الى بناء مجتمع صينى جديد ٠

واذا نظرنا الى مجتمعنا المصرى ، نجد أن ملامحه قد تغيرت ـ بما فى ذلك التعليم ـ بعد أن قامت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وتحقق لمصر ، استقلالها السياسى ، والاقتصادى ، وتحررت من الضغوط الأجنبية ٠

وعندما استقرت نظمها السياسية ، بدأت تخطط لنظمها التربوية ، والتعليمية بما يمكنها من مواكبة الاتجاهات العالمية ، ومسايرة التقدم المعاصر ٠

أما بالنسبة للدول التى منيت بالاستعمار الأجنبى ، فنجد أن السلطات الاستعمارية تحكمت فى مقدرات هذه الدول ، وحاولت ترك بصماتها على نواحى الحياة فيها ،

مثال ذلك ؛ ما حدث أثناء الاستعمار الفرنسى للجزائر العربية (فى القرن ١٩) ومحاولة « فرنسا » « فرنسة » كل شىء فى الجزائر ٠

وكان تأثير السياسة ، واضحا فيما يتعلق بالتعليم ، من حيث نظمه ، ومناهجه ، وادارته ٠

هذا ، الى جانب ، ما حدث فى دول المشرق العربى (مصر وسوريا ، ولبنان ، والعراق) وما كانت تعانيه تحت وطأة الاستعمار ، وما خططه لها من نظم تعليمية ، دخيلة ، تعتبر

أمثلة صارخة ، ونماذج ملموسة لأثر النواحى السياسية فى توجيه التربية ، وأنماط الثقافة لدى الشعوب ٠

بالاضافة الى ذلك ، ما حدث أثناء الاستعمار الهولندى لاندونيسيا (فى القرن ١٩) فقد حرص الهولنديون على صبغ المدارس الشعبية الاندونيسية بالصبغة الهولندية ، سواء أكان ذلك فى الجو المدرسى بوجه عام ، أم فى مواد الدراسة بوجه خاص ٠

ثالثا ـ النواحى التاريخية :

ونعنى بها ، العوامل التى تعيننا على تفهم أوضـــــاع التربية ، وما قد ينتج عنها من مشكلات تربوية فى المجتمع، وذلك فى ضوء ما تجمع لدى الشعوب من رصيد ثقـــافى متنوع ، خلال حقبة من الزمن ، أو فترات منـــــه ، ثم مدى ما أصـــــابها من تغير اجتمـــاعى ، صحبه تغير فكرى ، وتربوى ؛

ذلك ، أنه لكل مجتمع ماضيه ، وجذوره التاريخية التى ينتمى اليها ، وتسهم فى تكوين أساسيات تراثه الثقـــافى ، والحضارى ، وقد تكون سببا فى تأثر حاضره بها ، أو على الأقل ، ذات صلات عضوية ، أو فرعية به ، ومن ثم ، يمـكن تفسير ما يحدث فيه من ظواهر ، ومشكلات ؛

فحياة الشعوب ، لا تقوم على حاضرها فحسب ، بل هى امتداد لماضيها ، ولكن العصور تختلف ، وتتنوع٠ فى درجة تأثيرها فى الشعوب ، وتأثرها بها ؛ فقد تحدث طفرة تكون سببا فى احداث قفزة حضارية ، وتغيرات ثقافية ٠ تعدل من مسار الحياة فى أحد المجتمعات ، وقد يحدث عكس ذلك ، فقد يتعرض مجتمع الى هزة عنيفة ، تحول تقـدمه الى تخلف ، وتردى تطوره الى ركود وجمود ،

ولعل فى العصور الوسطى بأوربا ، ثم ما أعقبهـــــا من عصور النهضة والاصلاح ، وكذلك ، فترة الاحتلال العثمانى لدول الوطن العـــربى ، وما فرضه الحـــكام الأتراك على المجتمعات العربية آنذاك ، ما يؤكد صحة هذا ٠

وعند دراســـتنا لفكرة الرأسمالية (مثـــلا) فى بعض المجتمعات الأوربية ، أو منـاقشتنا لمبـــادىء الحرية أو الديموقراطية فيها ، لابد وأن نعود الى الركائز أو الأسس

التى قامت عليها ، وهذا ، بالتالى ، يدعونا الى دراسة الظروف التى أوجدتها ، أو ساعدت على وجودها ٠

وعند دراستنا لمشكلة تخلف تعليم الفتاة فى البلاد العربية ، بمقارنتها بتعليم الفتاة فى الدول المتقدمة ، لابد وأن تمتد الدراسة الى جذور تاريخية ، متضمنة من أسباب المشكلة ، ما هو سياسى ، وما هو اجتماعى ، وما هو اقتصادى ٠٠ والتى تمتد بجذورها الى تاريخ طويل ٠

والأمية ؛ كمشكلة تعانى منها بلاد كثيرة من دول عالمنا المعاصر ، وعندما نتقصى أسبابها فى واحدة من هذه الدول، تقودنا دراستها ، الى عوامل ، وظروف ترتبط بالماضى - فى كثير من الأحيان - سواء كانت سياسية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ٠

ومن ثم ، فانه لامكان التغلب عليها ، ينبغى أن تكون دراسة تتبعية مستفيضة ، تأخذ مكونات التشخيص لتحيله الى معالجة اجرائية فعالة فى ضوء الامكانيات المتاحة ٠

وأوضاع التعليم فى بعض الدول ، وما قد يعترضها من مشكلات ، وقضايا ، قد يكون من بين أسبابها ، ما يتصل بالماضى ، وظروفه ٠

ودراستنا لهذا الماضى ، تلقى الضوء على طبيعة هذه المشكلات ٠ وتلك القضايا ، ومدى تماثلها بالأوضاع السابقة ، والكيفية التى كانت عليها ، وأسلوب معالجتها ، ومدى الافادة منه ، فى ضوء القوى الثقافية ، والاجتماعية المعاصرة ، وعندئذ ، تكون معالجتها مبنية على أسس واقعية ، وادراك حقيقى لها ٠

وفى المجتمع المصرى، عندما نتناول بالدراسة الموضوعية الأوضاع التربوية ، ومسائل التعليم ، نجد أن بعض طرائق

التربية ، ترجع فى أصولها الى جذور تاريخية ، وأن بعض المشكلات التعليمية لها ارتباط بالماضى الى حد كبير ٠

وفى المجتمعات العربية ـ بصفة عامة ـ نجد أن التعليم الفنى بمدارسه ؛ الصناعية ، والزراعية ، والتجارية ، كان ينظر اليه نظرة متدنية لها جذورها التاريخية ، فقد ترجع الى أسباب استعمارية مغرضة ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، حتى اذا كانت السنوات القليلة الأخيرة تعدلت هذه النظرة ـ الى حد ما ـ ، وبقيت كما هى عند بعض الفئات من الناس ٠

بالاضافة الى ذلك ، فان لغة التعليم فى بعض الدول المعاصرة ، ليست هى اللغات الأصلية لهذه الدول ، ولكن ظروفا معينة ـ فى الماضى ـ فرضتها عليها ، مما يتسبب فى احداث مشكلات تربوية ، وتعليمية فى مجتمعاتها ، ولكن هذه الدول تحاول ـ منذ سنوات قليلة ـ اعادة النظر فى لغة التعليم بها ، والأخذ بلغتها الأصلية ، ومن بينها ، الجزائر العربية ، فبعد أن تخلصت الجزائر من النفوذ الفرنسى فيها، والذى دام أكثر من مائة وثلاثين عاما (من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٩٦٢) ترك فى أوضاعها التربوية بصماته ، والتى أوجدت مشكلات تعليمية ، فهى وليدة ظروف معينة فرضتها سلطات استعمارية على الشعب الجزائرى العربى ؛ فقد حاولت سلطات الاستعمار أن تلتهم اللغة العربية ، اللغة القومية للجزائر ، وتذيبها فى اللغة الفرنسية ، لغة التعليم فى تلك الفترة من الحكم الفرنسى للجزائر ٠

بل أكثر من هذا ، امتزجت الرطانة الفرنسية بلغة التخاطب (نتيجة الاختلاط) فى المجتمع الجزائرى ، العربى الأصل ، حتى علقت بألسنة كثير من المواطنين الجزائريين ، لكنة ملحوظة ، لدرجة أن أفراد الشعب ، أصبحوا لا يعرفون

التعبير عن كلمات عربية كثيرة ، الا بالكلمات الفرنسية المشوهة ، مثل قولهم : (١)

« البلاصة » La place للمكان أو الميدان ،
و « الماشينة La Machine للآلة أو القطار ،
و « التروبونال » Le Tribunal للمحكمة ،
و « الجار » La gare للمحطة ،
و « الشمان دى فير » Le chemin de fer للسكة الحديد ،
و « الظلاميت » Les allumettes لعيدان الكبريت ٠

الى غير ذلك ، من الكلمات ، والعبارات، وألفاظ الحديث، والتعامل ، وقد عملت الجزائر ـ ولا تزال تعمل ـ على التخلص من مظاهر السيطرة الفرنسية ، والتغلغل الثقافى الفرنسى فيها ٠

نقول ، ان مشكلة، كهذه، هى مشكلة ذات جذور تاريخية، كانت سببا فى وجودها ، ومن ثم ، فان الدارس لأوضاع التربية فى الجزائر ، ينبغى أن يدرك الحقائق التاريخية ، وما تتضمنه من عوامل ساعدت على وجود تلك الأوضاع التربوية ٠

بالاضافة الى ذلك ؛ فان دراستنا لأساليب التربية ، ونظم التعليم ، وبنيته ، ومحتواه فى عصور سابقة ، تجعلنا نقف على نماذج من الماضى ، مما يثرى خبراتنا ، ويوجه أنظارنا الى أنماط سابقة من الممارسات التربوية ، قد تفيدنا فى تفهم واقعنا المعاصر ، ومعرفة ما يتضمنه من أوضاع مشابهة ، وما قد تقدمه من حلول يستفاد منها فى التغلب على مشكلات التربية والتعليم ٠

ومعنى هذا ، اننا نحاول تأصل التربية من منظور

---

(١) يوسف الجزايرلى ـ أرض البطولة (الجزائر) ـ الاسكندرية سنة ١٩٦٤ ـ ص ٥٧٦ ٠

تاريخى ؛ فالعادات ، والتقاليد ، والرصيد الحضـــــارى ، وأساليب الحياة ، وألوان المعرفة ، ووســـائل التثقيف التى يمارسها الناس ، والمفـــاهيم الراسخة فى أذهانهم ، ونظم التعليم التى يقدمونها لأبنائهم ٠٠٠ ليست بالضرورة وليدة حاضرهم ، وانما قد تمتد بأصولها ـ كلها أو بعضها ـ الى أزمنة سابقة ، وامتدت بها الى الوقت الحاضر ، على أن ذلك ، يختلف من مجتمع الى آخر ، اذ ليست المجتمعـــات البشرية على وتيرة واحدة فى تقدمها أو تطورها ؛

هناك مجتمعات ذات سمات معينة فى طرائق تربيتها ، أو تنظيماتها التعليمية ، أو تفوقها فى بعض الفنــون ، وألوان المعرفة ، وعند تقصى طبيعة تلك السمات ، أو ذاك التفوق ، يمكن الوقوف على حقائق تاريخية ، تفيد فى تفسير ذلك ٠

وهناك ، مجتمعات ذات ماض حضارى عريق ، لازمهـا منذ حقبة طويلة من الزمان، وامتد بها الى العصور الحديثة، فكان لهذا ، انعكاساته على صور التربية ، وشئون التعليم، بأوضاعها الراهنة ، باعتبار أن التربية ، محصلة عوامل ، ومؤثرات مختلفة ،

وباعتبار أن الحاضر ، امتداد للماضى ، فان معرفتنا له، وما بينهما من حلقات اتصال ، تعتبر بمثابة أضواء كاشفة تفسر الحاضر ، بالاضافة الى معرفة ديناميكية الحركة داخل المجتمعات البشرية ، وأثر الظروف المختلفة فيها ٠

رابعا ـ النواحى الجغرافية

الجغرافيا هى دراسة الانسان ككائن حى فى بيئته الطبيعية ، يتأثر بها ، ويؤثر فيها ، وللعوامل الجغرافية فى عالمنا المعاصر ـ وكذلك من قبل ـ أثر واضح فى توجيه أساليب التربية ونظم التعليم ، ان لم يكن فى دول العالم كلها ، ففى نسبة كبيرة منها وقد اعترف بهذا ـ قديما وحديثا ـ كثير من مفكرى العالم وعلماء الاجتماع والجغرافيا · والانثر وبولوجيا ، ذلك أن العوامل الجغرافية تتضمن البيئة بسماتها ومكوناتها حيث يعيش الانسان فيؤثر فيها ويتأثر بها ، ونعنى بالنواحى الجغرافية أيضا موقع الدولة ومناخها والى أى مدى يؤثر هذا الموقع وهذا المناخ فى الطبيعة البشرية وبصفة خاصة عن الجانب التعليمى ثم أثر ذلك على نوعيات التعليم ، فمن المعروف أن بيئة الانسان الجغرافية تؤثر الى حد كبير على طبيعة فكره وخياله كما تشكل جانبا كبيرا من خلقه وطباعه، ومن ناحية أخرى ، تؤثر على علاقاته بغيره من المجموعة البشرية ، ففى العصور الغابرة ، نجد أن خيال الشعراء العرب قد أخذ كثيرا مما وجد فى بيئاتهم وكذلك ما تركه الأدباء من كتابات وقصص يدل دلالة واضحة على مدى تأثرهم بالبيئة التى عاشوا فيها واقترنت أساليبهم التربوية بما عاشوه من قيم ومثل وتقاليد تمليها عليهم بيئاتهم الجغرافية وما فيها من مكونات مادية وبشرية، ولا يزال هذا الى وقتنا الحاضر ، فالطبيعة الانسانية تأخذ كثيرا من مقوماتها مما تعايشه من ظروف تحيط بها وما يدور حولها وما تتفاعل معه من قوى تأثيرية متنوعة ؛ فالمناخ ـ وهو أحد مكونات البيئة الجغرافية ـ يؤثر بدرجة غير قليلة فى طبيعة الانسان ؛ عمله ، سلوكه ، وحالته النفسية والمزاجية ، فالبيئات الاستوائية أو المدارية ذات الارتفاع الكبير فى درجات الحرارة ، تأثير واضح على انتاجية الفرد الذى

يعيش فيها وعلى نقيض ذلك يكون العمل فى المناطق ذات المناخ المعتدل ، وبالمثل يكون حديثنا عن النظم التعليمية وما تتطلبه من أبنية وتجهيزات تربوية وغيرها ٠

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فان الواقع الجغرافى ، يملى على المسئولين فى شعوب العالم ، ضرورة وضع نظم تعليمية تتلاءم وهذا الواقع الجغرافى ، فالبيئة الساحلية مثلا تتطلب من المسئولين أن يضعوا فى اعتبارهم ضرورة الافادة مما حولهم من بحار أو أنهار أو محيطات وما يتعلق بذلكمن ثروة مائية ومساقط مياه ومصائد أسماكوبناء سفن وصناعة أسمدة وأصداف وغيرها ، وما يتبع هذا من ملاحة وبحارة وتجارة ٠ ثم صلة ذلك بالنظام التعليمى الذى يخدم البيئة ، ويعد أبناءها للاسهام فى المناشط المتعددة التى تبرز دورهم فى النهوض بها ٠

والبيئة التى تكثر فيها المواد الخام أو المواد الأولية اللازمة للصناعة والتصنيع ، كالبترول والفحم والحديد وغيرها ، هذه البيئة تملى على المسئولين فيها ضرورة الافادة مما تشتمل عليه وبالتالى قيام الصناعات البترولية ومشتقاتها ، ومناجم استخراج الفحم وتصنيعه ومصانع الحديد ومستخرجاته الى غير ذلك ، وهنا لا نغفل الجانب التعليمى فقيام المدارس والمعاهد والمنشئات التعليمية الصناعية والفنية التى تطبق فيها أساليب التكنولوجيا الحديثة ثم القيام بالأبحاث العلمية والتطبيقية التى تخدم البيئة وما يستلزم هذا من اعداد خبراء ومتخصصين وفنيين ، يعتبر ضرورة من ضرورات النظام التعليمى الذى يقوم فى هذه البيئة الجغرافية ٠

اما البيئة التى منحتها الطبيعة خصوبة فى الأرض واتساعا فى رقعتها ، وفائضا من الماء وملاءمة من المناخ ، وكل مسببات الانتاج الطيب،هذه البيئة تتطلب من المسئولين

فيها ـ الى جانب الاهتمام بالأرض ومستخرجاتها وما يقوم عليها من صناعات وادخال ذلك فى حسبان النظام التعليمى حيث المنشئات التعليمية الزراعية وما يتبعها من مصانع قائمة على الزراعة ومستخرجاتها وما يتصل بذلك من استغلال النباتات فى الشئون الطبية وغيرها ومن تربية الماشية ومعلبات اللحوم ومستخرجات الألبان الى جانب اعداد الفنيين المتخصصين فى هذا المجال عن طريق النظام التعليمى الذى يكفل ذلك ٠

أثر آخر للعوامل الجغرافية ، يتضح فى وجود بعض دول العالم فى مواقع جغرافية بعيدة نسبيا عن غيرها من الدول مما يجعلها فى شبه عزلة،الأمر الذى يؤثر على درجة تقدمها ومسايرتها للاتجاهات المعاصرة ، بل انه فى الدولة الواحدة قد توجد مناطق نائية أو مناطق وعرة المواصلات أو مناطق يكثر فيها الترحال ، هذا النوع من البيئات يحول واقعه الجغرافى دون تمتعها بالنظم التعليمية الكاملة والتى تطبق فى غيرها من أنحاء الدولة ٠

ونستطيع أن نلمس جوانب من أثر عوامل الجغرافيا ممثلة فى نوعية المناخ ، ففى الجهات شديدة البرودة ذات العواصف الثلجية والطقس العنيف كبلاد شمال أوربا فى شبه جزيرة اسكندناوة مثل : السويد والنرويج والدانمرك، نجد أن برودة الجو تؤدى الى تأخر بدء التعليم الابتدائى وذهاب الأطفال الى المدارس سنة أو سنتين عن أطفال البلاد المعتدلة المناخ أو الحارة بالاضافة الى ما تقتضيه هذه الطبيعة من شكل المبانى المدرسية والتجهيزات التربوية اللازمة (١) ٠

وفى الدول ذات المساحات الشاسعة والجهات المترامية الأطراف ، يصعب مع هذا الواقع الجغرافى ، اتباع نظام

1. Hans, Nicholas, Op. Cit., pp. 64—65.

تعليمى واحد فى كل أنحاء الدولة ، وبالتالى يرى المسئولون أنفسهم مضطرين الى اتباع أكثر من نظام تعليمى فى الدولة الواحدة تمشـــيا مع الواقع وكوسيلة لتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، ففى بعض دول وطننـا العربى ، توجد مناطق نائية كالمنـاطق الصحراوية أو الجبلية حيث يوجد البدو أو الرحل ، وحتى تتاح فرص التعليم لأبنـــاء هذه المناطق ، تتبع بعض النظم كنظام المدرسة ذات المعلم الوحيد (فى المرحلة الابتدائية) حيث يقوم المعلم بتـــدريس المواد الدراسية (أو معظمها) لتلاميذ الفرق الدراسية المختلفـــة وهم غالبا أعداد قليلة فى كل فرقة ·

وفى «استراليا» تتضح أهمية العوامل الجغرافية بصورة أخرى حيث يشكل سكان المدن الست الرئيسية بها (سدنى ـ ملبورن ـ برسبين ـ أديليد ـ بيرث ـ هوبارت) نحو ٧٤٪ من مجموع سكان استراليا كلها ، وبقية السكان موزعون فى المناطق الريفية المترامية الأطراف ، واذا علمنا أن قارة استراليا تتساوى فى مساحتها مع قارة أوربا لأدركنا الفرق بينهما بالنسبة لتوزيع السكان فيهما ، لا سيما وأن الريف الأوربى مزدحم بسكانه بينمـا يفتقر الريف الاسترالى الى عدد كبير من السكان وعلى سبيل المثال ، تبلغ كثافة سكان الريف فى انجلترا نحو ١٢٠٪ فى الميل المربع الواحد فىحين تبلغ هذه الكثافة فى ريف استراليـــا نحو ١٪ فقط ، وحتى تتيح حكومة استراليا لأبناء المناطق الريفيـــة والجهـــات النائية بها فرص التعليم ، اتبعت أكثر من أسلوب تعليمى ، كالتعليم بالمراسلة ، وكنظام المدرســة ذات المعلم الواحد ، وطريقـــة الزيارات التعليمية وقوافل التعليم المتنقلة (التى تضم المدرسين والموجهين وغيرهم ممن يعملون فى المجال التربوى) وذلك الى جانب انشاء وتأسيس المدارس الابتدائية والمتوسطة ذات الأعداد القليلة فى تلاميذها والتى لا تبـذل السلطات المحلية جهدا كبيرا فى التوسع فى انشائها ·

أما المدن الكبيرة فتحظى مدارسها بكل عناية واهتمام من قبل الدولة ، وهى فى نظمها التعليميـــة لا تقل عن مدارس أوربا وأمريكا فضلا عن وجود جامعات بها ٠ولهذه الأوضاع الجغرافية ـ كما يرى كثير من المربين ـ يعزى أخذ استراليا بنظام المركزية فى ادارة التعليم والاشراف عليه ٠

وفى أمريكا ، نلمس أثرا آخر للأوضاع الجغرافيــة على التعليم ، حيث تتعدد الولايات وتتباعد المسافات بينها ولكل ولاية ظروفها وامكانياتها وتعدادها ، وبالتـــالى يكون من الصعب قيام ادارة تعليمية مركزية واحدة تشرف على نواحى التعليم فى الولايات المتحدة الأمريكية جميعها ، ومن ثم أخذ بنظام الحكومة الفيدرالية (وهى ممثلة للدولة) ولهـــا الاشراف العام على التعليم ، ولكن تترك شئون التعليم من حيث تمويله ورسم سياسته ومنــاهجه والاشراف عليــه للولايات والسلطات المحلية وهنا تطبيق لنظــام اللامركزية وفى نفس الوقت يعتبره الأمريكيون تطبيقا للديموقراطيـــة وتحقيقا لمبدأ تكافؤ الفرص ، وتعبيرا عن الحرية (١) ٠

خامسا : النواحى الاقتصادية

تخضع نظم التعليم للأوضاع الاقتصـــادية السائدة فى المجتمع سواء بالنسبة لتحديد محتوى التعليم ومنـاهجه أو طرقه وأساليبه بصفة عامة والتعليم لا يقصد به مجرد أدوات للمعرفة ، أو محتوى للعلوم أو الفنون ، ولكنه يعنى أيضـا ، أنه وسيلة للتقدم الاقتصادى فى المجتمع ، ولا شك فى ان الامكانيات الاقتصـــادية التى تتوفر لدى الشعوب · تلعب دورا هاما فى النظام التعليمى بهـا ، ومدى تمتع أفرادها بفرص التعليم ونوعياته ، فالتعليم - لا سـيما اذا احسن توجيه هذه الامكانيات الاقتصادية فيما ينفع الناشئين-يمكن ان يؤدى الى اســتثمار طيب وفعـــال ، ذلك ان التعليمَ والاقتصاد صنوان بينهما علاقة تبادلية ، اذ يتأثر كل منهما بالآخر الى حد كبير ، كما اثبتت ذلك التجـــارب والأبحاث العلمية التى أجريت فى هذا المضمار باعتبـار ان العلم هو الســـبيل لاعداد القوى البشرية المدربة واللازمة لتطوير المجتمع وأن الاقتصاد من ضروريات هذا الاعداد ولقـــد ادرك رجال الاقتصاد منذ وقت طويل اهميـــة تنمية المورد البشرى · فنرى « آدم سميث » مثلا يؤكد اهمية التربية فى مواطن كثيرة من كتابه «ثروة الأمم» وقد اوضح بوجه خاص ان القدرات المكتسبة والنافعة لدى سائر السكان او أعضاء المجتمع ، تعتبر ركنا أساسيا فى مفهوم رأس المال الثـابت عنده ، ذلك ان اكتساب مثل هذه القدرات عن طريق رعاية صاحبها فى أثناء تعليمه ودراسته أو تدريبه · يكلف دائما نفقات حقيقية تعتبر رأس مال ثابتا ومتحققا فى الواقع فى شخصـــــه · وكما ان هذه المواهب تعتبر جزءا من ثروة الشخص · فانها أيضا تشكل جزءا من ثروة المجتمع الذى ينتمى اليه (١) ·

---

(١) فردريك هاربيسون ، تشارلز مايرز ، التعلم والقـــوى البشرية والنمو الاقتصادى ترجمة د · ابراهيم حافظ - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٦٦ ص ١٤٠

كذلك يؤكد « الفريد مارشال » أهميـــة التربية بوصفها استثماراً قومياً ويرى أن أبلغ أنواع رأس المال قيمة ، هو رأس المال الذى يستثمر فى الانسان اذ عن طريق الانسان (عقله وفكره ويده بل وحواسه جميعها) يكون تقدم الأمم والشعوب ٠

فالنهضة الصـــناعية ، وحركة التصنيع التى انطلقت فى القارة الأوربية فى القرن التـــاسع عشر ، غيرت المجتمع الغربى بنظمه السياسية - والاقتصـــادية والاجتماعية ، وكانت هذه بوادر التغيرات فى النظم التعليمية ، وفى العقد الثانى من القرن العشرين ، قامت الحرب العالمية الأولى ثم تلتها فى العقد الرابع منه ، الحرب العالمية الثانية ، وما أن انتهت حتى ظهـــرت فى الأفق الدولى ، مـــلامح المجتمع التكنولوجى ، وتجسدت الحياة العصرية فى مختلف نواحيه، وأدخلت على التعليم أنظمة حديثة ، مشتقة من واقع الحياة حوله ، ووضح ذلك فيما أخذت به دول العالم المتقدمة مثل : أمريكا وروسيا ، وانجلترا وفرنســا وغيرها ممن مكنتهم مواردهم المادية والبشرية من قطع شوط كبير فى تقدم عالمنا المعاصر ٠

ثم تتابعت خطى التقدم ،تخطوها دولة بعد أخرى، يعاونها فى ذلك ما تتكشف عنه ثرواتها واقتصادياتها ، مثل اكتشاف حقول البترول والثروة المعدنية ، أو ما استحدثته من أساليب العلم والتصنيع ، أو ما حصلت عليه من استقلال ســياسى حرمت منه فترة طويلة وكان حرمانها سببا فى تخلفها ، ثم بقدر ما يتوافر لأبنائها من ظروف تمكنهم من اللحاق بمواكب العلم الحديث ٠

على أن هناك من الدول ما يقف اقتصـــادها دون اتمام أبنائها مراحل التعليم (والتعليم العالى بصفة خاصـــة) لما يستلزمه من امكانيـــات وتجهيزات واعداد للمعلمين ، ويتضح هذا فى الدول ذات الاقتصاد المحدود كالدول النامية

أو المتخلفة ، الأمر الذى يجعلها توفد أبنـــاءها الى دول مجاورة أو دول أجنبية ذات امكانيـــات علمية واقتصادية كبيرة ولا شك فى أن لهذا الاتجاه مزاياه كما أن له عيوبه ، فتكلفة التعليم العالى بالنسبة لهؤلاء الأبناء قليلة ، كما أن نوعيته أفضل مما قد يوجد محليا فى الدول النامية ، ولكن بقاء الطالب بعيدا عن وطنه فترة طويلة ، قد يشكل صـعوبة فى تكيفه مع بيئته المحلية عنـــد عودته اليها ، الى جانب تفضيل بعض الموفدين من الطلاب البقاء فى الخارج رغبـة فى وظائف أفضل باجر أكثر مما يحصلون عليه فى بلادهم ٠

صـــورة أخرى ، نعرضـــها لتوضيح أهمية النواحى الاقتصادية فى الحياة العلميـة ، ففى أيام كل من : الدولة العباسية والدولة الفاطمية وغيرهما من عصـــور التاريخ الاسلامى ، ازدهرت حركات العلم والفكر والأدب والتأليف والترجمة وقامت المؤسسات التعليميـــة المتنوعة والمجهزة بأفضل ما كان فى العالم آنذاك من تجهيزات علمية وتربوية، وأقيمت المراصد وأماكن التجريب والمستشـــفيات وأتيحت الفرص أمام أبنـــاء الأمة العربيـــة للكشف عن مواهبهم وقدراتهم ، فكان منهم أئمة آلعلم والفكر الذين أخذت عنهم شعوب العالم المتحضر من بعدهم ، لقد لعب الاقتصاد دورا كبيرا فيما أحرزه العرب والمسلمون من تقـــدم ومكنهم من كثير مما بلغوه ،ولعلنا نتذكر ما كان يقدمه خلفاء العباسيين والفاطميين من العطايا والهبات وما كانوا يغدقونه من المنح المالية السخية على العلماء والأدباء والمتخصصين فى فروع المعـــرفة ، جزاءا ، وتشجيعا لما قاموا به ، واستمرارا فى المزيد ٠

مثال آخر ٠نسوقه لمعرفة مدىفاعلية النواحى الاقتصادية فى التعليم ٠ ذلك أنه عندما احتل الانجليز مصر (فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر) حاولت سلطات الاستعمار (وكانت تتولى كل شىء فى البلاد) أن تقلل من نسبة المتعلمين

المصريين فعمدت الى رفع نفقات التعليم وقيمة المصروفات المدرسية التى كانت تتقاضاها آنذاك بحيث لا يستطيع دفعها الا القادرون من الأثرياء والموسرين الذين كانوا يشـــكلون نسبة ضئيلة فى المجتمع المصرى وبالتالى لا تستطيع الفئة الكبيرة من المجتمع أن تتعلم وهذا مما يفيد سلطات الاحتلال فهو يرى أن الشعب الجاهل أسلس قيادا ٠

بينما نرى الاستعمار الفرنسى ، عندما كان يحل فى دولة (كما كان يفعل فى دول أفريقيا) يحاول أن ينشر الثقـــافة الفرنسية واللغة الفرنســـية ويكثر من انشـــاء المدارس والمؤسسات التعليمية وينفق عليهـــا بســـخاء ، ويزودها بالامكانيات التربوية الطيبة الى جانب تقـاضيه مصروفات زهيدة أو جعلها بالمجان فى كثير من الحالات ، وذلك بغيـة اجتذاب أعداد كبيرة من أبناء البلد المحتل ، يدينون بالولاء للدولة المستعمرة ٠

هذان صنفان من الاستعمار ، هدفهمـــــا واحد ، وهو استمرار البقاء فى الدولة المحتلة ولكن وسيلة الوصول لهذه الغاية تختلف من واحد الى الآخر ، انهمـــا وجهان لعملة واحدة ٠

ونود ـ فى نهاية حديثنا عن العوامل الاقتصـــادية ـ ان نشير الى نقطة هامة ، هى، أنه ليس بالاقتصاد وحده ،يكون تقدم الأمم ٠ فالاقتصاد فى ذاته ذو قيمـــة محدودة ان لم يستغل فى سبيل التقدم ٠ وان العلم هو السبيل الأول لهذا التقدم ، فهو الذى يحول الثروات (نقدية، صناعية، زراعية، معادن ، مستخرجات ـ محاصيل ٠٠٠ الخ) عن طريق القوى البشرية ، من مجرد كميات عينية ، الى طاقات تكنولوجيـة متنوعة ، وتقدم ملموس ، فبعض الدول ـعلى سبيل المثال ـ لديها من الامكانيات الاقتصادية ما يرتفع بها الى مصـــاف الدول الرأسمالية ولكنها ليست كذلك بالنسبة للناحيـــة العلمية أو التكنولوجية ٠

كذلك فان الاهتمام الزائد بالاتجاه الصناعى أو العملى واهمال الجانب العلمى أو التثقيفى قد تكون له نتـائج غير مرضية ، لا سيما فى عالمنا المعاصر الذى تتوالى فيه التغيرات السريعة فالأخذ بكلا الاتجـاهين يحقق - بالضرورة فوائد مزدوجة ، وقد عبر « هانز » عن ذلك ، مشيرا الى ما أحرزه الاتحاد السوفيتى ، بقوله :

ان التـأكيد الزائد على النـاحية المادية ، والاهتمام بالتدريب من أجل زيادة الانتاج الصناعى أنمـا يؤدى الى فقدان التراث الثقافى وضياع الشخصية التاريخية للأمة ، أما تصنيع روسيا السريع الذى تم بلا هوادة ، فانه قد عمل على تهديد تقدمهـا الثقـافى لحين ، ولولا أن الحكومة السوفيتية قد شاهدت الضوء الأحمر قبل فوات الفرصـة ، ووجهت اهتمامها الى القيم الثقـافية أيضا بعد فترة من الاهمال ، لما استطاعت أن تنقذ روسـيا من الأثر المميت الناجم عن سيطرة الآلة ، واهمال الجانب الروحى

سادسا : النواحى الحضارية :

ونقصد بهـــا درجة تحضر المجتمع ، وما يعيش فيه من نواحى عمرانية وما يترتب عليها من تقـاليد وعادات ونظم وأفكار ومدى تقبل أفراده للتعليم ونوعيـــة هذا التعليم ثم نوعية المواطنين فى هذا المجتمع ، ومدى استعدادهم للعلم من واقع حياتهم فى مدنهم أو حضرهم، أو ريفهم أو بداوتهم، والى أى مدى يستجيبون للنظم التعليميـــة ، والى أى مدى يتأثرون بها وبما يحدث حولهم من تقدم وتطور ، وأى أسلوب تربوى يجدى معهم ، أسلوب الطفرة ، أم أسلوب التأنى ، أم الأساليب المرحلية التى تقطع شوطا وتتبعه بآخر ؟ وهكذا ، وقد أدرك كثير من المفكرين أهمية التحضر والعمران بالنسبة للتربية والتعليم على مر العصور ، من أمثال العلامة العربى « ابن خلدون » حيث تناول ذلك فى أحد فصول مقدمته ، كما يؤيد هذا فى وقتنا الحاضر ، دراسات متعددة كتلك التى قام بها « فردريك هاربيسون » وتشارلز مايرز عن استراتيجيات تنمية الموارد البشرية ٠

هناك من يرى ، أنه كلما ارتفع المستوى الفكرى العـــام لأبناء الأمة ازدادت درجةحضارتهم وتقدمهم العلمى والقدرة على اعداد القوى البشرية اللازمة لحركة الحياة فيه ٠

وبمعنى آخر كلما ارتفعت درجة المستوى الفكرى العام ، كان النظام التعليمى أكثر كفاءة أما عندما يكون المســتوى الفكرى منخفضا وعندما تكون درجة التقدم الحضـــارى منخفضة أو محدودة فاننا نجد نواحى القصور والتخلف ٠

وهناك من يرى أن للبيئة أثرها الكبير فى درجة التقــدم الحضارى الذى يحدث فى المجتمع ٠ فالمجتمعات الانسانية الأولى كانت مجتمعات بطيئة التغير ، بســـيطة التــكوين والتركيب ، محدودة الحاجات والمطالب والأهداف ، قادرة

على أن تقوم بذاتها ، وأن تعيش منعزلة بعضها عن بعض ، يكتفى كل منهـــا بنفســـه ، حتى ولو كانت قليلة العدد والامكانيات ٠

وعاش الانسان وسط هذه المجتمعات مشغولا بعمل يومه، قانعا ، محدود التفكير والخبرة ، وعندما عرف الانســان القراءة والكتابة ووجدت الحكومات المركزية والدول الكبيرة نسبيا ـ على نحو ما حدث فى وادى النيل ، ووادى الرافدين (العراق) ـ أخذ الانسان يتابع أهم أخباره ومشــاهداته ويحفظ أهم ما يوجد فى تراثه الثقافى من دين وعلم وفن ، ويسترجع تاريخه ويعبر عن آماله ويحدد بعض مشكلاته ، وعنيت الحكومات المركزية بدراسة بعض جوانب الحيـــاة كجزء من وظيفتها فأرسلت البعوث الكشفية للتعـرف على ما فى باطن الأرض وعلى ظهرها وأخذت ترعى نواحى الحياة لشعوبها بحيث أصبحت مسئولياتها أكثر شمولا واتساعا ٠ ثم تعاقبت العصور ولكل منها مقومات الحياة فيه بما شملته من بيئات وتعددت من أسباب ٠ وهناك رأى الاقتصاديين ، اذ يرى فريق منهم أن تقسم الدول من حيث التقدم الحضارى الى نوعيات يكون الاقتصاد أساسها فالبلد المتقدم حضاريا، هو البلد الذى يستطيع أن يتمتع بنظام اقتصــادى صناعى متقدم ، وبالتالى فهو بلد قادر على التوصـــل الى أعظم الاكتشافات العلمية والتكنولوجية لأن لديه رصــيدا كبيرا نسبيا من القوى البشرية العالية المســتوى فى كثير من التخصصات التى تتطلبها الحياة المعاصرة ٠

ثم تأتى بعد هذا نوعيات أخرى يكون الاقتصــاد قاسما مشتركا بينها وأساسا لتقدمها ٠ على أن المهتمين بالتربيــة والتعليم يرون تدعيما لهذا الرأى أن ترتبط درجة الحضارة بحركة التعليم فى الدولة ومدى الاقبـــال عليه ، ونسبة المتعلمين بها،ونوعيات التعليم وما يقدم من خدمات تعليمية، ثم يربطون ذلك بنسبة الأمية فيها وأثر ذلك على الانتـــاج

والنمو الاقتصادى ، الى جانب القـــدرة على الاستثمار البشرى أو التنمية فى الانسان فى ضوء المعايير الحديثـة وما تراه كل دولة ، فمن الدول ما يؤكد فيهـــا على التعليم فحسب ويراه كفيلا بتقدمها وهى من أجل هذا تهتم بالناحيتين النظرية والتطبيقية وتنفق عليه بسخاء رغبة فى الحصــول على عائد أكبر ممثلا فى ناحيتيه الاقتصادية والاجتماعية ٠

ومن الدول ما يعنى فيه بالناحية التثقيفية الأكاديمية الى جانب القليل من الناحية العلمية التكنولوجية ٠

ثم هناك من الدول من لاتمكنه امكانياته الاقتصادية على مسايرة الحياة المعاصرة ـ كالدول شديدة التخلف ـ وبالتالى يكون للهيئات الدولية نصيب كبير فى دعمها ومقاومتها على التقدم ٠

والواقع أن الاقتصـــاد عامل هام من عوامل التقـــدم الحضارى ، ولكن لا بد من القوى البشرية المدربة ، فمن أهم مقومات نجاح التقدم الحضارى ، نوعيـــة القوى البشرية ومدى استجابتها للتقدم والظـــروف التى تمكنها من ذلك كالعوامل السياسية ونظام الحكم ومدى استجابة القائمين على السلطة فى الدولة ومدى طموحهم أو قناعتهم أو عدم اكتراثهم بمقومات الحضارة لسبب أو لآخر ٠

وهنا لنا أن نتساءل ، ما المقاييس التى يمكننا بواسطتها قياس الحضارة ؟ ٠

هل بنوعية الشعوب ؟ أم بماضيها العريق ؟ أم بحاضرها المشرق ؟

وهل بمقاييس عالمنا المعاصر الذى يتسم بسرعة التغير ، وتنوع التطور ، وتقدم العلوم والتكنولوجيا ، وتعدد نواحى المعرفة ، وكثرة الاكتشـــافات والمخترعات التى لا تلبث أن

تتجدد ويضاف اليها المزيد ، سواء لرفاهية الانسان وسعادته أو لدماره ونكبته ؟

الواقع ، أن كل ذلك يؤثر فى أساليب التربية ونظم التعليم وفىحياةالبشرية عامة ٠لقد سبقتعصرنا ،عصور لها ماض عريق ، وشعوب ذات حضارات أصيلة ولكنها كانت تتلاءم وطبيعة الحياة التى عاشتها والزمن الذى عاشت فيه ،فهناك حضارة وادى النيل وحضارة وادى الرافدين (العراق) وهناك الحضارة اليونانية والحضارة الفارسية ، وغيرها من الحضارات التى ملأت سمع الدنيا وبصرها بالكثير من ألوان العلم والفكر والفن ، ولكن هذه الحضارات كانت كلها متلائمة مع زمانها وطبيعة عصرها ، وبالتالى كانت لها أساليبها فى التربية ونظمها فى التعليم ، وفى نفس الوقت ، عاشت معها وزامنتها ، دول ذات حضارات متخلفة أو لم تستجب لمقومات التحضر المنتشرة آنذاك ، تماما كما يحدث فى عالمنا المعاصر ، حيث توجد دول قطعت شوطا بعيدا فى طريق التحضر ، ودول تسير على الطريق ثم هناك دول لا تزال تحبو تجاه هذا الطريق ٠

هل نقيس هذا المزيج من حضارات الشعوب بمقياس واحد ؟ فنقيس الحاضر بمقياس الماضى ؟أم نضع الماضى تحت مجهر الحاضر ونقيمه ؟

ان الموضوعية تقتضى أن يكون لكل عصر « معايير » ٠
على أنه من العوامل التى يمكن أن تتأثر بها درجة التحضر فى عالمنا المعاصر ، العوامل الآتية :

أولا : مكونات البيئة ، ومدى تفاعلها مع مقومات الحضارة المعاصرة ، وانفتاحها على مجالات العلم والفكر والاقتصاد ٠

ثانيا :نوعيات التحضر، من عمران، واقتصاد ،وتصنيع،

وتعليم ، واعلام ، وفنون ، وآلات حديثة ... الخ .

ثالثا : درجة البعـــد الجغرافى عن مراكز الاشـــعاع الحضارى بأنواعه (مثال ذلك : بعـد الريف عن الحضر ، القّرية عن المدينة ، عوائق الاتصال) .

رابعا : مدى فاعلية وسائل الاتصال بين البيئة وغيرها مما يدعم درجة التحضر .

خامسا : المؤثرات التى قد توجد فى البيئة ، (عادات ، تقاليد ، نظم اجتماعية) ومدى فاعليتها فى تقبل الحضارة .

سادسا : درجة اســـتجابة القوى البشرية لنوعيـــات التحضر فى بيئاتهم .

سابعا : ما قد ينتج من مشكلات عن التقدم الحضـــارى (المعاصر بصفة خاصة) مثل :

— ضعف الروابط الأسرية نتيجة لتزايد فرص العمل أمام كل من الرجل والمرأة .

— اهتزاز القيم الدينية والاجتماعية .

— انحرافات الشباب لتدهور الأخلاقيات .

— الحريات الزائدة (لدرجة الفوضى) أمام الشباب بدعوى التربية الاستقلالية .

سابعا : النواحى اللغوية :

اللغة وعاء الثقافة ، كما هو معروف ، ولكل مجتمع لغة قومية ، يتخذها وسيلة للتعبير والاتصال ، ويتوارثها الأبناء عن الآباء ، الأمر الذى أدى باللغات القومية الى أن تصبح جزءا لا يتجزأ من ميراث الشعب وقطعة من ماضيه وحاضره ومستقبله مهما تعرضت ظروف حياته لهزات طارئة وأحداث تشكل خطرا على مواطنيه ٠

ولكن بالرغم من هذا ، هناك دول اضطرتها الظروف الى التحدث بلغة أو لغات غير لغتها الأصلية لفترة من الزمن ، وهناك دول ، تلعب لغة التعليم فيهـــا دورا كبيرا قد يمثل مشكلة فى المجال التربوى ، على أن هذه المشـــكلة تكون نتيجة لبعض الاحتمالات ، منها :

(أ) الهجرة الجماعية :

وتكون على هيئة جمـــاعات كبيرة من بلد الى آخر ، مع التفاوت الثقافى للمجموعة الوافدة ثم ما يعقبها من تذاوب وانصهار مثلما حدث فى كل من الأمريكتين ، واستراليـــا ، ونيوزيلندا ٠

(ب) فرض اللغة بالقوة :

ويكون ذلك عن طريق سلطة أجنبيـــة حاكمة ، كما حدث فى « الجزائر » عن طريق « فرنسا » وكما حدث فى « الهند » عن طريق « انجلترا » وغيرهما ٠

(جـ) فرض اللغة لظروف معينة :

ويكون نتيجة للغزو أو الفتوحات الحربية والعســكرية ،

كما حدث فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى ، والأخذ بمبدأ ثنائية أو ازدواج اللغـــة وغالبا ما يكون فرض اللغـــة على الغالبية العظمى من السكان ، مع اتاحة الفرصة أمام الأقلية لاستخدام لغتها ، وهذه ، تكون فى الدول التى بها قوميتان أو أكثر مثل الاتحاد الســـوفيتى بجمهـــورياته المتعددة ، والعراق حيث الأكراد وبقية العراق والســـودان بشقيه الشمال والجنوب ٠

وقد يؤخذ بمبدأ ثنائية اللغة كضرورة قوميـــة فى الدول التى توجد بها قوميتان أو أكثر لمدة طويلة دون أن تستوعب احداهما الأخرى ، ففى هذه الحالة يكون للغتين مكانة قومية متساوية ، وتقتضى ضرورة الحياة وحسن الجوار الى جانب الضرورات السياسية والاقتصادية أن يتعلم السكان اللغتين، وهذا هو الحال فى كل من : بلجيكا وسويسرا ، وكويبك فى بينهم الآن » (١) ٠

ونستطيع أن نلمس أهميـــة اللغـــة فى النظم التربوية والتعليمية بأمثلة من واقع حياة الشعوب ، فاذا رجعنـــا الى الفترة التى احتلت فيها فرنسا الجزائر ، نجد أن من الأمور التى تمسكت بها فرنسا أشد التمسك فى سياستها التعليمية فى الجزائر هو اهمال اللغة العربية اهمالا كليا ثم مكافحتها مكافحة فعالة ، وتركيز الجهود حول نشر اللغة الفرنســـية وجعلها لغة التعليم لجميع مواد الدراسة فى جميع المدارس بدون استثناء ، وقد أصدرت فرنســـا عدة قرارات تنظم ما تهدف اليه ، ومما جاء بأحد التقارير الرســـمية فى هذا الشأن : « ان ايالة الجزائر لن تصبح حقيقة ممتلكة فرنسية الا عندما تصبح لغتنا لغة قومية فيها والعمل الجبـــار الذى يترتب علينا انجازه هو السعى وراء نشر اللغة الفرنســـية

---

(١) أبو خلدون (ساطع الحصرى) - حولية الثقافة العربية (السنة الثانية) - الادارة الثقافية جامعة الدول العربية - القاهرة ٥٠ - ١٩٥١ ص ٤٧٢ ٠

بين الأهالى بالتدريج الى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن » ٠

ومع أن اللغة الفرنسية تركت بصماتها على الشخصية الجزائرية بعض الوقت وحاولت أن تلتهم اللغة العربية وتحل محلها عند الجزائريين ، الا أن اللغة العربية بقيت هى اللغة القومية الأصلية مهما علق بها من الشوائب وأعادتها الجزائر لغة التعليم بها بعد حصولها على الاستقلال سنة ١٩٦٢ ٠

وعندما احتل الانجليز الهند حيث تتعدد اللغات القومية وتختلف باختلاف المقاطعات والولايات الى درجة تجعل من الصعب على أبناء احدى المقاطعات الهندية التفاهم مع أبناء المقاطعات الأخرى لاختلاف اللغة القومية ، وجدوا أن أفضل طريقة لخدمة مصالح الاستعمار الانجليزى هو جعل الانجليزية هى الدعامة الأساسية لكل مراحل التعليم بالهند، وبالتالى ، صارت الأداة الوحيدة للتفاهم بين أبناء الولايات والمقاطعات الهندية المختلفة ٠

كذلك عندما احتل الأتراك العثمانيون معظم البلاد العربية ـ ومن بينها مصر ـ بذل الحكام الأتراك قصارى جهدهم للقضاء على اللغة العربية وحاولوا « تتريك » البلاد لغة وتعليما وتعاملا فى الدواوين والمكاتبات ، غير أن اللغة العربية وقفت صامدة وظلت هى اللغة القومية للشعب المصرى والشعوب العربية عامة ولم تستطع اللغة التركية أن تقف أمام أصالة اللغة العربية وعمق جذورها فى الوطن العربى ، ولم تترك سوى بعض الألفاظ الدارجة ، وقليل من الاصطلاحات مما كان يستخدم فى تصريف الشئون السياسية والعسكرية للدولة ٠

وقبل أن نترك العامل اللغوى الى عامل آخر يؤثر فى توجيه نظم التعليم نرى أن نشير أيضا الى تجربة الاتحاد

السوفيتى حيث تتعدد الجمهوريات والقوميـــات واللغات واللهجات ، حيث فرض تعليم اللغـــة الروســية فى كافة الجمهوريات بحيث أصبحت لغة رسمية فى التــدريس فى جميع مراحل التعليم ، تعلم جنبـــا الى جنب مع اللغـــة الاقليمية الخاصة بالجمهورية، كما تستعمل كلغة رسمية فى جميع المؤسسات العامة بحيث يستطيع الفرد من جمهورية فى شمال الاتحاد السوفيتى أن يتخاطب بسهولة مع آخر فى جنوبه ، مستعينا فى ذلك باللغة الروسية ٠

ثامنـا : النواحى الدينية :

يعتبر الدين من ألصق العواطف الانسانية التى تتصـل بالبشر والتى تعبر عن مكنون نفوسـهم ، وتوجه - الى حد كبير - سلوكهم فى الحياة ، وتؤكد هذا ما تنـاولته كتابات المفكرين والمربين عبر العصور ، فالدين وما يتضـمنه من روحانيات لا يتعارض مع مقومات الحيـاة المادية بل انه يدعمها ويثبت كيانها ، ونلمس هذا فيما يقوم به الانسان من أعمال مبنية على دوافع نفسية تتصل بالعقيدة والايمـان والتقديس ، فهو يبذل قصارى جهده ، بل ويستميت فى أن يصل الى غاياته تلك ، لأنه يرى فى الوصول اليها تحقيقـا لذاته واشباعا لرغبة ملحة ،فضلا عن احساسه برضا خالقه والتماس المزيد من رضـاه ، والدين يعتبر أقوى المؤثرات الروحية لأنه يتصل بالانسان ككل وليس بجـانب واحد من جوانب شخصيته ، فضلا عن تغلغله فى الأعماق الوجدانية للانسان ، ولذلك فان التراث الدينى اذا ما شـمل الأمة بأسرها ، فانه يصبح واحدا من خصائص الملامح القوميـة التى تستمر بعد ذلك عن طريق التربية ، وبعض المجتمعـات يخضع لموجهات دينية معينة ، وقد تكون متوارثة جيلا عن جيل ، وهى ترى فى الحفاظ عليها ، حفاظا على تراثهـا الثقافى ، وهى من أجل هذا تضع نظامهـا التعليمى وفق أسس ومبادىء دينية معينة بحيث تؤدى كل مرحلة تعليمية ، مهمة معينة ، وهى بالتالى تؤدى الىمرحلة أخرىذات هدف معين ، وهكذا ، حتى اذا أتم الفتىأو الفتاة مراحله التعليمية يكون قد أتم معها تشرب قدر من الثقافة الدينية والثقـافة المدنية أو الدنيوية تمكنانه من الاسهام فى بنـاء مجتمعه وتقدمه واذا كان الدين فى مفهومه لدى الناس يعنى الولاء والخضوع والطاعة ، واتباع ما يأمر به والبعد عمـا ينهى عنه ، فان تأثيره بالنسبة للجـانب التربوى والتعليمى فى حياتهم لا يقل أهمية عن تأثيره فى حياتهم العامة .

ففى العصور القديمة ، لعب الدين دورا هاما فى حياة قدماء المصريين ، وليس من شك فى أن طبيعة الحياة المصرية ، قد أعطت زمامها منذ قومتها الىرجال الدين الذين سيطروا على كثير من نواحيها ، فنظموا للناس أمور دنياهم وربطوها بمصيرهم فى الآخرة ، فهم قد شرعوا القوانين ودونوا الدواوين وسيطروا على الثقافة العقلية والروحية ، وكان الدين بما احتوتهم عقيدتهم (الايمان ، بالمعبود ، تعدد الآلهة والمعبودات - فكرة البعث والخلود ... الخ) منطلقا يتخذون منه أساليب تربيتهم ونظمهم التعليمية ، مهتدين بما لديهم من ايمان وما وقر فى نفوس الناس من عمق العقيدة وما استقر عندهم من تسلط قوى غيبية يؤمنون بها فالأدعية والوصايا والحكم والكتابات والقصص نجدها تتسم - الى حد كبير - بالطابع الدينى ، وتعلم قدماء المصريين الحساب والهندسة (والمعمارية بصفة خاصة) بل وبرعوا فى الرياضيات عامة . وربطوا ذلك بمعتقداتهم الدينية ، كبناء الأهرامات والمعابد ومعرفة مقاييس النيل ، نهرهم الخالد الذى يقدسون ،وعرف المصريون القدماء الطب قبل أكثر شعوب الأرض ، وكانت لهم فيه شهرة فائقة، عرفوه بعد ما أنفقوا من وقت وجهد فى معرفة أسرار الجسد وتشريحه ، ونظموا له دراسة واضحة على أسس وقواعد تدل على فهم عميق ودراية واسعة ، وحسبنا أنهم عرفوا التخصص فى فروع الطب ، وعلى الرغم من ذلك ، لم تكن هناك كلية أو مدرسة خاصة للطب ، وانما كانت ملحقة بالمعبد كبقية المدارس أو المعاهد التى عرفت آنذاك (١) .

وفى العصور الأولى للمسيحية (القرون الثلاثة الأولى) اتسمت التربية لدى الشعوب التى اعتنقتها باهتمامها بالجانب الأخلاقى ، وأطلق على هذه العصور « عصور

---

(١) د . احمد بدوى د . محمد جمال الدين مختار - تاريخ التربية والتعليم فى مصر - الجزء الأول - العصر الفرعونى . الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٤ ص ٨٤ .

التهذيب المدرسى » واعتبر رجل الدين هو المعلم ، ولكن فى العصور الوسطى أو عصور الظلام الفكرى فى أوربا ،تطرف رجال الكنيسة وأغرقوا فى نظـــرتهم الى الدين فاعتبروا المسيحية دين زهد وعزله وبعد عن مباهج الحياة ونعيمها حتى يتم النقـــاء الروحى والكمال البشرى ، حتى حيل بين عقل الانسان والعالم المحيط به ورفضت الكنيسة دراســة العلوم المختلفة (والتى كان المسلمون يجيدونهــا فى ذلك الوقت) واقتصر التعليم على الدراســـات الدينية وبعض العلوم المحددة ، واعتبر البعد عن ذلك ، خروجا عن تعليم الكنيسة ، واستمرت هذه النظرة الى أن تغيرت الأوضــاع بقيام حركات الاصلاح الدينى والفكرى التى بدأها « مارتن لوثر » فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى .

وتذكرنا عصور الظلمة والتأخر فى أوربا بما حدث فى الوطن العربى أثناء فترة الاحتلال التركى العثمـــانى له ، وفهم الدين الاسلامى فهما محدودا ضيقا ومخـــالفا تماما لطبيعته وما ينادى به ، ثم ضرب حصار ثقافى وفكرى على الشعوب العربية طوال أربعة قرون (منذ سنة ١٥١٦ حتى أواخر القرن التاسع عشر) كانت كلها وبالا على مقـــدرات الحياة فى الوطن العربى ونلمس أثر الدين الاســـلامى فى توجيه الحياة الفكرية فى صورة أخرى ، ومغايرة للصـــورة السابقة ، ذلك أنه قد فهم بفكر واع وعقل متفتح يتمشى مع طبيعة الاسلام ، فكان من المسلمين ؛ الفقيه الطبيب ، والفقيه الفلكى ، والفقيه المهندس ، والعالم الطبيعى ، والكيمائى ، والجغرافى ، والمؤرخ والرحالة ، والرياضى الى غير ذلك من التخصصات التى يجمع أصحابها بين العلم والدين ، وذلك كما حدث فى عصور العباسيين والفــاطميين وغيرهم ممن ازدهرت فى عهودهم العلوم والفنون ، والتى أخذت منهـــا أوربا كثيرا من ألوان حضارتها وأسباب تقدمها فى العصور الحديثة .

نوعية أخرى ، توضح موقف الدين بالنسبة للحيـــاة

التعليمية ، ففى فرنسا مثلا ، تجد الحكومة تصدر مختلف القوانين لتدعيم سلطة الكنيسة (هذا عندما تكون العلاقات حسنة بين الحكومة ورجال الدين) ففى سنة ١٨٣٢ صدر فى فرنسا قانون التعليم الابتدائى المعروف بقانون « جيزو » وقد خول هذا القانون للكنيسة حق الاشراف الفعلى على المدارس الابتدائية ، كذلك صدر فى ١٨٥٠ قانون آخر عرف بقانون « فالو » وقد أعطى رجال الكنيسة من الكاثوليك ، سلطة مطلقة للاشراف على المدارس،كما منحهم حق التفتيش فى جميع معاهد التعليم فى شتى مراحله ، وتحويل المدارس الحكومية الى مدارس كاثوليكية) وقد قيل تبريرا لهذا الاجراء إنه يؤدى الى اقتصاد النفقات الباهظة التى تتكبدها الدولة فى سبيل نشر التعليم) .

غير أنه حدث فى عهود أخرى أن خاصمت الدولة الكنيسة وكفت يدها عن ممارسة مهنة التعليم ، وقد كان قانون سنة ١٨٠١ الذى حظر على الهيئات الدينية فى فرنسا التدخل فى شئون التعليم ، ومن أمثلة هذه القوانين مما حمل الجماعات الدينية فى فرنسا وعلى رأسهم جماعة العذاريين ، والفرير، والجيزويت وغيرهم الى الهجرة من فرنسا ، والنزوح الى بلاد غريبة يمارسون فيها نشاطهم الذى حرموا منه فى أرض الوطن (١) .

على أنه فى بعض الأحيان تكون العوامل الدينية أحد أسباب جعل التعليم على نظامين تعليميين ، دينى ومدنى ، كما حدث فى بعض البلاد العربية التى احتلها الانجليز أو الفرنسيون ابان القرن التاسع عشر ، حيث وجد تعليم دينى تتولاه هيئات أهلية مع اشراف طفيف من قبل الحكومة ، وتعليم مدنى تشرف عليه الحكومة وتهتم به ومما تجدر الاشارة اليه ، أنه يوجد من بين دول العالم ، ما يمنع فيها

---

(١) د . نعيمة محمد عيد - اللغات الأجنبية - مرجع سابق ص ٥١ .

انشاء المدارس الدينية ذات المذهب المعين من قبل جماعة دينية أخرى ، ففى أسبانيا حيث تشتد النزعة الدينية الكاثوليكية التى يدين بها معظم السكان ، يحرم على البروتستانت انشاء أى مدارس لهم ٠

وهناك بعض الدول ـ كما فى أمريكا وفرنسا ـ ليس لها طابع دينى رسمي فلا تدخل مناهج الدين فى برامج التعليم العام ، وتترك هذه المهمة للكنائس والأسر ٠

وبعض الدول يتخذ موقفا وسطا فيدخل مناهج الدين ضمن المناهج الدراسية ، كما فى انجلترا ٠ أما فى الدول العربية والاسلامية ، فان التعليم العام يلتزم بتعليم الدين الرسمى للدولة، مع الاعتراف بحقوق الأقليات أو المجموعات الدينية الأخرى ، مع التفاوت فى خطة دراسة الدين من دولة الى أخرى ، ويصل الأمر ببعض الدول الاسلامية الى انتقاء نوعية المعلمين الذين يعملون بها ٠

أما الدول الشيوعية (أو دول الكتلة الاشتراكية) فلا يسمح فيها بالمدارس الدينية على الاطلاق ، ذلك أن الفلسفة الأخلاقية التى تسعى المدارس فى الدول الاشتراكية الى غرسها فى تلاميذها هى الفلسفة المادية ، فالماركسية تنظر الى الدين على أنه نوع من الخداع ،وأنه يبعد أنظار الانسان عن بحث مشكلاته الحقيقية ، ومن ثم تقوم حملات ضد الدين من وقت الى آخر فى معظم الدول الاشتراكية ، غرضها الأساسى ، استبدال الدين بمعيار أخلاقى آخر ، معيار اجتماعى يقول ان ما ينفع الانسانية هو المعيار الصحيح ٠

تاسعا ـ النواحى الفلسفية :

ونعنى بها ، الاطار الفلسفى ، الذى تتم فيه عملية التربية ·

وفلسفة الموضوع ، تعنى معرفة حقيقته ، وفهمه بعمق فهما صحيحا ، ونحن ، عندما نتعرض لدراسة طبيعة التربية فى مجتمع من المجتمعات البشرية ، ينبغى أن نتعرف على حقيقة هذه التربية ، ودوافع الأخذ بطرائقها ، وأساليبها ··· فهذا المجتمع يأخذ بأساليب تربوية معينة ·· لماذا ؟ ولماذا لم يأخذ بكذا ؟ ويترك كذا ؟ ما حقيقة ذلك ؟ ·

واذا رأينا مجتمعا يطبق نظما تعليمية معينة مع أبنائه ، فنحن نحاول تفسير ذلك ، على أسس موضوعية ، من واقع حياته واذا رغبنا فى تفسير السلوكيات ، والتقاليد التى يتسم بها أحد المجتمعات ، نجد أنفسنا مضطرين لمعرفة الأسباب التى أوجدتها فنحن ، هنا ، نفلسف الواقع ، أو نتحرى حقيقته ،

فالنواحى (أو الأصول) الفلسفية للتربية ، نعنى بها معرفة الحقائق ، أو الموجهات التى أوجدت نظم التربية بالصورة التى هى عليها ، من أوضاع ، وتنظيمات ، ووسائل ، ولماذا أخذت بهذه ، دون غيرها ·

وبعبارة أخرى ، اذا كانت الفلسفة ، تعنى فهم الحقيقة ، أو البحث عنها ، فان الأصول الفلسفية للتربية ، تعنى فهم حقيقتها ، عن طريق فهم دوافعها ، ووسائلها ، ومدى ارتباطها بواقع الحياة فى المجتمع ،وكيفية تطبيقها ، ثم المشكلات التى قد تعترضها ، وكيفية التغلب عليها ، وكذلك غايات التربية ، ومدى الوصول اليها ، وكيف يمكن الافادة منها فى ظروف مماثلة ؛

فاتباع مجتمع لسياسة تعليمية معينـــة ، يستلزم معرفة الفلسفة السياسية ، والفلسفة الاجتمـاعية ، والفلســفة الاقتصادية ··· لهذا المجتمع ، وصلة ذلك ، بالنشـــاط التربوى فيه ،

فالركائز الفلسفية للتربية ، يقصـــد بها ، الاتجاهات الفكرية ، والمعنوية ، التى تتدخل فى ديناميكية التربيـــة ، وترسم مسارها فى المجتمع ·

وباعتبار أن مهمة الفلسفة ، تتضمن بحث ، ودراســة أوضاع المجتمع ، والموازنة بينها ، لاختيار المناسب منهـــا لحياة الأفراد ، والعمل على اقراره ، وتدعيمه فى المجتمع·

وبعبارة أخرى ، اذا كانت الفلسفة ، هى ذلك النشـــاط الثقافى ، الذى يعبر فكريا عن أوضاع الثقافة ، ومشكلاتها، ويحاول تعديلها ، وتطويرها ، فان التربيـــة ، هى ذلك ، المجهود العلمى ، الذى يهدف الى ترجمة قيم هذه الفلســفة الى عادات ، واتجاهات ، ومهارات سلوكية لدى الأفراد ·

واذا كانت الفلسفة ، تهدف الى الوصول الى مفـــاهيم واضحة بشأن الفرد ، والمجتمع ؛ بقيمه ، ونظمه ، فانهـــا تعتبر ذات وظيفة خلقية ، ومنها تستمد التربيـــة صفتها الخلقية ، والتى قوامها ، الاختيار بين أنواع مختلفـــة من القيم ، والمفاهيم ، على أســـاس الدراســـة ، والتحليل للأوضاع الثقافية ، وما يحيطها من تغيرات ·

واذا كانت التربية، تشتق وظيفتها من المجتمع، باعتبارها عملية اجتماعية ،

وأن الانسان ، هو غايتها ، باعتباره موضوع التربية ، وأن الحياة الجيدة ، هى وسيلتها لبلوغ هذه الغاية ،

فان الركائز الفلسفية للتربية ، من وظيفتها ، البحث فى هذه الأمور الثلاثة ، باعتبارها ، وحدة متكاملة ، تشكل جوانب التربية ، وبنيتها ،

بالاضافة الى وظيفتها ، فى ابراز العلاقات، والارتباطات بين عناصر العمل التربوى ·

وعلى ذلك ، فان الأصول الفلسفية للتربية ، تجيب على التساؤلات التالية :

- ما المقتضيات الاجتماعية ، أو السياسية ، أو الاقتصادية ··· التى تدعو الى الأخذ بهذا الأسلوب أو غيره من التربية ، أو التعليم فى مجتمع من المجتمعات ؟
- ما الهدف الذى ترمى اليه دولة ، أو شعب من تطبيق تنظيمات تربوية معينة ، بذاتها ؟
- ما الصلة بين طبيعة المجتمعات -بما فيها من قيم، ومثل- ودرجة تعليم شعوبها ؟
- ما الصلة بين طبيعة الانسان - كفرد - وأساليب تعليمه، والمناهج التى تشكل توجيهه ؟
- ما وجهة نظر المسئولين عن التربية والتعليم فى المجتمعات عندما يأخذون بطرائق بعينها ؟
- ما الحكمة وراء تطبيق نظريات أو فلسفة خاصة فى حياة مجتمع من المجتمعات ؟
- ما الأيديولوجيات الكامنة وراء أساليب التربية فى المجتمعات ؟
- على أى نسق ، أو وتيرة ، أو منوال ، يكون نوع التربية فى المجتمعات ؟ وكيف ؟

وعلى سبيل المثال :

(فى العصور القديمة) :

ـ لماذا كانت التربيـــة عند قدماء المصريين ، تهدف الى أستمرار ثقافتهم ، وبقائها ؟ ولماذا ، كانوا أشد النـاس حرصا ـ فى زمانهم ـ على مقدساتهم الدينيـــة ، حتى وضح ذلك فى نظمهم التعليمية ؟؟

ـ ولماذا كانت التربية الاسبرطيـة ، على طرفى نقيض مع التربية الأثينية فى المجتمعات الاغريقية القديمة ؟

ـ ولماذا انتهج الرومان سياسة اعداد المواطن المحـارب ، الشجاع ، والمواطن المحب للعمل ؟

ـ ولماذا انتشرت الخطـــابة فى أيام الرومان ، وانتشرت مدارسها ، والمؤلفات التى تتحدث عنها ، والكتاب الذين يتحمسون لها ؟

(وفى العصور الوسطى ، والحديثة) :

ـ لماذا عنى المسلمون فى حياتهم التربوية ، والتعليميـــة بالدين والدنيا معـــا ، كمفهوم متكامل لطبيعـــة الدين الاسلامى ؟ بينما لم يكونوا كذلك ، فى فترة الاحتـــلال التركى لدول الوطن العربى ؟

ـ لماذا اتبع « محمد على » ـ أثناء حكمه لمصر ـ ما نسميه سياسة « الهرم المقلوب » فى نظام التعليم ، بينمـا تولى الدولة الآن (وكذلك دول العالم) اهتمامهـــا بالتعليم الابتدائى ، كقاعدة عريضة ، وأساسية لبقيـــة المراحل التعليمية ؟

ـ لماذا ، تسمح الدول الرأسمالية ـ فى عصرنا الحاضر ـ بوجود المدارس الخاصة ، والطائفية بها ؟ بينما تمـانع الدول الشيوعية فى اقامتها ، بل ، وتحاربها ؟

وهكذا ، تتناول الأسس الفلسفية للتربية ، بحث طبيعـة التربية ، من حيث أوضاعها الأيديولوجية فى المجتمع ٠

عاشرا النواحى النفسية :

ونعنى بها ، الأسس النفسية ، التى ترتكز عليها سلوكيات المجتمع ، من خلال ما يتمرسه أفراده من أنماط فى حياتهم ، وأساليب تربيتهم ، ونظمهم التعليمية ،

وهى أيضا ، من السبل الهامة التى يتم بها تحقيق أهداف التربية فى المجتمع ؛ باعتبـــار أن علم النفس يمكنه تحويل نظريات التربية الى سلوكيات ، وعادات ، يمارسها الأفراد٠ وبعبارة أخرى ؛

هى الاطار النفسى ، الذى تتم داخله عملية التربيـــة ، فالتربية ـ كما سبق أن أوضحنا ـ لا تتم فى فراغ ، وأنهـــا تتم فى وسط اجتماعى ، من البشر ، وأن الانسان هو محور التربية ، وبه يتم النشاط التربوى ،

وبالتــــالى ، فان ما يوجد فى المجتمع من منشئات ، ومؤسسات ، وأجهزة ، وأدوات ٠٠٠ تكون مجرد أشـــياء تشغل حيزا من الفراغ ، ولكن ، عندما يحـركها الانســان أو يستخدمها ، تصير ذات فعالية ملموسة وتبرز قيمتهـا ، ووظيفتها فى المجتمع ؛

فالانسان ، هو الذى يرسم ، ويخطط لحياته ، وهو الذى ينظم ، وينفذ ، وهو الذى يعمل ، ويمارس ، وهو الذى يدرك معنى الحياة ، ويعمل من أجلها ٠

والأصـــول النفســية للتربية ، من وظيفتها ، دراســة السلوك الانسانى ، وتفسير الطبيعة البشرية ٠

ولما كانت التربية تتأثر بالمجتمع ، وثقافته ، وهى فى هذا، تنصب على الانسان الفرد ،

وهى عندما تقوم على دراسة المجتمع والثقافة من أجـل

توجيه العمل الفردى ، وتنظيم الخبرة التربوية ، فانها تعتبر الانسان الفرد ، نقطة البداية لهذا التوجيه ٠

ولما كان المحتوى العلمى للتربية ، يقوم على عدد من العلوم (مثل علم الاجتماع ، والفلسفة ، والاقتصاد ، والسياسة) ، فان علم النفس ، يحتل مكانة بارزة وهامة بين هذه العلوم ، باعتباره يتناول الانسان ، محور التربية ، وصانعها ٠

ولهذا ، تأخذ التربية من علم النفس (بفروعه المختلفة) الكثير من القوانين لتطبيقها على التعلم ، وتفسير السلوك الانسانى من أجل ضبطه ، واختيار وسائل توجيهه ، ومعرفة الفروق الفردية بينهم ، وتقويم تقدمهم ،

ومن ثم ، فان هذا ، يفسر اهتمام القائمين على أمور التعليم ، والتوجيه بالوقوف على معرفة خصائص التلاميذ فى كل سن من أعمارهم ، وفى كل مرحلة تعليمية ،

ويتساوى فى هذا الاهتمام ، كل من المعلمين ، وواضعى المناهج ، ومؤلفى الكتب الدراسية ، وغيرهم ٠

وبالتالى ، فان الأصول النفسية للتربية ، تجيب عن الأسئلة الآتية :

- كيف يسلك الأفراد فى مجتمعاتهم ؟
- ما الضوابط التى تتحكم فى هذا السلوك ؟
- كيف يتعلم النشء فى المجتمع ؟
- ما المستويات الفكرية ، والعقلية لهؤلاء الناشئين ؟
- ما المناهج الدراسية التى ينبغى أن يتعلموها ؟
- ما الوسائل المناسبة لتنفيذ هذه المناهج ؟ والى أى مدى تتفق مع مستويات ، واستعدادات من يتعلمون ؟

ومدى توافق نوعيات المناهج مع متطلبات المجتمع ؟

- كيف تتم العملية التعليمية ؟

- كيف يمكن التعرف على قدرات الأفراد على تحصيل العلم ، وقدراتهم على العمل ، وعلى الاستمرار فى التقدم ؟ ثم ما أسباب القصور أو التخلف عند بعض الأفراد ؟

بالاضافة الى ذلك ، هناك من شعوب العالم ، شعوب محبة للعمل ، وعلى نقيضها ، هناك شعوب تميل الى الكسل ،

هناك شعوب ذكية ، أو نسبة الذكاء عند غالبية أفرادها عالية ، وعلى نقيضها ، هناك شعوب لا يبدو الذكاء فى سلوكيات أفرادها ، أو لا يتصفون بالسلوك الذكى ٠

وهكذا ، ٠٠٠ فسلوكيات المجتمعات ، لا تكون على نسق واحد ، وليست لها - جميعها - سمات ثابتة ، ولكنها متغيرة باختلاف الشعوب ، واختلاف ظروفهم ، وبيئاتهم ، وألوان ثقافتهم ٠

ان علم النفس ، بما يتوفر له من وسائل ، وطرائق ، يمكننا - الى حد كبير - من معرفة هذا كله ٠

ومن هنا ، كانت الأسس النفسية للتربية ، من الركائز الهامة فى العملية التربوية ٠

ومن الشواهد الدالة على أهمية الجانب النفسى فى أوضاع التربية ، ما عاشته مصر من أحداث (منذ العقد الثانى من القرن العشرين وحتى وقتنا الحاضر) ، كان لها صداها فى سلوكيات مواطنيها ، من ذلك :

أن انتشار المدارس ، والمنشئات التعليمية (الرسمية والأهلية) فى مصر ، عقب ثورة سنة ١٩١٩ ، وحصولها على

الاستقلال النسبى ، دليل على احساس نفسى، وشعور وطنى، من قبل المصريين بمختلف فئاتهم ، وطوائفهم ، ورغبتهم فى التعليم ، والخلاص مما فرضه الاستعمار البريطانى عليهم باتباعه سياسة التجهيل ، والوقوف أمام تعليم الجماهير ٠

ـ أن حياة المصريين ، بعد نكسة سنة ١٩٦٧ ، وشعورهم بمرارة الهزيمة ، وغضبة الجماهير على قوات الاحتلال الاسرائيلى لجزء من أرض الوطن العربى ، بدت فى صورة انفعال عام يسود الشعب المصرى ، والشعوب العربية عامة، فالمنتجات الفكرية ، والاعلامية ، وحتى الترفيهية ، من أفلام، ومسرحيات ، وموسيقى ، وأغان ، وتمثيليات ، وغيرها ، أخذت الطابع الحماسى ، المعبر عن مكنون نفوس الجماهير ، والذى يعبىء شعورهم بضرورة الخلاص ، وكذلك ، بدت فى مناهج تعليم النشء فى مدارسهم وبما تتضمنه من أنشطة علمية ، وثقافية متنوعة ، تهدف الى اذكاء شعورهم واستعدادهم ليوم الثأر المرتقب ٠

ـ أنه عندما وقعت حرب العاشر من رمضان، وانتصارات اكتوبر المجيدة سنة ١٩٧٣ ، وتحولت الهزيمة الى نصر ، انكشفت أسارير الناس ، وتبدلت كآبتهم الى بهجة ، ووضح ذلك فى كل أساليب الحياة فى مجتمعنا المصرى ، ومجتمعنا العربى ، على وجه العموم ٠

لعل فى هذه الصور الحية ، التى عاشتها مصر ، وعاشها الشعب المصرى ، خلال فترة من الزمان ، تجسيد واقعى للجانب النفسى للتربية ، وما يفسر ديناميكيتها فى حياة الناس ٠

حادى عشر ـ النواحى الادارية :

ونعنى بها ، الاطار الادارى ، والتنظيمات الادارية ، التى تحقق أهداف التربية ، واتجاهاتها ، وقيمها ٠

فالتربية ، جهد منظم ، يتمثل فى علاقات ، وتفاعلات بين الأفراد العاملين فى مجالها ، والمتصلين بهـــا ، والمشرفين عليها ، وعلى توجيهها ٠

والادارة ، هى التنظيمـات التى تكفل للتربية ترجمـة نظرياتها ، وفلسفاتها التى تتبناها المجتمعات الى أشكال ، أو نظم ، أو أساليب ، أو أوجه نشاط يمارسها الأفراد ٠

ولما كان التعليم ، هو السبيل الأساسى لتحقيق الفلسفة القومية ، وذلك باعداد النشء ، وتدريب الكبار للاضـطلاع بالأدوار الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية التى تترجم عن تلك الأهداف ، فان قدرة التعليم فى أداء هذه العملية ، تتوقف على ادارته ٠

ذلك ، أن ادارة التعليم ، هى أداة الســيطرة على هذه العملية ، وتنظيمها ، وتوجيهها ، وتقويمها ،

فاذا كانت ادارة التعليم ، ليست على مستوى الاجادة أو المسئولية ، فانهـــا ـ لا شك ـ تؤثر فى أداء التعليم لهذه العملية بنجاح وكفاية ، ذلك أن قوة التعليم ، تتوقف على قوة ادارته ، وجودتها ،

فقد تتوفر للتعليم امكانيات كثيرة ؛ فيتـــوفر له المال ، وتوجد المناهج المناسبة ، والكتب الجيـــدة ، ومع ذلك ، لا يحقق الغرض منه ، لعدم توفر الادارة الجيدة ، القـائمة على مفاهيم سليمة ٠

وقد تساعد الادارة الجيدة ـ من ناحيـــة أخرى ـ على التغلب على مشكلات نابعة من نقص الامكانيات فى التعليم ، ومن هنا ، فان تطور التعليم ، والارتقاء بنوعيته ، وضمان انتاجه على مستوى أفضل باستمرار ، يتطلب النظر اليـــه من زاوية ادارته ٠

وادارة التعليم ، ليست عملية اشرافية ، تتولاها هيئـة ، أو سلطة معينة ، فحسب ، ولكنها تشمل أكثر من ذلك ، فهناك التنظيمات التعليمية ، وهذه نابعة من حياة المجتمع ، وهناك المناهج الدراسية ، وما تشتمل عليه من برامج ، وأنشـطة ، وطرائق تعليم ، وتدريب ، وهذه من وسائل تربية المجتمع ، وهناك الحياة المدرسية ، بما تشمله ، وما تهدف اليـــه من الكشف عن ميول التلاميـــذ ، وقدراتهم ، واستعداداتهم ، وتوجيهها الوجهة السليمة ، التى تمكنهم من فهم الحيـــاة حولهم ، وتمكنهم من تكامل شخصياتهم ، وهذه ـ أيضا ـ من دعائم تقدم المجتمع ، كذلك ، هناك أساليب تقويم العمل المدرسى ، وتوجيهه ، وهذه ـ أيضا ـ لصالح أبناء المجتمع ٠

فادارة التعليم (بكافة مستوياتها) تتم فى وسط اجتماعى، قوامه مجموعات متفاعلة من القوى البشرية ، هدفها خدمة النشء وهؤلاء ، يمثلون اللبنات الأولى فى نهضة المجتمع ٠

هذا ، بالنسبة للتعليم ، أما بالنسبة لأوضـــاع التربية ، وأساليبها فى المجتمع، بصفة عامة ، فان الادارة فى واقعها، عملية دينـــاميكية ، تلعب القـــوى البشرية ، دورا هاما ، وأساسيا فيها ، ذلك ، أن القوى المـــادية ، بما تتضمنه من أموال ، وأبنية ، وتجهيزات ، وأدوات ٠٠٠ الخ تمثل الناحية الميكانيكية ، بالاضافة الى الناحية المعنوية ، بما تشمله من : قوانين ، ولوائح ، وقرارات ، ومنشورات ، مهمتهـا تنظيم العمل فيها ،

لكن الجانب الانسانى ؛ بما يتوافر فيه من عقول واعية ،

ذات فكر ذكى ، وما تعيش فيه من قيم ، ومبادىء ، وانماط سلوكية ، ثم ما يوجد من نفوس مقبلة على العمل ، متحمسة له ، وايدى أمينة ، ترعاه ، وتحرص عليـــه ، هذا الجانب الانسانى ، فى مقدمة العملية الادارية، ومتكامل مع الجانبين الآخرين ٠

ومن ثم ،تكون الادارة عملية تكاملية بين النواحى الثلاث؛ الانسانية ، والمعنوية ، والميكانيكية ٠

وسواء كانت الحياة العامة فى المجتمعات ـ على اختلاف قطاعاتها ، ونوعياتها ـ او الحياة التعليمية فيها ،

فان الادارة تعتبر احدى الركائز الهامة التى يستند اليها المجتمع فى تنظيم ، وتوجيـــه العمل به ، وتحقيق اهدافه ،

على أن الادارة الصالحة ـ الى جانب كونهـــا اداة تغير وتقدم ـ هى أداة محافظة ، واستقرار فى المجتمع ؛ فهى اذ تساير التغير ، وتعمل من أجله ، ينبغى أن تهذبه ، وتنسقه ، وتهدىء من سرعة اندفاعه ـ كما يحدث فى عصرنا الحاضر ، وتسرع من هدوء حركته ، وتحول دون تزعزعه ، وتبعد عنه ما عساه أن يضر به ، وتحل فيه ، من القديم ، أحسنه ٠٠٠ كل هذا ، وفق الفلسفة ، والاطار الذى تعمل فيه ٠

الفصل الثالث

وسائط التربية

ماذا نعنى بـ « وسائط التربية » ؟

المقصود بوسائط التربية ، الوسائل أو المصادر التى يستقى الفرد منها تربيته ، أو عن طريقها ، يتمرس الفرد أساليب معايشته فى الجماعة ، وهذه الوسائط ، قد تتخذ صورة أسرة ، أو مدرسة ، وهى حينئذ ، تكون وسائط متخصصة فى احداث التربية وقد تتخذ صور تنظيمات أو مؤسسات ، أو هيئات اجتماعية ٠٠٠ وهذه وسائط غير متخصصة فى عملية التربية ، ولكنها تسهم فى احداثها ٠

وهذه الوسائط ، تتفاعل فيما بينها ، والانسان هو محور هذا التفاعل ، بحكم وجوده الاجتماعى ، والثقافى ، وبما يمارسه من أساليب العمل أو التفكير ، وبما لديه من قدرة على التكيف مع ما يحيط به من الظروف ، ومقومات الحياة، ذلك ، أن فعل التربية ـ بمضمونه الشامل ـ لا تنفرد به مؤسسة واحدة من مؤسسات المجتمع ، باعتبار ان عملية التطبيع الاجتماعى ، قرينة لعملية التربية ، وهى لا تقتصر على مؤسسة بعينها ،أو على موقف واحد من مواقف الحياة، بل انها عملية موصولة ، تشارك فيها جميع الدوائر الاجتماعية التى تتمثل فى وسائط الثقافة : كالأسرة ، والمدرسة ، وأماكن العبادة ، وأماكن التثقيف المتنوعة ، ووسائله ، الى جانب التنظيمات السياسية والاقتصادية ، والمهنية ، وما يستحدثه أفراد المجتمع من وسائل اتصال وتجمع ، مثل ، النقابات ، وجماعات الرفاق ، والزملاء ٠٠٠ الخ ٠

وبالتالى ، فان التربية عملية اجتماعية ، ثقافية ، تشتق ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعى للأفراد ، ومن كونهم حملة الثقافة لمجتمعهم ٠

أولا ــ الوسائط المتخصصة فى التربية :

(١) الأسرة

الأسرة ، هى الجماعة الانسانية الأولى ، التى يتعامل معها الفرد ، والتى يعيش فيها السنوات التشكيلية الأولى من عمره ،

هذه السنوات ، التى يؤكد علماء النفس والتربية أن لها أكبر الأثر فى تشكيل شخصيته تشكيلا يبقى معه بعد ذلك ، بشكل من الأشكال ، له من السمات ما يميزه عمن سواه ·

فالأسرة ، هى المسئولة ــ ولا سيما فى سنوات العمر المبكرة ــ عن كثير مما يرد للفرد من مؤثرات ، وكلما كان العمر مبكرا ، ازدادت أهميتها؛ اذ تصبح هى المجال الرئيسى لحياة الفرد ·

والدلالة السيكولوجية للأسرة بالنسبة للطفل ، هى أنها مصدر الطمانينة ، وذلك لسببين :

أولها : أنها مصدر خبرات الرضا ؛ اذ يصل الطفل الى اشباع معظم حاجاته من خلالها ·

وثانيهما : أنها المظهر الأول للاستقرار ، والاتصال بالحياة ·

ولهذا ، كان استقرار شخصية الفرد ، وارتقاؤه يعتمدان كل الاعتماد على ما يسود الأسرة من علاقات مختلفة ؛ كما ، وكيفا ،

ومن ثم ، فالثقافة ــ بكل وسائطها ــ تعتبر الوعاء التربوى

العام ، حيث تحدث عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد ، بما تؤدى اليه من اكتسابهم أنماط سـلوكية تحدد علاقاتهم ، وتعبر عن نفسها فيما يقومون به من أدوار اجتماعية .

وفيما يلى من سطور ، نحاول أن نتعرف على نوعيات وسائط التربية ، سواء المتخصصة منها ، وغير المتخصصة .

كذلك ، فان المركز الاجتماعى ، والاقتصادى للأسرة ، يؤثران فى شخصيات أفرادها ، وتكوين اتجاهاتهم .

كيف تطور دور الأسرة ؟

لقد كانت الأسرة ـ فى العهود القديمة ـ ، هى المصدر الوحيد للتربية ، من حيث هى عملية فردية ، اجتماعية ٠

فالتربية ، قد وجدت منذ وجد الانسان على ظهر الأرض، وهى فى أول أمرها ، كانت مرادفة للحياة نفسها ؛ فكان كل فرد ـ فى فجر التاريخ ـ يكتسب تدريجيا ، منذ نشأته ، أساليب السلوك الفردية للحياة ، عن طريق الاحتكاك المباشر بالبيئة ؛ فلم تكن التربية ـ حينذاك ـ جهدا مقصودا ، وانما كانت تتم فى سياق الحياة اليومية ، كأثر غير مباشر لها ٠

فكان الطفل ، يصاحب أباه حيثما تحرك ، بحثا عن غذاء أو صيد ، ولم تكن هناك مهارات على جانب كبير من التخصص ، تتصل بتوفير الطعام أو اعداده ، وكذلك الحال، بالنسبة للكساء والمسكن ، وهى حاجات الانسان فى ذلك الوقت ٠

فالحياة ، كانت بسيطة ، مباشرة ، وبالتالى ، كانت التربية تقوم على أساس التقليد ، والمحاكاة ؛ فالولد ، كان يشترك فى الأنشطة الخاصة بحرفة أبيه ، ويقلده فيما يقوم به من أعمال ، وكانت الفتاة ، تتعلم من أمها فى المنزل ، وسائل ادارته ، وتنظيمه عن طريق المشاركة فى هذه الأعمال وعن طريق التقليد ٠ فكانت الأسرة ـ فى المجتمعات البدائية ـ تمثل وحدة تربوية ، اجتماعية ، اقتصادية ، مسئولة عن تدريب أبنائها على العادات التى تقبلها الجماعة ٠

على أن هذا النوع من التربية ، بدأ يتطور ، فظهرت فى المجتمعات البدائية ، جماعات ، كانت تعرف بأن لها وظائف خاصة فى تكوين العادات ، والأفكار التى تعتنقها هذه المجتمعات ، ومن هذه الجماعات ، رجال يمارسون الطب ،

ومعالجة المرضى ، وآخرون يقصون القصص والأساطير ، ثم أولئك الذين يمارسون السحر والشعوذة ، وغيرهم ... وكان هؤلاء ، يكونون نظاما ، له تقاليده ، وتعاليمه .

وعندما أخذت الحياة الاجتماعية فى التعقد ، وازداد رصيد الجنس البشرى من المهارات ، والأفكار ، واتخذ الانسان ، اللغة فى صورتها الأولية ، اداة أساسية فى التفكير ، والتعاون الاجتماعى ،

ثم ، عندما ظهرت الكتابة ، وسجل الانسان ما اهتدى اليه من حقائق ومعلومات ، وخبرات ، فى مختلف الشئون، وأصبحت تربية الجيل اللاحق تتوقف على احاطته بما كشفه الجيل السابق ، وما دونه فى ميادين العلوم ، والفنون . والفنون ،

عندئذ ، انضمت الى الوظائف التربوية للأسرة ، وظيفة جديدة ، هى وظيفة التعليم بمعناه المدرسى ، وتحتم على الكبار فى المجتمع أن يوجهوا اهتماما مقصودا لعملية التعليم ، وكان يقوم بهذه الوظيفة ، الآباء ، والأمهات ، والأقرباء ، وكبار أفراد الأسرة، أو العشيرة، نحو صغارها، خشية أن تضيع بعض خبرات الجماعة ، وان كان يبدو ، أن معظمها ، قد تركز فيما يتصل بالعقيدة ، والنواحى الدينية .

وظلت الحال كذلك ، الى أن تقدمت أساليب الحياة ، وأنواع المعرفة ، وهنا ، أخذ المجتمع ، ينتزع من الأسرة هذه الوظيفة ، شيئا ، فشيئا ، وينشىء للقيام بها ، مؤسسات خاصة ، كالمدارس ، والمعاهد ، ثم الجامعات ، والمؤسسات العلمية ، والمنشآت الثقافية ، والرياضية ، والتعاونية بمختلف فروعها .

كما انشأ للاشراف عليها ، ادارات ، أو هيئات اتخذت تسميات متعددة ؛ كوزارات المعارف ، أو التربية والتعليم ، أو شئون التعليم ، وغير ذلك .

ثم وضع المجتمع نظما من شأنها التقليل من حرية الأسرة فى تعليم أبنائها ، وتفرض عليها التزامات بصدد تربية هؤلاء الأبناء كنظام التعليم الالزامى أو الاجبارى ، الذى يلزم كل أسرة أن تبعث بأبنائها الى المرحلة الأولى من التعليم ، لينال جميع الأطفال نوعا موحدا من التعليم لجميع أفراد الشعب • (وقد امتد هذا الالزام - فيما بعد - الى ما بعد المرحلة الأولى من التعليم عند كثير من شعوب العالم) ، وكنظام الخدمة العسكرية الاجبارية ، الذى تجبر به الأسرة ، عندما يبلغ أولادها الذكور ، سنا معينة ، أن تقدمهم للدولة لتلحقهم بأفراد جيشها العامل ، لفترة تحددها الدولة •

حتى اذا أتينا الى الوقت الحاضر ، نجد أن الأسرة - نتيجة لما حدث فى المجتمع البشرى من تغير ، وما ساد العالم من تطور فى نواحى الحياة - نجدها ، قد تخلت عن كثير من مسئولياتها التربوية ، وجعلتها من مسئوليات مؤسسات اجتماعية أخرى ؛ كدور الحضانة ، والمدارس ، والمؤسسات الدينية ، وغيرها ؛ مما أثر على اتجاهات الأسرة ، وروابطها ، وعاداتها •

وربما كان من أبرز أسباب ذلك ؛ هو عمل المرأة ، واشتغالها بوظائف متنوعة ، وتمتعها بكثير من الحقوق ، الأمر الذى قد يسبب الكثير من الخلل فى الأسرة ، من حيث تماسكها ، ووظيفتها فى المجتمع •

ولكن بالرغم من ذلك ، فما زالت الأسرة ، عاملا من أهم عوامل التربية ، ووسائطها ، بل ان بعض علماء التربية ، يرون أن كفتها ترجح - الى حد كبير - كفة العوامل الأخرى ، كلها مجتمعة ، ذلك ، أن على الأسرة ، تتوقف آثار هذه العوامل جميعها ، فبصلاح الأسرة ، وجهودها الرشيدة تصلح آثار العوامل الأخرى ، وبفسادها ، أو انحراف

أعمالها ، تنحرف كلها عن الغاية المرجوة ، أو هكذا ، يرى هؤلاء المربون ، ولهذا ، أثره فى تكوين شخصية الفرد ٠

كذلك ، هناك ، من يرى أن شخصية الفرد، يمكن اعتبارها بمثابة شركة ، يتقاسمها عاملان : أحدهما ممثلا فى الوراثة (الأسرة) والآخر ممثلا فى البيئة (المجتمع ، وكل ما يحتك به الفرد فى حياته) ٠

والواقع، أننا لا نستطيع أن نفصل بين الاثنين، أو نفاضل بينهما من حيث قوة التأثير ، ولكننا ، نستطيع أن نقول ان شخصية الفرد ، أشبه ما تكون بكتاب ، تعاونت فى كتابته ، واعداده ، الوراثة ، والبيئة ، بحيث أصبح من المتعذر أن نعرف أى فصل كتبته الوراثة ، وأى فصل كتبته البيئة ٠

أى أن العوامل الوراثية ، والعوامل البيئية ، تتفاعل ، وتتعاون فى تحديد صفات الفرد ، وفى تباين نموه، ومستوى نضجه ، وأنماط سلوكه ، ومدى توافقه ، أو شذوذه ٠٠٠ الخ

كيف تكون للأسرة وظيفة تربوية ؟؟

تعتبر الأسرة ، الوعاء الاجتماعى ، الذى تنمو فيه بذور الشخصية الانســانية ؛ فالأسرة ، تركيب من تفـــاعلات اجتماعية ، معقدة ،

والطفل ، داخل هذا التركيب ، يرى ، ويجرب ، ويشارك، ويتمثل ، ويتغير ، فيتعلم قيما ، ومثلا ، ومشاعر ، وتوقعات مرتبطة بأوضاع ، ومواقف اجتماعية ، وهذا كله ، يتـــأثر بمجموعة من العوامل تعرضت لها الأسرة ، وعايشـــتها ، وتأثرت بها ، من بينها ، الطبقة الاجتماعية التى تنتمى اليها الأسرة ، وحجم هذه الأسرة ٠

ومن الأسرة ، يتعلم الطفل ، الأنماط العامة ، السائدة فى

ثقافته ، من قيم اجتماعية ، ومعايير ، وقوانين ، ومراسيم دينية ، وطقوس عقائدية ، واتجاهات اجتماعية ؛ كالتعاون، والتنافس ، والتحيز ، والتسامح ، والتعصب ... ، وغير ذلك من الأنماط الأسرية ، التى تنقلها لابنائها بطريقتها الخاصة .

ومن الأسرة ، يتعلم الطفل ، ما قد يؤثر على اتجاهاته لعدد كبير من سنوات عمره ، بل ان اختياره للأشياء ، وتقويمه لها ، قد يتأثر – الى حد كبير – بنوع اختيار أسرته، وتقويمها له ،

وقد يصل هذا ، الى فرض الأسرة لآمالها ، ومثلها على أبنائها ، نتيجة لظروف معينة تراها ، وبالتالى ، تتدخل فى عملية تربيتهم .

والأسرة ، تعتبر الوعاء الثقافى الأول ، الذى يشكل حياة الفرد ، ويتناوله بالتربية ، بما فيها من علاقات ، وأنماط ثقافية تعبر عن الثقافة الأم (ثقافة المجتمع كله) .

فهى (الأسرة) أداة لنقل ثقافة البيئة ، وثقافة العصر الى أبنائها .

والأسرة ، تنقل ثقافة الطبقة الاجتماعية ، التى تنتمى اليها ، الى أبنائها ؛ حيث يتعلم الطفل من أسرته ، نوعا معينا من المعيشة ، على أساس مولده فى طبقة معينة ، وفى اقليم معين ، وفى وطن معين ،

فهى المسئولة الأولى عن تشكيل اتجاهات الناشئين بما يسودها من الاتجاهات ، والنظرة الى الأمور ، ومعالجة الأحداث ، وطبيعة العلاقات الاجتماعية بينها ، وبين غيرها من الأسر ، والجماعات ،

بالاضافة الى ذلك ، فان المستوى الاقتصادى للأسرة ، له أثره فى سلوكيات الفرد ، واتجاهاته ، وتعامله مع الآخرين ،

على أن هذا ، قد يختلف من أسرة الى أخرى ، ومدى تطبيعها لأبنائها ، وتنشئتهم بتنشئة اجتماعية معينة ٠

ويمكن ايجاز المهمة التربوية للأسرة ، فيما يلى :

(أ) أن الفرد ينال فيها ، أولى مقومات النمو الجسمى ، والصحى ، وذلك ، تبعا لما توفره له من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ؛

فالأسرة التى تعنى بتغذية أفرادها ، ورعايتهم ، والعناية بهم ، وتوفير كل أساليب الحياة الصحية لابد أن يكون أفرادها أقدر على مواجهة الحياة واكتساب خبراتها المختلفة فى شتى الميادين والمجالات ٠

(ب) أن الفرد يتعلم فى الأسرة ، اللغة ، والتعبير ، وطريقة الكلام ،

ولكل أسرة عاداتها الكلامية ، والمقومات اللغوية الخاصة بها ، وكلما كانت هذه العادات اللغوية والمفردات المستعملة ، رقيقة ، مهذبة ، تتميز بالوضوح والدقة ، أدى ذلك بالتالى ، الى أن يكون الطفل أقدر على التعبير الصحيح ، المهذب ، وأبعد عن المعانى والألفاظ النابية ، والممجوجة ٠

(جـ) أن الفرد يستقى من الأسرة ، عاداته ، وأخلاقه وطباعه ، وذلك ، تبعا لما يسود الأسرة من مستويات

اقتصادية ، وثقافية ، واجتماعية ، وهو ، يحـــاكى ــ عادة ــ الـــكبار من أفراد الأسرة ، بل ، ويتقمص شخصياتهم فى كثير من الأحيان ، بأسلوب ، أو بآخر ٠

(د) أن الفرد يتعلم في الأسرة ، معانى العطف ، والتعاون، والتضحية ، والبذل ، والوفاء ، والصـــدق ، وتحمل المسئولية ، واحترام الآخرين ، كما انه يشـــعر بالأمن والاطمئنان لوجوده فى كنف الأسرة ٠

فاذا توافرت هذه جميعها ، نشأ الطفل خاليـــا من كثير من المشـــكلات ؛ النفســـية ، والعـــاطفية ، والوجدانية ٠

(٢) المدرسة :

المدرسة ، هى الأداة التى تعمل مع الأسرة على تربية الفرد ،

وهى أداة صناعية ، غير طبيعية ، اذا قورنت بالأسرة (أو المنزل) ولكنها ، أداة ناجحة ، مقصودة لتربية الناشئين ، والشباب ، فالمدرسة ، مؤسسة أنشأها المجتمع عن قصد لتحقق له أغراضا معينة لخدمته ، فهى نقطة التقاء لعدد كبير من العلاقات الاجتماعية ، المتداخلة ، المعقدة ، وهذه العلاقات ، هى المسالك التى يتخذها التفاعل الاجتماعى ، وسيلة لتحقيق آمال المجتمع وأهدافه ،

كذلك ، فإن هذه العلاقات المتشابكة ، هى بمثابة قنوات يجرى فيها التأثير الاجتماعى •

طبيعة المجتمع ، ومهمة المدرسة :

ذلك ، إن الصغار ، عندما يوجدون فى المجتمع ، فانهم يمارسون أعمالا أو سلوكيات يوجه مسارها الكبار فى اطار يرتضيه المجتمع ، ومن ثم ، فان الكبار ، يقومون بدور المعلمين لهؤلاء الصغار ، وعندما يشعر الكبار بانتهاء دورهم — نسبيا — فى توجيه مسار صغارهم ، فانهم يلتمسون سبيلا آخر لتوجيه الصغار ، حيث يعهدون بهم الى مؤسسة أو منشأة ، أو معهد ، يكمل ما بدأوه ، ويشاركهم فى اعداد النشء لحياتهم المستقبلة ، ومن ثم ، يكون أكثر عمقا ، وأوسع أفقا ، وأشمل تخصصا فى توفير القدر المناسب لهم من العلم والتعليم ، الى جانب مجموعة الخبرات ، والمثل ، والقيم ، والاتجاهات التى يرضاها المجتمع ، ويتابعها الكبار فى ممارسات الصغار ،

حتى اذا تعقدت الحياة فى المجتمعات ، نتيجة لتنوع المعرفة ، وتطور العلوم ، وتباين سبل المعايشة فى الجماعات البشرية ، اشتدت الحاجة الى هذا النوع من التوجيه ، والتربية ، وبالتالى ، حرص الأفراد ، وحرصت الدول على الاهتمام به ،والعمل على توفير الامكانيات المادية، والبشرية لوجوده ،

ومن أجل ذلك ، أعتبرت المدرسة ، هى المؤسسة ، المتخصصة فى تربية النشء ، بعد أن قامت الأسرة ـ من قبل ـ بدورها فى تنشئتهم الاجتماعية ، وتحول الكثير من المسئوليات ، والوظائف التربوية ، التى كانت تتحملها بعض المؤسسات ، والجماعات ، كالأسرة ، والمسجد ، أو الكنيسة، أو المعبد ، والتنظيمات الاجتماعية ، والجماعات الحرفية ٠٠ الى المدرسة ، ٠٠ هذه المنظمة الاجتماعية ، التى أوجدتها ظروف المجتمع ٠

على أن المدرسة ، لم توجد مكتملة ، ولكنها مرت بأطوار متتالية ، حتى أصبحت كما نفهمها اليوم ، وحينئذ ، رصدت لاقامتها الأموال ، وأعد المعلمون ، والاداريون ، والفنيون ، والمتخصصون فى شئون التربية ، ومسائل التعليم ، ووضعت لتنظيمها القوانين ، واللوائح ، والقرارات ٠٠٠ واعتبرت المدرسة ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية للبشر ؛ فالناشئون يلتحقون بها صغارا ، ويظلون بها فترات طفولتهم ، وشبابهم ، ثم هم يتركونها راشدين ، بعد أن زودتهم بأساليب التعليم ، والتدريب ، والمران ، ليعيشوا فى مجتمعاتهم ، ليؤدوا أدوارهم الاجتماعية فى الحياة ٠

ومن ثم ، ارتبطت المدرسة بالتربية ، ارتباطا وثيقا ، واعتبرت احدى القوى المعلمة للفرد فى بيئته ، وأعطاها المجتمع من مكوناته ، ومقوماته ، وتنظيماته، وقيمه ، ومثله،

ما شملته مناهجها ، وبرامجها ، ونظمهـــا ، وحياتهـــا التعليمية ، الى جانب ما يكتسبه أبنـــاؤها من خبرات ، ومعلومات ، وما يمارسونه من مهارات ، وفق استعداداتهم، وميولهم ،

وهنا ، تقترن التربية بالمدرسة ، كمؤسســة اجتماعية ، تعنى بالنشء ، وتعدهم للحياة ، وهذا ، ما يعرف بالتربيـة المدرسية ، والتي لا غنى للمجتمعات البشرية عنها ، بمـــا تشمله من نظم تعليمية ، وأســـاليب تربوية ، ووســـائل تثقيفية ،

فالتربية ، التى تعالج الفرد بالمدرســـة ، يمكن تسميتها « التربية المدرسية » ، فى حين أن التربيـــة التى تستخدم وسائط أخرى غير المدرسة ، يمكن تسميتها ، « التربيـــة اللامدرسية » ٠

وحتى تتمكن التربية المدرسية من القيام بدورها فى اعداد الناشئين ،

ينبغى ، مراعاة ما يأتى :

١ – أن تكون معالجة المدرسة لشئون التربية ، فى ضـــوء فلسفة المجتمع ، وأهداف التربية فيه ٠

٢ – توافر الوضـــوح الفكرى عن أهداف المجتمع ، لدى المسئولين عن المدرسة ٠

٣ – اتخاذ الوسائل الفنية ، والعلمية التى تســـاعد على تحقيق الأهداف ٠

٤ – توافر المتخصصين من المربين ، والمعلمين ، والفنيين، والاداريين ، الذين يمكنهم تحمل مســـئولية العمل التربوى ٠

٥ - توافر الوعى بأهمية دور المدرسة ، لدى غيرها من المؤسسات فى المجتمع ٠

أساسيات التربية المدرسية :

لكى تتم عملية التربية المدرسية ، لابد من توافر بعض الأسس أو الدعائم ،

نوجزها ، على النحو التالى :

الأساس الأول :

ويكمن فيما يتوفر لدى الفرد من قدرة على ممارسة القيم ، والعادات ، والوسائل ، التى تمكنه من تحقيق فكره ، ونشاطه ، وغاياته ، وهو ، ما نعبر عنه بالأساس المعنوى ، أو الخلقى ، والذى يشترك فيه ، كل من الصغار الناشئون ، والكبار الراشدون ؛

هؤلاء (الكبار) بما يتوفر لديهم من وعى ، ونضج فى توفير الفرص ، وانتقاء الأساليب لممارسة صغارهم ألوان النشاط ، وأنواع المعرفة ، التى تعبر عن تصورهم لمستقبل مجتمعهم ٠

وأولئك (الصغار) بما لديهم من قدرات، وميول ، وتحمل لمسئولية القيام بأدوار تعليمية ، وتربوية ، مؤداها فى نهايتها ، تقدم المجتمع ، ذلك ، أن وجود المدرسة ، تعبير عن قدرة المجتمع فى تشكيل مستقبل أبنائه ، وتوجيه حياتهم ، وبالتالى ، امكانية التحكم فى النشاط الانسانى ، وهى ، تعبير عن أن الانسان ، لا يستسلم للقدر ، أو يترك أموره للصدفة ، ولا يركن الى السلبية ، والجمود، ولكنه ، يستطيع بما لديه من بصيرة ، وذكاء ، أن يسلك فى الحياة ، ويعايش الآخرين ٠ وهذه الخاصية المعنوية ، تكسب التربية المدرسية ، قوة ،

وعلى هذا ، فان تنظيم المدارس ، وتمويلها ، والاهتمام بأمرها ، يعنى محاولة مقصـــودة من جانب الجمـــاعات الانسانية للتحكم فى نمط تطورها ٠

بالاضافة الى ذلك ، فانه عن طريق التوجيه المســئول لخبرات الصغار التربوية ، التى يعيشـــون فيها ، يهدف الكبار الراشـــدون الى أن يجعلوا منهم ، ومن مجتمعهم ، شيئا أفضل ، وأكثر تقـدما ، عما يكونون عليه ، اذا تركت شئونهم بدون توجيه أو تنظيم ٠

وبالتالى ، فان التربية المنظمـــة ، تتضمن جهد الـكبار لتنظيم بيئتهم ، حتى لا يترك الصغار لعوامل الطبيعة باعتبار أن حريتهم فطرية ، وهنا ، يكون للكبار دور فى توجيـــه الصغار ، وتكون للتربية المدرسية – عن طريق القـــائمين عليها – مسئولية توجيه النشء ، وحينئذ ، تكون تربيـــة مقصودة ، ويكون هؤلاء المربون ، موجهين لها ٠

الأساس الثانى :

ويكمن فيما يعيشه المجتمع ، الذى توجد فيه المدرســة ؛ بما له من ظروف ، سواء كانت ذات أبعاد تاريخيـــة ، أو اقتصادية ، أو جغرافية ، أو سكانية ٠٠٠ لهـــا أثرها على أوضاع التربية فى المجتمع ،

ولعل هذا ، يجعلنا ننظر الى التربية على أنها وظيفـــة المجتمعات الانسانية المتميزة بتاريخها ، ولغتها ، وتراثها ، ومهاراتها ، ووسائل معيشتها ، وعاداتها ، وقوانينهـــا ، وأنظمتها ، ومعتقداتها ، ومشاعرها ، وأفكارها الخلقية ، وآمالها ، وآلامها ، ومفاهيمها عن المصير الانسانى ، ومن ثم ، لا ننظر الى التربية ، على أنهـــا عامة ، أو واحدة فى محتوياتهـــا ، وأهدافهـــا فى كل زمان ، ومكان ، اذ أن

المجتمعات البشرية ، ليست متماثلة فى ظروفها ، أو متساوية فى درجة تحضرها ، أو متطابقة فى ثقافاتها ، وفلسفاتها ، وانما لكل منها ، طرائقه المميزة لحياته ، وان تشابهت مع مجتمعات أخرى .

وهنا ، ينبغى أن تراعى التربية المدرسية ما يحقق لها ذلك ، عن طريق ما تضعه من برامج فى معالجتها للنشء ، كل ، بحسب طبيعة مجتمعه ، وواقع الحياة فيه ، ومتطلباتها .

الأساس الثالث :

الى جانب الأساسين السابقين ، وحتى لا تكون التربية المدرسية ، محلية ، محدودة ، فانه يمكننا ، اضافة أساس ثالث ؛ ذلك ، هو ، المنظور الدولى ؛

فالتربية المدرسية ، لا تقتصر على حياة المجتمع الذى تتم فيه فحسب ، ولكنها ، ينبغى أن تتوافق مع الاتجاهات المعاصرة ، فلا تتقوقع حول مجتمعها ، وهى ، أيضا ، لا تبعد عنه لدرجة الشطط ، وانما يكون هناك اتساق بين الناحيتين،

هذا ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان المجتمعات البشرية ، ذات حركة ديناميكية ، متجددة ، وليست جامدة ، وحياة البشر ، دائمة التغير ، والتطور ، وهى فى نفس الوقت ، تتأثر ، وتؤثر ، بطريقة أو بأخرى .

ولكن ، على المدرسة ـ فى ضوء الفلسفة العامة والقومية لمجتمعها ـ أن ترسم فلسفتها التربوية ، الناتجة عن تداخل عوامل ثقافية ، متنوعة ، ومتشابكة ، من شأنها ، ابراز التربية فى المجتمع ، بطابع مميز .

وهنا ، يبرز السؤال التالى :

كيف تكون المدرسة وسيلة متخصصة فى التربية ؟؟

يمكنها أن تكون كذلك ، من خلال مجالات العمل فيها ،

وذلك ، عن طريق :

(أ) الادارة المدرسية :

وذلك ، باعتبار ، أن الادارة المدرسية ، تضطلع بمسئوليات كثيرة ، تهدف الى تحقيق تربية النشء ـ فى ضوء تفاعلهم مع بيئاتهم ـ تربية متكاملة : فكريا ، ونفسيا، واجتماعيا ، دون الاقتصار على تحقيق الكفاية العلمية ، أو المعرفية ، أو نقل التراث الثقافى للأجيال ، واعدادهم لحياة الكبار فحسب ،

وهذا ، يقتضى تضافر الجهود ، وتنسيق الأعمال التى تقوم بها ادارة المدرسة (ادارية كانت أو فنية) وتكاملها مع ما تقدمه المدرسة لأبنائها من خبرات متنوعة ، تكشف عن استعداداتهم ، وتصقل مواهبهم ، وتنضج أفكارهم ، وتنمى معلوماتهم ، وتقفهم على شئون مجتمعاتهم ، ودراسة مشكلاتها ، والاسهام فى حلها ٠

فالوظيفة الرئيسية للادارة المدرسية، هى تهيئة الظروف، وتقديم الخدمات التى تساعد على تربية التلاميذ ، وتعليمهم، رغبة فى تحقيق النمو المتكامل لهم ، وذلك لنفع أنفسهم ، ومجتمعاتهم ٠

(ب) البرامج والمناهج الدراسية :

وذلك باعتبار ، أن المنهج وسيلة من وسائل صنع الأجيال وبخاصة الناشئين ، متمثلا فى مجموع الخبرات التربوية ـ الثقافية والاجتماعية والفنية والرياضية ـ التى توفرها

المدرسة لأبنائها ، داخل جدرانهـــا ، وخارجهـــا ، بهدف مساعدتهم على النمو الشامل فى جميع النواحى ، وتعـديل سلوكهم ، وفقا لأهدافها التربوية، لتجعل منهم أفرادا نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم ، ويتضمن ذلك :

المعلومات ، والمواد الدراسية النظـــرية ، والمهـــارات التعليميـــــة ، والتطبيقات العمليــــة ، وكذلك ، القيم ، والاتجاهات ، وطرق التفكير ، وأساليب التصرف ، والمواقف التعليمية ، وأوجه النشاط المختلفة ٠

ولكى تتحقق أهداف التربية من خلال المناهج ، ينبغى :

أولا ـ

أن يكون المنهج المدرسى ، مرنا ، تبعا لحاجات التلاميذ ، وميولهم ، وقدراتهم ، واستعداداتهم ، وتبعا لامكانيـــات المدرسة ، وحاجات البيئة المحلية (كلما أمكن ، ولا سيما فى المراحل الأولى من التعليم) ، مع ادماج الدراسة بالنشاط ، أو الأنشطة المصاحبة ٠

ثانيا ـ

أن يركز المنهج المدرسى على الحياة اليومية للتلاميـــــذ الذين يخدمهم هذا المنهج ، وذلك باســتخدامهم المعلومات ، والمهارات التى يكتسبونهـــا ، وتوظيف ما تعلموه (وهذا ما ينبغى أن تكون عليه الدراسة فى المرحلة الابتدائيـــة ، بصفة خاصة) ٠

ثالثا ـ

أن تكون البيئة المحلية، ميدانا للتطبيق، ولربط الدراسات النظرية بواقع الحياة ، مع مراعاة مستوى ادراك التلاميذ، على أن يتدرج المنهج من بيئتهم المحليـــة ، الى البيئـــات

الاقليمية ، فالقومية ، عن طريق علاقات هذه البيئات ببعضها البعض ، ثم البيئات الأخرى ·

رابعا -

أن يشجع المدرسون على اتباع أساليب علاج تخلف المنهج وقصوره كلما تطلب الأمر - تبعا لظروف مدارسهم ، وامكانياتها ، مع اتاحة الفرصة أمامهم لاعادة دراسة المناهج ، وادخال التعديلات المناسبة ، وتشجيعهم على التجديد والابتكار ·

خامسا -

ألا يكون المنهج ، جامدا ، بل يجب أن يمثل التوفيق بين محتوياته ، وبين أفضل أساليب التدريس ، وبين الطبيعة البشرية ·

(ج) المعلمين :

وذلك ، باعتبار ، أن المعلم ، ليس مقدما لبرنامج تعليمى ، أو منفذا لمنهج مدرسى ، أو عارضا لتجربة معملية ، أو قائما بتدريبات معينة ، فحسب ، ولكنه أيضا ، مرب ، ذو مؤثرات ايجابية ، متنوعة ، وقائد لتلاميذه ، له أساليبه القيادية ، ذات التأثير العميق ، فضلا عن أنه ، موجه لسلوكياتهم ، وراع لقدراتهم ، ومواهبهم ،

وهو ، فوق هذا كله ، حامل للثقافة ، وناشر لها ، ورائد اجتماعى لبيئة مدرسته ، ومجتمعها المحلى ·

ومن أجل ذلك ، كان اعداد المعلمين ، على جانب كبير من الأهمية ، بل ، هو الأهمية ذاتها فى العملية التعليمية ، لانه صانع الاجيال ، وهؤلاء ، هم صناع الحياة فى مجتمعاتهم ·

ومن ضروريات تكامل الاعداد ، أن يتمتع المعلم بالمزيد من الصفات الشخصية ، والمهنية ، التى تؤهله لذلك (١) ٠

والمعلم ، يستطيع ـ من خلال ممارساته التربوية ـ أن يعمل على معايشة طلابه لظروف مجتمعهم ، والوقوف على مشكلاته ، ومدارستها ، ومحاولة الاسهام فى حلها ، مما يدعم فيهم الشعور بالانتماء ، ويؤكد لديهم الحساسية الاجتماعية ، بحيث لا يعيشون بعيدين عن أوضاع المجتمع، بدعوى العكوف على الدراسة ، والتحصيل ، دون الاحساس بالرابطة الاجتماعية بينهم ، وبين مواطنيهم ٠

وللبيئة المدرسية المحلية ، حق على المعلم ؛ يدرك احتياجاتها ، وظروفها ، ومتطلباتها ، ويقدم لها خدماته ، التعليمية ، والتثقيفية ، والتربوية ، ويتعرف على مشكلاتها، يدرسها ، ويسهم فى حلها ، متعاونا مع زملائه فى المدرسة، ومواطنيه فى البيئة ، والمهتمين بشئون الجماهير ، وذوى التخصصات ، القادرين على الاسهام ، والمعاونة ٠

(د) مجالس الآباء والمعلمين :

ـ وذلك ، باعتبار ، أن الهدف من مجالس الآباء والمعلمين يتركز فيما يلى :

أولا ـ

العمل على دعم الصلة بين المدرسة (كمؤسسة اجتماعية) وبين الأسرة (كقطاع صغير يعيش فى المجتمع ويمثل الخلية الأولى فى بنائه) وكلتاهما تعيشان فى مجتمع واحد ، وبالتالى ، العمل على بث الثقة بين المدرسة ، حيث يتعلم

---

(١) انظر : د ٠ عرفات عبد العزيز سليمان ـ المعلم والتربية ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة سنة ١٩٧٧ ٠

النشء ، وبين المنزل ، حيث يعيشون ، مما يعمل على احداث التكامل فى تربيتهم •

ثانيا -

الاسهام فى تفهم شخصيات التـــلاميذ ، تفهما حقيقيا ، ومشاركة للمدرسة فى حل ما قد يعانونه من مشـــكلات ؛ دراسية ، أو سلوكية ، أو نفسية ، فالصالح العام للتلاميذ فى مقدمة أهداف مجالس الآباء والمعلمين •

ثالثـا -

معاونة المدرسة فى تأدية مهمتها التعليمية ، والتــربوية ، فكريا ، وثقـــافيا ، واجتمـاعيا ، وقوميا ، داخل المدرسة (بالنسبة لتلاميذها) ، وخارج المدرسة (بالنســبة للبيئـة المحلية ، والمجتمع المحلى) ، فضلا عن وجود علاقات طيبـة بينها جميعا •

رابعـــا -

العمل على وضوح الرؤية لدى الآباء ، والأهالى فى البيئة عن رســـالة المدرســـة ، وأهميـــة التعليـم ، وكذلك ، تعميق المفاهيم القومية، وبخاصة، لدى الفئات غير المتعلمة، مما يزيد إهتمامهم ، وحرصهم على تعليم أبنائهم ، ومتابعتهم فى دراستهم •

خامســا -

معاونة المدرسة فى استكمال مهامها التربوية ؛ كالمشاركة فى الجهود الذاتية التى يقرها المجلس ، وتقـــديم الدعم ؛ المادى ، والمعنوى - اذا احتــاج الأمر - وبمـــا يتناسب ، وظروف البيئة •

سـادسا -

القيام - مع المدرسة - بأدوار ايجابية للنهوض بالبيئة ، وتلبية متطلباتها المتنوعة - كلما أمكن - وذلك عن طـريق الاستفادة من تخصصات المسئولين فى البيئة، ومن الهيئات، والمؤسسات الموجودة فى مجتمعها المحلى ٠

ثانيا - الوسائط غير المتخصصة فى التربية :

تتعدد وسائط التربية اللامدرسية ، كما تتنوع فى أساليبها ، ودرجة تأثيرها فى تربية الفرد ،

وكلما كان المجتمع على درجة من التقدم ، فان هذه الوسائط ، تكبر ، وتنتشر ، وحديثنا ، هنا ، يتناول ابرز وسائط التربية اللامدرسية فى عالمنا المعاصر ، ومدى اسهام كل منها فى تربية الفرد ، بالرغم من عدم تخصصها فى عملية التربية ، اذ أنها تقوم بوظائف أخرى فى حياة البشر ، وقطاعات المجتمع ٠

(١) المؤسسات الاعلامية والتثقيفية :

وهذه المؤسسات ، تتمثل فى وسائل التثقيف العام ؛ كوسائل الاعلام من صحف ومجلات ، واذاعة مسموعة (الراديو) ، واذاعة مرئية (التليفزيون) ، ومكتبات عامة، وقصور الثقافة ، كما تشمل المتاحف ، والمعارض ٠٠٠ الى غير ذلك ، مما يزيد من ثقافة الفرد ، ومعلوماته ، وعن طريقها ، يوجد رأى مشترك بين جماهير المواطنين عامة، وليس بين طبقة دون أخرى ، فهى منتشرة بين الجميع ٠

فالصحف، والمجلات المختلفة، لها تأثير كبير على الأفراد، والانسان بطبيعته ميال الى التعرف على الجديد من امور دنياه ، والوقوف على ما يغيب عنه من معلومات ، وأنباء ، والصحافة - فى ذلك - بمثابة الكتاب المفتوح ، الذى يسهل تداوله على الناس جميعا ،

بالاضافة الى أن الصحف اليومية ، تنشر ما يتعرض له المجتمع من مشكلات ، ومن ثم ، فهى تجذب الناس الى ابداء الرأى ، وتبادل وجهات النظر ، بالحديث أو بالكتابة ، والى

البحث عن الحلول المناسبة لها ، وفى هذا ، مشاركة للآراء بين جماهير المجتمع ، كذلك ، فان الصحف ، والمجلات ، تقوم بنشر أنواع من السلوك الانسانى ، والأسباب الداعية اليها، فتنير - بهذا - طريق الخير ، وتستوضح طريق الشر ، بما قد يدفع أعضاء المجتمع الى الانتصار للفضيلة ، والتمسك بالقيم الهادفة والمثل الانسانية العليا ، والبعد عن الرذيلة ، ووسائل الانحراف ٠

كذلك ، فان الموضوعات العلمية ، والفنية التى تطرقها الصحف ، والمجلات ، تعمل على اتساع مدارك القارىء ، وتضيف الى ثقافته ، ثقافة أخرى ، وتمده بالفكرة والرأى، حين يحتاج الى الفكرة والرأى ، وتضيف الى معلوماته ، الجديد ، حينما تحمل اليه الانتصارات العلمية المستحدثة، التى قد تجد فى نفسه ، هوى ، فتدفعه الى محاولة المشاركة، لا سيما ، اذا كانت لديه من الاستعدادات ما يشجعه على ذلك ٠

والاذاعة المسموعة ، والاذاعة المرئية ، التى كثر انتشارها فى بلاد العالم المعاصر ، ذات تأثير كبير فى تربية الفرد ، فمن الطبيعى ، أن الانسان الذى يستقبل هذه الموجات الأثيرية بحمولاتها المشحونة بالعلم ، والفن ، والأدب ، والتوجيه ، والنقد ، والسياسة ، والفكاهة ، ووسائل الترفيه والترويح ، ٠٠٠ ثم يعيش معها - أو مع بعضها - منفعلا بما يدب فيها من أحاسيس ، من الطبيعى ، أن يتأثر هذا الانسان بها ، ويأخذ عنها ، ويتكيف بكيفياتها ، وأحيانا ، يعدل من سلوكه ، تبعا لما يرضيه ، ويتشربه منها ٠

وبجانب هذا ، فان الاذاعة (بنوعيها) تستخدم الآن فى كثير من دول العالم ، فى المجال التعليمى ، حيث تقدم برامج متنوعة ، ذات مستويات تعليمية مختلفة ، يفيد منها أعداد كبيرة من طلاب مراحل التعليم ، وجماهير الشعوب ، على السواء ٠

والمكتبات العامة (كدار الكتب المصرية وفروعها فى أنحاء الجمهورية) ، وما تؤديه من التثقيف القائم على القــراءة والاطلاع ، تؤثر ـ بما يعرضه الكاتب أو المؤلف ، من رأى، أو فكرة ، أو معلومات ـ فى القارئ ، وربما تجعل منــه شخصا آخر ، يختلف بدرجة ما عنه ، قبل القراءة ، بالاضافة الى اكسابه بعض العادات الطيبة ، مثل : الالتزام بالمواعيد، والهدوء ، وحب القراءة ، والتعامل الجيد ، وكذلك ، بعض المهارات ، مثل الطرق الخاصة بالكشف عن الكتب المطلوبة، ونظم الاستعارة الداخلية ، والخارجية ٠

وللمكتبات العامة ، فضل اتاحة الفرص للبحوث العلمية أن تنتشر ، بمـــا لها من طبيعة تجميع المعـــارف ، والآثار الفكرية للمؤلفين فى مختلف الميادين ، وهى بهـــذا ، توفر للباحثين والدارسين ، المراجع العديدة ، والمصادر المتنوعة، بما تجمع فيها من عصارات الفكر الانسانى فى شتى مجالات المعرفة ، وتتيح الفرصة للاضافة ، والتجديد ، والابتكار ٠

وقصور الثقافة ، وبيوتها ، بما تقدمه من برامج ، وندوات وعروض ، وأنشطة متنوعة ، وما تقدمه للجماهير ـ سواء الصغار منهم أو الكبار ـ من خدمات تثقيفية ، وتعليمية ، وترويحية ، تسهم بدور ملحوظ فى عملية التربية ٠

أما المتاحف ، والمعارض ، بما تحتـــويه من نمـــاذج ، ومجسمات ، وأشكال، وأعمال ، فانها مجال للاتصال المباشر بانتاج العقول ، والخبرات المختلفة للجماعات ، والأفراد ، وهى بما تعرضه على الناس من ألوان الفكر ، والفن ، ٠٠٠ تؤثر فيهم تأثيرا مختلفا باختلاف موضوعاتها ٠

فالزائر لمتحف الآثار المصرية (مثـــلا) ، يرى كيف كان يعيش قدماء المصريين ، وكيف كانوا يتعلمـــون ، ويعلمون أبناءهم ، وكيف كانوا يبنـــون معابدهم ، وهيـــاكلهم ، أو يقيمون طقوسهم الدينية ، وكيف كانوا يداوون مرضاهم ،

أو يحتفظون بجثث موتاهم ، وانهم نبغـوا فى العـدد من العلوم ، والفنون ، وان عظمة تاريخهم ، قد امتدت عبر قرون طويلة ...

ولا شك ، أن فى هذا ، تأكيدا لمعلوماته السابقة ، وتعميقا لمفاهيمه ، وتفسيرا لما غمض عليه من قبل .

والزائر لمتحف يضم وسائل النقل والانتقال ، يستطيع أن يلمس مدى تطور سبل انتقال الانسان من مكان الى آخر ، وكيف كانت بدائية ، بسيطة ، فى أول عهـدها ، ولم يكن للانسان أن يتصل بغيره فى مكان بعيد الا بعد مشقة ، وعناء، ثم تطورت شيئا فشيئا بفضل ما ابتكره الفكر الانسـانى ، جيلا ، بعد جيل ، حتى اذا كان الوقت الحاضر ، أصبح فى مقدور البشر ، الاتصال المباشر ، والسريع بين أجزاء العالم وأصبح فى استطاعة الانسان أن يعبر قارات العالم خـلال ساعات قليلة من الزمن ، فضلا عن تنوع وسائل هذا العبور والانتقال ، ولعل زيارة كهذه ، لها أثرها فى ايمان الفـرد بقدرة الانسان على الابتكار ، والتجديد ، وحاجته المستمرة الى معرفته ما يسهل له الاتصال بغيره فى أنحاء الدنيا ، وفى ذلك ، الكثير من المنافع المتبادلة بين الشعوب ، مما يعود على أبنائها ، ومجتمعاتها ، وما يسهم فى تطوير مجـالات الحيـاة .

كذلك ، فان الزائر لمعرض للمنتجات الغذائية (على سبيل المثال) يمكن أن يتزود بالكثير من المعلومات ، حيث يعرف الأنواع المختلفة التى يستخدمها الناس فى غذائهم ، ومدى كفايتها لحاجة الانسان بما فيها من عناصر ، ومركبات ، وأن النقص فى تناول الفرد لها ، يعرضه لبعض الامراض ، نتيجة سوء التغذية ، وفقدان مكونات الغذاء الكامل ، وبالتالى ، يقلل من انتاجيته فى عمله ، وينعكس ذلك على النـواحى الاقتصادية فى المجتمع ...

وهكذا ، يمكن أن تكون زيارته هذه ، سببا فى تعـــديل سلوكه ؛ فيعمل على استكمال غذائه من الناحية الصحية ، ويحرص على ذلك بالنسبة له ولأبنائه ، وينشر هذا بين من يتصل بهم حتى يتمكنوا من المحافظة على سلامة أبدانهم ،

وقد توجهه هـــذه المعلومات الى الاقتصـــاد فى نفقات معيشته ، دون الاضرار بصحته ، الى غير ذلك من الفوائد ٠

والزائر لأحد المراسم ، أو معرض للفنون التشكيلية ، فانه يستمتع بما يرى ، ويرهف حســـه حين ينفعل بما تحتويه اللوحات الفنية ، وما تحمله من قدرة على التعبير أو الابداع ، والى جانب ذلك ، قد يستجيب لما رأى ، وشاهد ، فيندفع نحو عمل مماثل ، اذا كان على قدر من الاستعداد يؤهله لذلك ، أو قد يقوم بشراء بعض اللوحات لاقتنائها فى بيته ، أو مكتبه كى يطيل فترة انفعاله السار بها ، أو ليشرك معه أسرته فى استجلاء جمالها واستعراضه مما يكون له الأثر الظاهر فى نشر رقة الاحساس ، وارهاف الشعور ٠

وهكذا ، تتنوع أساليب المؤسسات الاعلامية ،والتثقيفية ، وتختلف فى درجة تأثيرها فى الأفراد ، وبالتالى فى احداث عمليات التربية بأسلوب غير مباشر ٠

(٢) التنظيمات الشعبية والجماهيرية :

ونعنى بها ، التنظيمات التى يندرج تحتها جماهير الشعب ، أو تضم مجموعات كبيرة منه ، وهى تختلف ، وتتنوع ، طبقا لطبيعة المجتمعات وظروفها ، من هذه التنظيمات ، ما يتسم بالصيغة السياسية كالمجالس النيابية ، بنوعياتها (الشعبية ، والقومية ، والمحلية ٠٠٠) والأحزاب ، والهيئات ذات التأثير السياسى ، وكذلك ، منظمات الشباب ذات الهدف السياسى ، كما يحدث فى الدول الشيوعية ٠

ان هذه الأنواع من التنظيمات - بما لها من مجـــالات عمل ، وأنشطة ، واتجاهات ، وأيديولوجية تشكل جانبا من الثقـــافة الوطنية ، التى يتشربها المواطنين ، فهى نوع من التدريب على العمل الوطنى ، والتربية السياسية ؛ ذلك ، أن عضو مجلس الشعب ، أو المجلس النيابى ، يقوم - من خلال عمله - بمهمة مزدوجة ، فهو يتبادل الخبـــرات مع زملائه الأعضاء ، بحكم احتكاكه بهم ، وتعرضه للمناقشة معهم فى شئون الجماهير ، وهو يشترك معهم فى رسم ، وتخطيط ، وتنظيم حياة الأفراد ، والجماعات ، ويتعرف على مشكلاتهم، ويشترك فى ايجاد حلول لها ، ومن ثم ، يكتسب الكثير من الخبرات التى تفيده فى ممارساته للحياة النيابية ، وهو ، هنا ، فى مقام المتعلم ٠

وعندما يلتقى مع جماهير دائرته ، أو الذين وضعوا ثقتهم فيه ، فهو يقوم بدور الوسيط بين الحكومة والمواطنين ، يشرح لهم سياستها ، ويوضح مفاهيمها ، ومدلولاتها الصحيحة ، ويطلب اليهم مراعاة الالتزام والتنفيذ ، بغية الصالح العام للدولة ، وهو ، هنا ، هنا ، فى مقام المعلم ٠

وبالتالى ، فان هذه التنظيمـــــات ، لها اثرها فى فهم الأوضاع السياسية فى المجتمع وتكوين وجهات النظر لدى الجماهير ، ومعرفتهم لحقوقهم ، وواجباتهم ، وكيفية مســار الحياة فى مجتمعهم ٠

والمنظمات التىتضم مجموعات منشباب الأمة من مختلف الأعمار ، تقوم بالزام هؤلاء الشباب بقواعد ، ومبـــادىء معينة ، تتفق مع قواعد ، ومبادىء المواطنة العـــامة (كمـا تقرها الدولة) ، وتعودهم على أساليب العمل فى الجماعة ، وضرورة الالتزام بلوائح هذه التنظيمات ، وتعليماتها ، التى تهدف الى خدمة الوطن، وتنمية روح الولاء له والانتماء اليه، والاعتزاز به ، وبذلك ، تحقق هذه المنظمات ، هدفا أساسيا من أهدافها المتعددة ٠

هذا ومن الضرورى ونحن ننظر فى أثر وسائل الاعلام المختلفة أن تراعى أمرين هامين :

الاول : أن ننظر إليها نظرة متمايزة ، أى لا نعاملها على أنها شىء واحد متشابه ، فهناك تنوع كبير فيما بينها ، من ناحية المادة نفسها وطريقة عرضها وأسلوبه والاداة أو الوسيلة المستعملة فى هذا العرض .

أما الثانى . فهو أنه لا يصح أن نأخذها منفصلة عن وكالات التطبيع الاجتماعى المختلفة فهى لا تؤثر وهى منعزلة عن غيرها من المؤثرات الاجتماعية الأخرى وهذه النقطة جديرة بالملاحظة لانه كثيرا ما تثار أسئلة عن الاثر الضار لبعض برامج الاطفال فى التليفزيون أو الاذاعة أو السينما ، أو حتى الاثر الضار لوسائل الإعلام كلها ، دون ما إدراك لهذه الحقيقة ، وهى أننا لا نستطيع أن نعزل أثر وسيلة معينة أو برنامج معين عن المؤثرات الإجتماعية المختلفه ، ولا عن العوامل الشخصية الخاصة بتكوين شخصية الطفل نفسه .

دور وسائل الأعلام فى التطبيع الاجتماعى :

ونسأل الآن : ما مدى تأثير وسائل الاعلام فى التطبيع الاجتماعى للطفل ؟

يتوقف تأثير وسائل الاعلام على الطفل من ناحية تطبيعه الاجتماعى على العوامل الآتية .

أولا : إن ردود فعل الطفل لما يتعرض له من وسائل الإعلام المختلفة تعتمد على سنه ، وقد أبرزت دراسة كاترين وولف ومارجورى فسك (٤١) أن الاطفال يتبعون إختيارا ذاتيا فى قراءة الكتب المصورة

كذلك ، فان الاجتماعات ، والمؤتمـــرات الدينية بمختلف نوعياتها ، وما تصدره الجمـــاعات والهيئات الدينية من مطبوعات ، وما تنظمه من لقاءات لدارسة شئون الدين ، وما تقوم به من أنشـــطة ، لها أثرها فى توجيـه الأفراد ، والجماعات ، سواء الناشئين منهم والراشدين ، وربما تفوق فى تأثيرها ما تشمله التربية المدرسية من دراسات نظامية، والى جانب هذا ، تعتبر المؤسسات الدينية ، وأماكن العبادة، مجالات تطبيقية للنقاء الروحى ، ومراجعة النفس البشرية · البشرية ·

(٤) التنظيمات والأنشطة ذات الصبغة الاجتماعية :

ونعنى بها التنظيمات التى أوجدها المجتمع من خـــلال أنشطة يمارسها الأفراد ، يهدف تكامل شخصياتهم ، الى جانب ما يتأثر به الفرد من مكونات بيئية ·

من هذه المؤسسات ، الأندية العـــامة ، ومراكز رعاية الشباب ، والساحات الشعبية ، وما الى ذلك ، وكلها تحفل بالنشاط المتنوع ؛

ففى الأندية العامة ، يجد روادها مجالا لممارسة ألوان من النشاط الرياضى ، والاجتماعى ، والثقافى ، مما يشغل أوقات فراغهم ، ويقدم لهم مزيدا من الخبرات ، فى جو متحرر من القيود ، مشبع بالألفة ، والانطلاق ·

وفى مراكز رعاية الشباب ، برامج تهـــدف الى تكامل اعدادهم لمجتمعاتهم ، ودراسة مشكلاتهم ، دراسة موضوعية مع اقتراح حلول لهـــا ، ومحـــاولة الافادة من جهـودهم فيما يعود بالنفع على بيئاتهم ، ومجتمعـاتهم ، الى جانب توجيههم فكريا ، واجتماعيا وتربويا ·

وفى الساحات الشعبية، مجالات لأنشطة متنوعة، تتناسب مع مستويات وميول أبناء الشعب على اختلاف فئاتهم ، ففيها

تمارس الأنشطة الثقـــافية المبســـطة كالقصص الشعبى والمطارحات الزجلية ، والأهازيج الشعبية ، والقـــراءات الهادفة للاستنارة الفكرية ، والتوعية السياسية ، والنضج الاجتماعى ، وفيها ، تمارس أنواع شعبية من الألعاب ٠ كتلك التى تتسم بالبساطة وسهولة الأداء ٠ فضلا عن قضاء وقت ممتع ، واكتساب خبرات محببة ، كذلك ، تقـــوم الساحات الشعبية ببعض الجولات البيئية ، والرحلات القصيرة ، ذات الأهداف المتعددة ، والتى يفيد منها المواطنون ، بالاضافة الى أنها تتيح فرص الالتقاء بين الناس، وبخاصة الناشئين، وفى هذا ، تبادل للمعرفة ، وتأكيـــد للروابط الاجتمـاعية بينهم ٠

وفى البيئات المحليـــة ، مجـــال هام للتأثير فى تــكوين الاتجاهات ، والاهتمامات لدى الأفراد ٠ لا سيما الصغار ـ بما فيها من تقاليد ، وعادات ، وجمـــاعات ، وتجمعـــات : وأساليب معايشة ٠٠٠ فالمصـــارف (البنـــوك) وشركات التأمين ، وتنظيمات الاستثمار ، وصندوق توفير البريد ٠٠ الخ ٠

هـــذه كلهـــا تتضمن تكوين اتجـــاهات تربوية لدى الجماهير ، ولكنها بطريق غير مباشر ٠

وجمـــاعة الرفاق ، لها دورها الهام فى توفير المجـــال الاجتماعى ٠ الذى يتعلم منه الأفراد ـ وبخاصة الصغار ـ الأنماط السلوكية ، وكثيرا من الأشياء ذات التأثير الواضح فى شخصياتهم ، كاستخدام بعض العبارات فى الحديث ، أو معرفة بعض الأمور الخاصة بمستويات أعمارهم، وخصائص جنسهم ، واهتماماتهم ، علاوة على أنها تتيح لهـــم معرفة بعض القيم ، والمثل ، مثل : الأخوة ، والصداقة ، والتعاون، والتآلف ، والايثار ، والوفاء ٠٠

وبالاضافة الى ما سبق ، تســـهم الملاعب (حيث تؤدى

المنظم على السواء . يميل كثير من الناس إلى إرجاع مايلاحظونه من تغيرات وانحرافات فى سلوك الأطفال وخاصة المراهقين إلى واحدة أو أكثر من وسائل الاعلام ، وتشتد مطالبتهم بتشديد الرقابة عليها وتقييد فرص تعرض الأطفال والشبان لها . وفى هذا مافيه من ميل إلى تبسيط الأمور أكثر مما ينبغى ، ومن إرجاع ظواهر سلوكية معقدة إلى سبب واحد ملموس يظن أنه المسئول وحده عما طرأ من تغير وما غمض من الظاهرات .

ومثال هذا ما أثير من ضجة عنيفة فى الغرب وفى المجتمع الأمريكى خاصة ، حول أثر مشاهد العنف والجريمة فى برامج التلفزيون والسينما على ارتفاع نسبة الجريمة والإنحراف بين الشبان .

وكان هذا الأمر موضع دراسة علمية منظمة ، نذكرها هنا بشىء من التفصيل لأنها تكشف عن مدى تأثيروسائل الإعلام على سلوك الأطفال واتجاهاتهم ، وهذه الدراسات وان كانت قد ركزت على الجانب السابق من التأثير إلا أن الشروط التى أوضحتها والتى تساعد على احداث ذلك التغيير تزيدنا فهما لطبيعة هذا التأثير فى جانبيه السالب والموجب على السواء .

صحيح ان محتوى كثير من وسائل الأعلام التى يتعرض لها الأطفال يتضمن عنفاً ، كما أثبتت تحليل ذلك المحتوى وخاصة فى السينما والتلفزيون والكتب المصوره(٢٣) الا انه لايمكن أن نعمم من المحتوى الى التأثير ، اى أنه ليس حتما أن محتوى العنف يؤدى إلى تأثير العنف عند من يتعرصون له . والواقع أن أكثر الدراسات العلمية دقة تشير الى ان تصوير العنف له تأثير ضئيل على جناح الشبان . ذلك لأن تغيير انماط السلوك ، والقيم الأخلاقية الموجودة ، من حالتها السوية إلى حالة

الإنحراف او من حالة الصحة والتماسك الى عكسها من مجرد التعرض لتصوير سلوك وقيم مضادة لها ليس من الأمور الهينة .

وقد أظهرت معظم الدراسات التى أجريت فى هذه الناحية أنه ليست هناك علاقة سببية بين التعرض لمثل هذه المواد وانحرافات السلوك . فالأطفال الذين يشاهدون هذه المواد بكثرة ليسوا أكثر انحرافا ممن يشاهدونها أقل منهم . وحتى تلك الدراسات القليلة التى أظهرت أن الفتيان المنحرفين يتعرضون أكثر لهذه المواد لم تستطع أن تكشف عن علاقة سببية بين هذا التعرض وانحرافهم .

ويخلص كلابر (٢٣) بعد أن قام بدراسة شاملة للبحوث العلمية المختلفه التى أجريت فى هذه الناحية وفى نواحى أخرى متصلة بتأثير وسائل الإعلام ، يخلص إلى النتيجة التالية ، وهى أن نتائج الدراسات التى استعرضها تشير إلى أن الجريمة والعنف فى وسائل الإعلام لايحتمل أن تكون هى المحرك الأول نحو الجناح ، بل إنه يغلب أن تدعم هذه المواد الميول السلوكيه الموجوده بالفعل عند من يتعرضون لها .

ويمكن أن نضيف إلى هذه الخلاصة عاملين سبقت الإشارة إليهما يحددان مدى التأثر بالعنف والجريمة فى وسائل الاعلام وهما :

١ — الوسط الإجتماعى الثقافى الذى يعيش فيه الطفل .

٢ — وردود فعل الآخرين وخاصة جماعة الأقران والأسرة ، لماسيحتذيه أو يتأثر به من سلوك ، أو حتى مايتوقعه هو من ردود فعل هؤلاء الناس .

وتتفق هذه النتائج جميعاً مع ماتراه فلنبج (١٨) فيما يختص بهذا التأثير الضار ، إذ تعتقد أن كثيراً من جناح الأحداث يمكن إرجاعة إلى العلاقات الإجتماعية غير السليمة فى حياة الطفل ، وعدم التوافق الإجتماعى ، أكثر منه إلى مجرد معرفة نمط سلوك أو علاقة أو أحداث تمثل العنف أو الجريمة .

(٦) المؤسسات الترويحية والترفيهية :

ونعنى بها المنظمات أو الأماكن التى يلمس فيها الانسان ما يروح عنه عناء العمل المتواصل ، أو ما يدخل على نفسه البهجة والانشراح ، أو ما يجد فيها تجديدا لنشاطه ، أو تغييرا لرتابة الأداء اليومى فى عمله ، ...

وتتمثل فى : دور العرض السينمائى ، والمسارح ، والملاهى ، والمتنزهات ، ...

وبالرغم من أن هذه الأماكن - بما تشمله من برامج ، أو ما تقدمه من عروض ، أو وسائل ترفيه - لها أهمية ترويحية، نفسية ، الا أن لها جانبا تربويا ، يسهم فى تكوين الأفراد - الى حد كبير - فكريا ، ووجدانيا ، واجتماعيا .

فدور العرض السينمائى وكذلك العروض المسرحية ، لها تأثير فى تكوين بعض الاتجاهات السلوكية ، واكتساب بعض العادات . وبث كثير من الفضائل ؛ كالصدق ، والأمانة ، والشجاعة ، والوطنية ، ومساعدة الضعفاء ، ومعاونة الغير ... كما تعمل على تنمية الشعور بالواجب ، والوفاء، وحب الخير ونبذ الشر .

والعروض السينمائية وبخاصة بالنسبة للصغار - ذات قيمة تربوية كبيرة ؛ فهى تعمل على امتزاج خيالهم بالواقع، وتصورهم بالملموس ، وتوضح لهم ما غمض عليهم من المدركات المعنوية أو الغيبية . وتجيب على كثير من تساؤلاتهم، واستفساراتهم ، مما يؤكد مفاهيمهم ، وينمى عقولهم ، وينضج أفكارهم ، ويساعدهم على الابتكار ، فضلا عن شعورهم بالسعادة والبهجة ، واكتسابهم بعض العادات أو التقاليد .

أما الملاهى والمتنزهات ، فهى - الى جانب أنها مجال

للاستجمام والتسرية عن النفس - فانها ، مجال أيضا لمعرفة بعض المعلومات، واكتساب بعض الخبرات، والوقوف على نوعيات من السلوك الانسانى من خلال تجمعات الناس واحتكاكهم ببعضهم البعض الآخر .

(٧) وسائط الطبيعة ومشاهدها :

ونعنى بها ، ما تعيش فيه الطبيعة حولنا ؛ فى السماء ، وما يدور فيها من شمس ، وقمر ، ونجوم ، وكواكب ، وشهب وفلك ، ... وما يحيط بنا من : هواء ، وطقس ، وحرارة ، وبرودة ، ودفء ، واعتدال ، ورعد ، وبرق ، وسحب ، ورياح ، وأمطار ، وأنواء ، ... وليل ، ونهار ، ... وفى الأرض ، من : جبال ، وأنهار ، وبحار ، وسفوح ، ووديان، وقمم ، وروابى ، وشواطىء ، وخلجان .. وعيون ، وشجر، وزهر ، وثمر مختلف ألوانه وأنواعه ، وطير ، وحيوان وحشرات ، ودواب ...

والى جانب هذا كله ، هناك ، الناس ، مجموعات البشر فى كل مكان ، بطبائعهم ، وألوانهم ، وأجناسهم ، وسلوكيات حياتهم ... وخبراتهم ، وما بينهم من علاقات ، فأساليب تعامل ، ... تلك ، هى الطبيعة التى نعيش فيها ، ونتأثر بها؛ بمكوناتها ، ومقوماتها ، بادراكنا لحركتها ، ومعرفتنا لأسرارها ، واكتشافنا لمكنونها ، ...

هذه الطبيعة ، لها دور كبير فى حياة كل منا ، وبالأسلوب الذى يتناسب معه ، ويتعلم منه ، ويتأثر به ...

انها الحياة ذاتها .. ليست كتابا واحدا ، وليست مدرسة بعينها ، وليست مؤسسة بذاتها ، أو منظمة محدودة كالمنظمات التى اصطنعها الانسان لغرض معين ... ولكنها أشمل من ذلك بكثير ، وكثير جدا .

أما ميكانيات التطبيع الاجتماعى عند الاطفال فى مواجهة وسائل الاعلام فهى .

أولا : الاستيعاب . وأعنى به مجرد إمتصاص الطفل لما يتعرض له من مدركات ومفاهيم ، ولاشك أن عنصر التكرار والاعادة هو أهم العناصر التى تساعد على هذا الاستيعاب .

ثانياً : التقليد . لاشك أن الاطفال يميلون إلى تقليد ما يعرض عليهم من نماذج ، سيئة وحسنة ، إلا أن هذا التقليد يتوقف حدوثه ومداه على الوسط الاجتماعى الثقافى الذى يعيش فيه الطفل ، وعلى ردود فعل الآخرين ، الواقعية عندما يقوم بالتقليد فعلا ؛ أو ردود فعلهم التى يتوقعها إن هو قام بهذا التقليد ؛ وقد تناولنا هذا العامل من قبل عند الكلام عن العوامل المحددة للتأثر بوسائل الاعلام.

ثالثاً : التقمص . وفيه يتوحد الطفل مع شخصية من الشخصيات التى يتعرض لها إما توحدا موجبا، أى يود أن يسلك ويشعر مثلها ،أما توحدا سالبا ، أى يود أن يسلك ويشعر بطريقة مخالفة لها . والتقمص هنا يتوقف على عدة عوامل منها حاجات الطفل نفسه من جهة ، ثم العوامل الاجتماعية المحيطة به من جهة أخرى ، فهنا أيضا نجد أثر ردود فعل الآخرين واحكامهم ومشاعرهم نحو الشخصيات والمواقف واضحا فى مدى ونوع تقمص الطفل لبعض نماذج الشخصيات التى تعرض عليه فى وسائل الاعلام المختلفة .

التكامل بين وسائط التربية

فى نهاية حديثنا عن وسائط التـربية ، التى حـاولنا أن نستعرض أهمها على صفحات هذا الفصل ، نرى أن نشير الى أنه من الضرورى لحياة البشر ، أن تتكامل هذه الوسائط بنوعيها ؛ المتخصصة فى عملية التربية ، وغير المتخصصة.

فالأسرة ، ليست وسيلة التربية الوحيدة (ولكنها هامة وضرورية) وكذلك ، ليست المدرســة (ولكنها أســاسية ولازمة) وانما ، يوجد بجانبهما ، قوى مربية ، ومعلمة أخرى فى المجتمع ٠

ذلك ، أنه قد توجد أشياء خارج الأسرة وخارج المدرسة، هى أقوى أثرا ، وأشد خطرا على تربية الفرد من تأثيرهما معــا ٠

بل ، وقد توجد ثغرة فى شخصية الفرد بين ما يتعلمــه فى المدرسة ، وما تحدثه البيئة حوله ، بكل أبعاد هذه البيئة وتركيبها ومن ثم ، تفسد ما قدمته له المدرسة ٠

فتربية الفرد ، عملية متكاملة ، ولكنها منتشرة الأطراف، وبالتالى ، فان هذه الأطراف ، لابد وأن تقترب وتتلاحم لتكون نسيجا واحدا ،

وهى لكى تنتج هذا النسيج، لابد لها من عمليات متداخلة، يتم من خلالها ، الاتساق والتوافق ٠

وبعبارة أخرى ، اذا كانت التربية هى عملية اعداد الفرد للحياة ، وأن وظيفتهــا ، هى تشكيل اتجــاهات الفرد ، ومفاهيمه ، ونموه ، فان ما يعيش فيه الفرد (بكل مكونات بيئته) يسهم فى تربيته ،

حقيقة ، أن لكل نوع من وسـائط التربية ، اتجـاهاته ، ومعاييره ، ووسائل تشربها أو تفاعلها ،

ولكن بالرغم من ذلك ، فان بينها جميعا ، سمات مشتركة ـ الى حد ما ـ وبينها صلات قد تكون متداخلة ، ومتشابكة، وهنا ، ينبغى وجود تعاون ، وتكامل فيما بينها ·

فالمدرسـة ، تتعـاون مع الأسرة فى تربية أبنائهـا ، ومؤسسات المجتمع وتنظيماته ، تتعاون معهما فى تربيتهم· وهذه كلها ، بمثابة بوتقة ، يتم بداخلها انضاج شـخصية الفرد ·

وبالتالى ، ينبغى ـ داخل المجتمع الواحد ـ أن تتضافر الجهود ، وتتوافق الاتجاهات ، وتنسق الخدمات ، حفاظا على أفراد المجتمع وشخصياتهم ، وحتى لا يغدو الفرد حائرا وسط مجموعة من القوى المتصارعة ، التى تحيط به من هنا، وهناك ، ومن ثم ، يتعرض للضـياع ، ويخسر المجتمع أهم مقوماته ·

الفصل الرابع

الثقـــافة

و

التــربية

حول مفهوم الثقافة

ماذا نعنى بـ « الثقافة » ؟؟

للثقافة تعريفات متعددة ، يعبر كل منها عن وجهة نظر معينة ، ولو أنها تتشابه فيما بينها ، الى حد كبير ،

من هذه التعاريف :

- الثقافة ، هى خلاصة المعرفة الانسانية ، التى يتميز بها الناس فى المجتمع ٠

- الثقافة : هى مجموعة العادات ، والتقاليد ، والأفكار، والنظم ، والمؤسسات الاجتماعية المتنوعة التى توجد فى المجتمع ٠

- الثقافة ، هى كل ما استطاع الانسان أن يصل اليه، ليحصل على أمنه ، وطمأنينته ، وراحته فى مجتمعه ، وذلك لتحقيق حاجاته النفسية ، والاجتماعية ، والبيولوجية ، من أجل تيسير شئون معيشته فى الحياة ٠

- الثقافة ، هى أسلوب لمجتمع ما ، يشمل كل القيم ، والنظم المادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والدينية ، والفكرية، والاقتصادية ، ٠٠ كما تشمل عادات الناس، واتجاهاتهم، وآدابهم ، وفنونهم ، والكيفية التى يمارسون بها وجود نشاطهم المختلفة ٠

وهذه الثقافة ، تنتقل من جيل الى جيل ، ومن جماعة الى جماعة ، ومن وسائل هذا الانتقال ، اللغة التى يتكلمها أفراد المجتمع ٠

- الثقافة ، هى مجموعة الأفكار ، والمعلومات ، والتقاليد ،

والعادات ، والمهارات ، والاتجاهات العقلية ، والقوانين، والأنظمة ، وطريقة الحياة التى يتفق فيها جميع الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع ، والثقافة وحدها ، هى التى تفرق بين المجتمعات الانسانية ؛ اذ باختلاف الثقـــافات، يختلف الناس فى طريقة حيـاتهم ، وسبل معيشتهم ·

- الثقافة ، ه‍ى نسيج الأفكار، والمثل، والمعتقدات، والقيم، والمهارات ، والأدوات ، والنتاج الفنى ، وطرق التفكير ، والعادات ، والمؤسسات الاجتمـــاعية التى يعيش فيها الأفراد فى المجتمع ·

وهى كذلك ، تشمل ، الطرق التى يتكسب بها الأفراد ، والرياضـــة التى يمارســـونها ، والقصص النابعة من حياتهم ، والابطال الذين ينالون تقديرهم ، والموســـيقى التى يعزفونها ، وتشجيهم ، والطـــرق التى يربون بها أطفالهم، وينشئون عليها ابناءهم ، وتنظيماتهم الأسرية، وطرق مواصلاتهم، واتصـــالاتهم ·· الخ وغير ذلك من أساليب الحياة ·· وكلها مما يصنعه الناس فى بيئاتهم بعقولهم ، وأيديهم ·

تحليل ما سبق من تعريفات للثقافة :

في ضوء ما سبق ، يمكننا أن نعبر عن مفهوم الثقافة ، بأنها : مجموعة الأنماط السلوكية ، أو الطرز التى يتميز بها مجتمع معين ، وتكون معا وحدة عضوية ، وهذه الوحدة (وهى الثقافة) ، هى كل ما يعزى ، أو يرجع الى عملية التعلم فى المجتمع ، وما يتناقله جيل عن جيل آخر ، وتلعب اللغة دورا هاما فى هذا النقل ٠

على أن عناصر الثقافة أو مكوناتها ؛ المادية ، والمعنوية متشابكة ، ومتداخلة التأثير ، والتأثر ؛ فالمادة الخام ، ليست لها قيمة فى المجتمع ، الا اذا استغلها الانسان ، وأثرت فى حياته ،

والمكونات المادية للثقافة (بصفة عامة) ، ليست لها قيمة ، الا اذا كانت لها دلالات فكرية خاصة ،

وكذلك ، الأنماط ، والقيم ، والعادات ، والمبادىء ، والمفاهيم ، والآلات التى من صنع الانسان ، وما يوجده فى بيئته من أدوات ، وأشياء ، كل ذلك ، يصنع الثقافة فى المجتمع ، غير أن المكونات المختلفة للثقافة ، بعضها أكثر استمرارا ، وبقاءا ، وشمولا ، بينما يكون البعض الآخر أقل نسبيا ، أو دون ذلك ، وبالرغم من هذا ، فانها جميعها تتفاعل ، فتنتج الثقافة التى يتميز بها المجتمع ٠

الثقافة بين التربية والتعليم :

اذا كانت هذه ، هى تعريفات الثقافة ، ومضمونها ، فما الفرق بينها ، وبين كل من التربية ، والتعليم ؟؟
لايضاح ذلك ، نقول :

بالنسبة للتربية :

ان التربية ، عملية اجتماعية ، تهدف الى اعداد الفرد للحياة فى مجتمعه ، لكى يتحمل التبعات التى تلقى على عاتقه ، وبالتالى ، ليسهم فى بناء مجتمعه ، وتطويره والنهوض بالحياة فيه ، بكافة ميادينها ،

فالتربية ، عملية اكتساب الصفات الانسانية ، والمكونات الاجتماعية ، والنفسية لشخصية الفرد ، وهى بذلك ، تهيئه للملاءمة مع متطلبات المجتمع ، واحتياجاته ، بما لديه من مرونة ، وقدرة على التكيف ، وبما يتوفر له من نمو متنوع فى نواحى شخصية ، وبما يحرزه من تقدم ، ونجاح فى حياته ٠

ولما كانت خبرات الحياة ، لا تنتهى الا بانتهاء الانسان

نفسه فان التربية لا تنتهى خبراتها عند حد معين ، أو بنوع معين من الخبرة ٠

وهذه الخبرات ، لا تقتصر على فترة دراسية ، أو مرحلة تعليمية معينة يقضيها الفرد ، ولكنها خبـــرات مســتمرة ، تلازمه طوال حياته ٠

بالنسبة للتعليم :

التعليم ، جزء من التربية ، فالفرد ، عندما يتعلم شيئا ، أو يكتسب خبرة من نوع معين ، ويمارسها فى سلوكه ، فهو قد تعلمها ،

(وهناك فرق بين التعليم ، والتعلم ، فالتعليم ؛ يعنى أن يعلم الانسان غيره، أو يعاونه على اكتساب المعرفة ، فى حين أن التعلّم ، يعنى أن يمارس الفرد عملية التعلم بنفســـه ، فالذى يستذكر دروسه ، أو يحفظ معلومات تتعلق بدراسته أو عمله ، أو يقوم بأداء تدريبات تعينه على ذلك ، ومن ثم ، تتكون لديه خبرة عنها ، فهو قد تعلمها أيضا ، وهكذا ٠٠)

والتعليم ، قد يكون مدرسيا (وهو ما يتم خلال المراحل التعليمية) أو غير مدرسى ، كأن يتعلم الانسان حـــرفة من الحرف ، أو نوعا من أنواع التعليم خارج المدرسة؛ كممارسة عمل ، أو فن ، أو اضافة خبرة جديدة ، بقصد تحقيق هــدف، أو نوع من النمو ، فهذا سبيل من سبل التربية ٠

والمدارس ، أو المعــاهد التعليمية ، عنـــدما تقوم بتعليم أبنائها ، فتقـــدم لهم المعلومات المتنوعة ، وتنمى قدراتهم ، وتكشف عن استعداداتهم ، وتكسبهم من الخبرات ما يهيئهم للحياة ، فهذا مجال من مجالات التربية ،

وعلى ذلك ، فالتعليم جزء من التربية ، وهى أشمل منه ٠

وماذا بالنسبة للثقافة ؟؟

اذا كانت التربية فى مضمونها ، عملية اجتماعية شاملة، وكان التعليم (سواء المدرسى منه ، وغير المدرسى) أحد جوانب هذه العملية ، وله صبغته الاجتماعية أيضا فى كثير من مكوناته ، فان الثقافة – من واقع طبيعتها – ذات صبغة اجتماعية ،

وهذه الجوانب كلها ، فى تفاعل مستمر باعتبارها عاملة فى محيط واحد لدائرة واحدة ، هى المجتمع ، والثقافة ، هى نتاج هذا التفاعل ، الذى يدير حركته الانسان ، ويهيمن على دفع عجلته ، وتطويره بقدر ما لديه من قدرة مستمدة من طاقات مجتمعه ، ومقوماته ،

ولذلك ، فان التربية عملية اجتماعية ، ثقافية ، تشتق ضرورتها من ضرورة الوجود الاجتماعى للأفراد ، ومن كونهم ، حملة للثقافة ·

كذلك، فان الثقافة – بكل وسائطها فى الدوائر الاجتماعية، وتنظيمات المجتمع – تعتبر الوعاء التربوى العام ، حيث تحدث عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد ، بما تؤدى اليه من إكتسابهم أنماطا سلوكية ، تحدد علاقاتهم ، وتعبر عن نفسها ، فيما يقومون به من أدوار اجتماعية ، ونتيجة لممارساتهم التربوية المتنوعة ، وما تنطوى عليه من تعليم ، وتعلم ، ···

الثقافة بين المدنية والحضارة :

يمكن اعتبار المدنية بما تشمله من مظاهر تقدم المجتمع، ووسائل تحضره المتنوعة ، هى الجانب المنظور ، أو المرئى للثقافة ، أو الحضارة ، أو أنها الثقافة المادية ·

ذلك ، أن مكونات المدنية ، تحمل فى مضموناتها جـوانب ثقافية ، وان اختلفت فى مظهرها الثقافى ، ودرجته •

فالأجهزة ، والأشياء ، والادوات الحديثة ، والمخترعات الجديدة •• تعبر عن الحضارة ، أو المدنية ، ولكن الثقافة، هى التى تحـــدد مدى تقبل الأفراد لهـــا ، وافادتهم منها ، وانتفاعهم بها •

وهذه الثقافة ذاتها ، تتأثر بنوع المدنية ، ومحتـــواها ، ووسائطها ،

كذلك ، يمكن اعتبار الحضــــارة ، هى واجهة الثقافة ، ومرآتهـــا •

خصائص الثقافة وطبيعتها :

نعرض - فيما يلى - تحليلا موجزا لطبيعة الثقافة ، حيث تتميز ثقافة المجتمعات بمجموعة من السمات أو الخصائص، تكسبها صفة الاستمرار ، والبقاء فى المجتمع ،

من أبرز هذه الخصائص :

أولا -

ان الثقافة ، عضوية فى مضمونها وفاعليتهـــا ، وهذا ، يعنى ، أنه لكل وهذا ، يعنى ، أنه لكى تتم الثقافة ، لابد من قيام أفراد المجتمع بمجموعة من الأنشطة ، والأعمال ، من شأنها تثبيت مظاهر الثقافة ومقوماتها ، وهى - فى نفس الوقت - فوق العضوية ، بمعنى ، أن الثقـــافة ، لا تكون قاصرة على جيل معين من البشر ، فهى قد تستمر عدة أجيال متعاقبة •

ثانيا -

أن الثقـــافة ، تتسم بالثبـــات ، وهذا ، يعنى ، أنه لكل ثقافة ، مجموعة من المعالم ، والعناصر الثابتة ، يتميز بهـا المجتمع الذى تعيش فيه ، وهى - فى ذات الوقت - عرضة للتغير ، لا سيما فى العصر الحاضر ، وما يتسم به من سرعة، وتطور ، مما يؤثر على ثبات الثقافة ، وتركيبها ، فهى تفاعل مستمر مع ظروف المجتمع ، وما يطرأ عليها .

ثالثـا -

أن الثقـــافة ، تتسم بالعـــلانية ، والوضـــوح ؛ فنحن نرى مظاهرها ، ونلمس نتاجها ، ومكوناتها ، وهى ، - أيضا - تتسم بالتخفى ، والضمنية ؛ فنحن نلمس مضـــمانيها ، ومعنوياتها، من خلال سلوك الأفراد فى حياتهم بمجتمعاتهم ·

رابعـا -

أن الثقافة، قد تكون مثالية، (من وجهة نظر من يتمرسها)، فكل مجتمع يرى فى ثقافته مثـلا يحتذى ، ينبغى اتبـــاعه وممارســـته ، وهى - فى الوقت نفسه - واقعية ، بمعنى أن سلوكيات الأفراد ، تعبير مبـــاشر لحقيقتها ، وقد توجد ثغرة بين المثـــالية والواقع الملموس ، وهذا ، يختلف من مجتمع الى آخـــر ·

خامسـا -

أن الثقـــافة ، ليست قوة فى ذاتهـــا ، بمـــا تتضمنـــه من المكونات المادية المتعددة ، أو بما تحتـــويه من القيـــم، والمثل ، والتقاليد ، أو التراث الثقافى المتنوع ، ولكنها ، قوة من خلال ما يتم من تفاعل اجتماعى بين الأفراد ، ومتطلبات حيـــاتهم ·

سادسا ـ

أن الثقافة المتماسكة ، تزداد ـ فيما بينها من مكونات ـ ترابطا ، وقوة ، اذ أنه كلما زاد تماسك الثقافة، ازداد تداخل ، وتماسك اطارها النظرى بنواحيها التطبيقية٠

وربما يكون ذلك فى المجتمعات البسيطة ، أوضح منها فى غيرها من المجتمعات الحديثة ، ذات التغير المستمر ٠

سابعا ـ

أن الثقافة ، ذات صبغة اجتماعية ، فهى ليست قاصرة على فرد دون آخر ، بل هى نسيج مادى ، معنوى ينتظم حياة الناس ، وأنماط سلوكية ، تتسم بها جماعة انسانية ، داخل مجتمع معين ، له مقوماته ، ومكوناته ، والفرد فى هذا المجتمع ، يستمد ثقافته من وجوده بينها ، وفى ضوء ظروفها ، ومتطلبات حياتها ٠

ثامنا ـ

أن الثقافة ، مكتسبة ، وليست وراثية (فيما عدا النواحى البيولوجية وبعض القدرات الخاصة) ، فهى تتكون من ماديات ذات فعالية للانسان بما تحمله اليه من معان ، وما تعبر عنه من تقدم ، ومدنية ، يعايشها ، خلال تطبيعه الاجتماعى فى وطنه ،

وهى ، تتكون من معنويات يتمرسها الانسان فى سلوكه ، وتوجد بينه ، وبين أفراد مجتمعه ، الشعور بالانتماء ، والولاء ، مما يجعلهم حريصين على ثقافتهم ، واستمرارها، وتطورها لصالح مجتمعهم ٠

مؤثرات الثقافة :

تخضع ثقافة المجتمع لبعض العوامل التى تشكل طبيعتها، وتؤثر فيها ، من هذه العوامل :

١ - الظروف الاجتماعية ، والتاريخية التى تعيشها الجماعة ، ومدى تراكم مكونات الثقافة ، ومدى انتقالها من جيل الى جيل ٠

٢ - الظروف الاقتصادية التى يعيشها المجتمع ، باعتبار أن الاقتصاد يوجه حياة الأفراد ٠

وكذلك ، الأوضاع الجغرافية ، باعتبارها من عوامل تشكيل ماديات الثقافة فى المجتمع ٠٠

٣ - مقدار ما يتعرض له المجتمع من تغيرات (ايجابية كانت أو سلبية) لها فاعليتها فى مقومات الثقافة (المادية منها والمعنوية) ومن ذلك ، القوى السياسية، وما يصحبها من تغير اجتماعى ، وما قد ينتج عنها من أوضاع اقتصادية ، وثقافية ، وتربوية ٠

٤ - درجة تأثير القوى المعنوية ، أو الروحية فى سلوكيات الأفراد ، ومدى توجيهها لحركتهم ، وأدوارهم الاجتماعية ، وعلاقاتهم ، وتفاعلهم فى المجتمع ٠

٥ - اللغة السائدة بين أفراد المجتمع ، باعتبارها شرطا أساسيا لأى مجتمع انسانى ، ذلك ، أن اللغة ، هى الأداة التى يمتلكها الانسان ، وينفرد بها دون غيره من الكائنات ، وبدونها ، لا وجود للمجتمع البشرى ، وعن طريق اللغة ، يتمكن الفرد من ابداع المعرفة ، وتكوين المفاهيم ، وتدوين العلوم ، والفنون ، وكذلك،

يمكنه استرجاع الماضى ، وتصوير الواقع ، وتخيـــل المستقبل ٠

٦ ـ عوامل قرب الجماعة الانسانية أو بعدها عن غيرها من الجماعات البشرية ، ومدى ما بينها من تفاعل ، ثم مدى تأثر هذه الجماعة بالاشعاع الحضارى ، السائد فى المجتمع البشرى المعاصر لها ، بصفة عامة ٠

تلك ، هى بعض الموجهات ذات الفعالية فى تكوين ثقـافة المجتمع ، وأحداثها ٠

وهذه العوامل ، بالرغم من درجة تأثير كل منها ، الا أنها متداخلة فيما بينها ٠

تصنيف الثقافة :

يرى بعض علمـــاء التربية ، وثقافة الانســـان ، وعلم الاجتماع التربوى ، أن الثقافة يمكن تصنيفها أو تقسيمها الى أكثر من نوع ، لكل منها دلالته فى المجتمع ، من حيث تشربها، وتمرسها ٠

(أ) عموميات الثقافة :

ويقصد بها العناصر الثقـافية ذات الطابع العـــام بين الأفراد الراشدين فى المجتمع، كاللغة السائدة بينهم، والقيم، والمثل ، والأفكار الاجتماعية ، والســياسية ، والاقتصادية التى يتمرسونها فى حياتهم أى الأيديولوجية العامة للمجتمع، وكذلك ، تتضمن الملابس التى يرتديها الناس أو الزى الذى يتفقون عليه ، وأساليب التعامل بينهم ، ومجالات الســلوك التى تحكم تعاملهم ، وتصرفاتهم ٠٠٠

وهذه العموميات ، لها صفة الاستمرار أكثر من غيرها من تصنيفات الثقافة لأنها من أســـاسيات ثقافة كل فرد فى المجتمع ٠

(ب) خصوصيات الثقافة :

ويقصد بها ، العناصر الثقافية التى يتميز بهـا فريق من أفراد المجتمع ، أو طائفة من أبنـــائه ، أو طبقـة معينة منه (عندما توجد وبقات فى المجتمع) لها سلوكياتها الخاصة ، ووجهات نظرها ، بل وتقاليدها المحدودة ، وهذه العناصر ، تتمثل فيما يتصل بمهنة معينة أو حرفة خاصة ، لها تقاليد تمرسها ، ونوعيات سلوك أفرادها ، وما تتطلبه طبيعة العمل بها من مهارة ، أو فنية الأداء ، أو نشاط ، أو حركة ، أو لغة، ومصطلحات ...

وليس معنى ذلك ، أن هذه المهنة أو الحرفة ، لها صـــفة التوارث ؛ فيتمرسها الخلف عن السلف ، بصفة مستديمة، ولكنها ، قد تكون قاصرة على مجمـوعة من الأفراد ، دون انتقالها – بالضرورة – الى أبنائهم من بعدهم .

(جـ) بديلات الثقافة :

ويقصد بها ، العناصر الثقافية التى يمكن أن تحل محـل عناصر أخرى أو هى البدائل التى يمكن أن يكون لها صفة الوجود ، والبقاء بعد تقلص أو تلاشى عناصر أخرى ، نتيجة حدوث جديد ، أو محاولة تجديد فى أســـاليب الثقـــافة ، ومقوماتها ، أو قيمها ، وهذه البدائل ، قد يتأثر بها المجتمع بأكمله ، نتيجة تغير جذرى ، كالتى تحدث مصاحبة للتغير السياسى ، والاجتماعى الشامل ، وقد تكون البـــدائل ذات تأثير على فئة بعينها من فئات المجتمع كاســـتحداث بعض طوائق العمل فى مهنته أو حرفة ، فهى لا تشمل جميع أفراد المجتمع ، ولكنها تشمل فريقا منهم فحسب .

على أنه من الملاحظ ، أن بديلات الثقافة ، قد تواجه فى أول أمرها ، شيئا من الصراع أو المقاومة ، فالجديد ، أو البديل فى حياة المجتمعات ، لا يقبله الناس الا عن رضى ، واقتناع،

(باستثناء ظروف القهر والضغوط التى تتعرض لها بعض المجتمعات) فاذا ما ثبتت جدواها ، وتقبلها الناس ، استقرت واستمرت ، وأزاحت ما سواها ، لتبقى هى ؛ سواء بالنسبة لأفراد المجتمع (على وجه العموم) ، وهنا ، تدخل ضمن عموميات الثقافة ، أو بالنسبة لطائفة من المجتمع ، وهنا ، تدخل ضمن خصوصيات الثقافة .

تفاعلات الثقـــافة :

أولا - الثقافة والفرد :

اذا كان سلوك الحيوان ، يتحدد - الى حد كبير - بوساطة الغريزة ، فان الثقافة ، هى التى تحدد سلوك الانسان ، من خلال ما يسنه المجتمع من قوانين ، ولوائح ، وتشريعات ٠٠ حتى يتمكن الأفراد من اقامة نظـام اجتمـاعى ، ضرورى للحياة الاجتماعية ،

ذلك، أن الانسان كائن اجتماعى ثقافى، يمكن فهم سلوكه، بفهم تفاعله مع غيره ، والثقـافة ، عامل هام فى تحقيق ذلك ، الى جانب هذا، فان الثقافة تخلق منافذ لطاقات الناس، تمكنها من أن تتحقق - الى حد ما - ، فالانسان ، لا يستطيع أن يحقق نفسه بغير الثقافة ٠

ولكى يحقق الانسان ذاته ، ينبغى أن يحدث توافق بين شخصيته ، وبين مضمون الثقافة فى مجتمعه ٠

اذ أن السلوك الاجتماعى للفرد ، يتحدد نتيجة للتفاعل بينه ، وبين البيئة التى يعيش فيها ، وبصفة خاصة ، البيئـة الاجتماعية ،

ويتجلى أثر هذا التفاعل فيمـــا تلحظه من اختلاف بين سلوك الأفراد الذين ينتمون الى جماعات مختلفة أو ثقافات، وحضارات متباينة ؛ فالانسان المصرى - على سبيل المثال - ثقافته تختلف عن ثقافة الانسان العراقى ، أو اليمنى ، مع أنهم جميعا من أبناء الأمة العربية ، الا أن المجتمعات تختلف فيما بينها من حيث ثقافة كل منها ، واذا كان هذا بالنسـبة للوطن العربى بنوعيات مجتمعاته ، فما بالك ، بالانســان الأمريكى ، أو الفرنسى ، أو الروسى ، ٠٠ ولكل منهم مجتمعه، وثقافته التى قد تختلف كثيرا عن الاثنين الآخرين ؟؟

ومن ثم ، فان الثقـــافة ، عامل مميز فى طبيعة الفرد ، وتكوين شخصيته ، وهذه ، تتكون - بالاضافة الى صفاته البيولوجية ، ومكوناته الوراثية - من اكتسابه لجانب كبير من ثقافة مجتمعه ،

ولهذا ، ينبغى أن يفسر سلوك الفرد فى ضوء هذه الثقافة، باعتبار أن الثقافة ، تشـــكل الفرد ، بحيث يســـهم هو فى وسائلها ، والاعداد لها ، ثم ، التكيف معها ٠

والثقافة - بالنسبة للفرد - فضلا عن أنها تكسبه عادات الجماعة ، وتقاليدها ، فانها ترسم للفرد صورة لتفكيره ، وسلوكه ، وذلك، من خلال ما توفره له من وسائل، وتنظيمات وأدوات ، وما تعمله من اشباع لحاجاته ، وما تقدمه له من قيم ، ومبادىء ، بالاضافة الى شعوره بالانتماء لمجتمعـــه أو وطنه ، ومشاركته لجماعته فى آمالها وآلامها ، وأهداف حياتها ٠

وقد لا نكون مغالين ، اذا اعتبرنا أن ثقافة الفرد تشكل شخصيته ، عقليا ، وانفعاليا ، بل ، وجسميا ؛ فهى تكيف حتى سماته الجسمية ، كالايمـــاءات ، وتعبيرات الوجه ، وطريقة المشى ، والجلوس ، والأكل ، والنوم ، ٠٠

والواقع ، ان شخصية الفرد ، بل والجماعة الانســانية - بصفة عامة - تنمو ، وتتحدد بالثقافة التى وجدوا فيها ، وعاشوا بين جوانبها ، وتأثروا بمؤثراتها ، منـذ نعـومة أظفارهم الى سن رشدهم ، سواء كان ذلك ، فى الأسرة ، أو داخل مؤسسة تعليمية (مدرسة أو معهد) ، أو خارجها حيث المجتمع الكبير كله ، ومن أمثلة ذلك ؛ أننا لو أوجدنا طفـلا ينحدر من أبوين شرقيين ، - منذ ولادته - فى مجتمع غربى، أو أوربى ، لوجدناه يتمرس سلوكيات هذا المجتمع الغربى ، الذى يعيش فيه ، ويتطبع بثقافته كما يفعل أبناؤه الأصليون، والعكس ٠ كذلك، بغض النظر عن النواحى الوراثية، كبعض

الصفات الجسمية ، أو بعض الاستعدادات الفطرية ، والقدرات الخاصة ·

ويؤكد هذا أيضا ، ما تضمنته قصة الطفل أو الطفلة التى اختطفتها الوحوش من بيئة البشر ، وعاشت مع الحيوانات فى بيئة لها مقوماتها (الثقافية) الحيوانية ، التى تختلف عن حياة البشر فتمرست سلوك هذا المجتمع الحيوانى ، حتى اذا ما أرجعت ثانية _ بعد بضعة سنوات _ الى المجتمع البشرى وجدت صعوبة فى تكيفها من جديد مع الطبيعة البشرية ·

ثانيا _ الثقافة والمجتمع :

لكل مجتمع ثقافة ، ولكل عصر ثقافة ، ولكل مجموعة من البشر ثقافتها ، والثقافة ، لا توجد فى غير مجتمع ، كما لا يوجد مجتمع بدون ثقافة ، فالثقافة ، هى ذلك الجزء من البيئة ، الذى قام الانسان بنفسه على صنعه بفكره ، ويده ·

وكل ثقافة ، تضم _ الى جانب مكوناتها المادية _ عددا من أنماط سلوكية مختلفة ، من شأنها احداث التكامل فى ثقافة المجتمع ، على أنه كلما كانت الثقافة أكثر تكاملا ، فان هذه الأنماط تكون أكثر تعزيزا ، بعضها لبعض ، باعتبار أن هذا التكامل يتأتى عن طريق وجود علاقة متبادلة فى طبيعة هذه الأنماط ·

كذلك ، فان الثقافة كلما كانت أكثر انغلاقا ، كانت مقاومتها لغيرها أكبر ؛ اذ أنه حتى ما يبدو فيها من سمات عارضة ، انما يكون متأصلا بشكل مباشر فى حياة المجتمع، واهتمامات أفراده ، فاذا ما أقحم التغير عليها اقحاما ، فان الثقافة ، قد تتأثر بشدة ، بل ، وقد تصل الى حد الانهيار ·

ومن أمثلة ذلك ، مجتمع الدول الشيوعية ، حيث نجد الثقافة (فى هذا المجتمع الجماعى) أكثر تكاملا اذا قورنت

بثقافة المجتمع الديموقراطى المفتوح ، فالأول ، يستطيع أن يفرض نظاما معينا ، أكثر اتســاقا ، على ثقــافته ، بينما لا يستطيع الثانى ، ذلك ٠

على أنه ينبغى أن نعرف ، أنه لا توجـــد ثقافة واحـــدة متكاملة تماما ، فهذا ، ضرب من المثـــالية ، أو أمر يصعب وجوده فى عالم البشر الا فى أضيق الحدود ،

وبالتالى ، فان الثقافة لا تخضع للتخطيط الذهنى ، بل هى نتاج لتاريخ طويل ، ومعقد ، وقد تشـــتمل فى ضمنياتها ، ونسيجها على بعض المتناقضات ، ولكنها ، مع هذا ، تأخذ الشكل العام ، الذى يتصف به مجتمع من المجتمعات ٠

ولكن ، هل تظل الثقافة، هكذا ٠٠٠ اما مغلقة تماما، واما مفتوحة للغاية ؟؟

الواقع ، أنه كلما كانت الثقافة أكثر تكاملا ، ومرونة ـ فى نفس الوقت ـ ، فانها تكون أكثر استجابة الى استيعاب مجموعة من المستحدثات ـ التى تعمل على ثرائها بمكوناتها ـ من مصادر مختلفة ، دون أن تكون مهددة بطريق مبــاشر فى أسسها ، ومن أمثلة ذلك ؛ نقل بعض الخبرات العلمية ، أو التكنـــولوجية ، أو الافادة من المختـــرعات الحديثة ، ومبتكرات الفكر البشرى حيثما وجدت ٠٠٠ وفى ذلك منافع متبادلة بين المجتمعات البشرية ٠

المجتمعات وطبيعة الثقافة :

لكى نتبين مدى فعل الثقافة فى المجتمعات ، نتناول ـ فى تحليل موجز ـ مقارنة لتفاعل الثقافة فى كل من المجتمـــع البدائى البسيط ، والمجتمع المتحضر المعقد :

من المعروف ، أن المجتمعات البدائية ، مجتمعات بسيطة فى تكوينها ، بسيطة فى ثقافتها ، بمكوناتها المادية والمعنوية، وفى عاداتها ، وتقاليدها ، وأعرافها ، وهى، فضلا عن هذا، مجتمعات متجانسة ، يشارك أفرادها فى تكوين المفاهيم ، والاهتمامات ، حيث توجد بينهم روابط قوية ، تجعلهم على بصيرة بما يدور فى مجتمعهم ، حيث يسود نظام ثابت ، وعرف ثابت من الصعب تغييره ، وبالتالى ، فان الشخص البدائى [illegible] عسير اخضاعه لنظم جديدة ، أو تحويله عما ألفه منذ سنوات طويلة ، بل يعرض ثقافته للاضطراب ، ويعرض كيانه الاجتماعى لهزة تنقص منه ، وتقلل من تماسك الجماعة ، والمجتمعات البدائية ، ذات امكانيات محدودة ؛ فلا توجد بها المنظمات أو المؤسسات الاجتماعية ، المنتشرة فى غيرها من المجتمعات المتحضرة ، حيث يعتمد أفرادها فى تربيتهم على محاكاة الصغار للكبار ، وتقليدهم ، وليس معنى ذلك ، أن الانسان البدائى ، جامد كل الجمود ، أو انه غير قابل للتغير تماما ، ولكنه ، بطىء التغير ، ضعيف القابلية للتحول ، والتقدم ، والا فان سمات الآدمية من حيث النمو ، والتطور ، والقدرة على التغير ، والتكيف ، لا تنطبق عليه ككائن بشرى حى ٠

ذلك ، أن طبيعة الحياة فى المجتمع البدائى ، تتصف بالحفاظ على أساليب التربية السائدة ، والمتوارثة ، كما يحدث فى بعض المهن ، أو الحرف ، بينما تتجه المجتمعات الحديثة الى اتاحة الفرص أمام الصغار ، والناشئين ليمارسوا ما يرونه من أعمال ، وما يتفق مع رغباتهم ، وقدراتهم ٠

فالمجتمعات المتحضرة ، تتصف بالتعقيد فى تركيبها ، وهى ذات تخصصات مختلفة ، ومعلومات متعددة ، تتناسب مع كثرة سكانها ، وتنوع أعمالهم ، وحرفهم ، واهتماماتهم، كما تتنوع فيها مصادر الثقافة ، ومكوناتها ، وتتسع

مجـــالاتها ، وتتشعب ، الأمر الذى قد يعـــرض الأفراد - وبخاصة الشباب - الى نوع من الصراع ، نتيجة العديد من المؤثرات ·

ولعل هذا ، يؤكد أن التربية فى المجتمعات البدائية ، لها طابعها المباشر ، ووسائلها الميسرة ، فالصنعة ، أو الحرفة (مثلا) لها عند الفرد ، حاجة ، وضرورة ، وكذلك ، ما يتم من أعمـــال ، وانشـــطة ،

ومن ثم ، فان الشخص البدائى ، يدرك علاقة ما يتعلمـه (أيا كان نوع التعليم) بحياته الحاضرة ، بل ، والمستقبلة ، أيضا ·

أما المجتمعات الحـــديثة ، والمتحضرة ، فانها كثيـــرة المشكلات ، سواء فيما يتعلق بوسائل الحضارة نفسها ، أو ما ينتج عن استخدامها ، وبالرغم من ذلك ، فانها تتســـم بديناميكية الحركة ، والتغير ، من وقت لآخـــر ، وتستطيع الثقافة أن تتكيف مع مايحدث من تغيرات، الا أن ديناميكيتها، قد تؤثر على ثبات بعض القيم فى المجتمع ، بل ، وتصارعها أحيانا ·

ثالثا - الثقافة والتربية :

لما كان الفرد يستقى تربيته من مصادر مختلفة ، ومتنوعة، وكذلك ، تتكون ثقافته من وجـــوده فى بيئـــة معينة ، ذات خصائص تميزها عن غيرها ،

فهـــل معنى ذلك ، أن وســـائط التربية ، هى مكونات الثقـــافة ؟؟

وان لم تكن هكذا ، فما الصلة بينهما ؟؟

من المعروف ، أن وسائط التــربية ، هى المصــادر ، أو العوامل ، أو الأماكن ، أو السبل التى يستقى منها الفرد ، مجموعة من الخبرات ، والمعلومات ، والمهارات ، ٠٠ التى تمكنه من السلوك السوى فى المجتمع ٠

وهذه الوسائط ، من شأنها اتمام عملية التربية ، نتيجة تفاعلها مع بعضها ، البعض ، لتتكامل شخصية الفرد ٠

وهــذه الوسائط ، متشابكة ، ومتداخلة فى طبيعتها ٠

أما الثقافة ، فهى خاصة بالمجتمع ، حيث تكون الشــكل العام ، أو الصورة الكاملة للمجتمع ، بما فى ذلك ، النواحى المادية ، والمعنوية ، اذ لا ثقافة بدون مجتمع ، ولا مجتمـع بدون ثقافة ،

فالتربية ، تساند الثقــافة ، وتدعمها ، وتعمــل على استمرارها ، ومن وظائفها ، الارتقاء بمستوى الثقافة ، عن طريق الارتقاء بمستوى الأفراد ٠ والتربية ، لا حدود لهــا بالنسبة للانسان ، بينما الثقافة، محدودة بمكان، وبمجموعة من البشر فى مجتمع معين ٠

واذا كانت التربية ، غاية فى ذاتها ، وهى اعداد الفــرد للحياة ، فان الثقافة ، من وسائل التربية التى يستعان بهــا فى تكوين ، واتمام هذا الاعداد ٠

والتربية ، من سمات البشر ، وهى خلاصة مجموعة من التفاعلات التى أوجدت شخصية الفــرد ـ كما هى عليه ـ بكيانها ، ومقوماتها ،

أما الثقافة ، فهى من سمات المجتمع (بــكل أفراده) ، يتشربها الفرد ، فتؤثر فى تكوين شخصيته ، وهى ، متاحة للأفراد ، جيلا بعد جيل ؛ فهى ثابتة ،

وقد تتغير ، وفقا للظروف ، والعوامل المختلفة ،

ولكن الفرد ، هو الكائن الحى ، النامى ، الذى يمكنه التكيف ، والتغير ، وفقا لنوعية الثقافة التى يعيش بين مكوناتها ، ومن الثقافة ، تشتق التربية مادتها ، وتنسج أهدافها ٠

والتربية ـ فى نفس الوقت ـ يمكنها أن تسهم فى تغيير ثقافة المجتمع ، وهنا ، نطرح السؤال التالى :

كيف تعمل التربية على التغير الثقافى فى المجتمع ؟؟

اذا كانت التربية ، هى احدى الوسائل الهامة لاستمرار الثقافة فى المجتمع ؛ بما تستخدمه من أساليب ، وطرائق يتمرسها الأفراد، ويعايشونها، فيضيفون اليها، ويطورونها، أو يجددون فيها ، ويبتكرون الجديث منها ، باعتبارها عملية تنشئة اجتماعية ، وهى ـ أيضا ـ دعامة لتقدم المجتمعات٠ نقول ، اذا كان هذا ، هو موقف التربية بالنسبة للثقافة ، فانها ـ بالاضافة الى هذا ـ وسيلة ، يمكن استخدامها لاحداث التغير الثقافى فى المجتمع ، وذلك بما تتخذه من أدوات التغيير ، وتنظيماته ، مستعينة بالمستحدثات التكنولوجية فى المجتمع ، وما تتبعه من قوى التغيير ، وفى مقدمتها ، المدرسة (أو التعليم النظامى) ، والمنشآت التعليمية ، من خلال مناهجها ، وبرامجها الدراسية ، وأنشطتها التربوية ، وكذلك ، معلميها ، والقائمين عليها ، فهى التى تستطيع أن تعمق المفاهيم الجديدة ، وترسخها ، أو تستبدل قيما بقيم أخرى ، أو تضيف الوانا من المعرفة، ورصيدا من المعلومات الى عقول الناشئين ، ومداركهم ، وهؤلاء ـ بدورهم ـ يسهمون فى احداث التغيير الثقافى فى مجتمعاتهم ، وعن طريقهم ، يمكن اعادة بناء المجتمعات٠

كذلك ، تستطيع التربية أن تمهد للتغير الثقافى بأساليب

تدريجية ، مرحلية ، مستخدمة ، ما لديها من وسائل متاحة بالاضافة الى امكانية تنسيق الاتجاهات السائدة فى المجتمع، والتوافق بين القديم منها ، والجديد ، الى جانب استطاعتها تذويب أنواع الصراعات فى المجتمع ، (من قيم ، واتجاهات، وميول) بحيث تتلاءم طرز الثقافة ، قديمها ، وجديدها ، مع حياة الجماعة البشرية فى المجتمع •

ولعل ذلك ، يصدق - بوضوح - عند قيام الثورات ذات الطابع السياسي ، وفى عهد الاحتلال ذات الأمد الطويل ، كما حدث فى فترة الاحتلال التركى لدول الوطن العربى ، والذى استمر نحو أربعة قرون ، والاستعمار الفرنسى للجزائر ، والذى استمر نحو مائة وثلاثين عاما ، ••

والثقافة ، تخضع للتربية فى عملية التغيير ، وتتأثر بما توجده التربية فى نفوس الأفراد ، وعقولهم ، اذ أن التغيير يبدأ أولا ، وقبل كل شىء فى أفكار الأفراد ، وميولهم ، ومن ثم ، يتحول الى مدركات ، ومرئيات فى المجتمع ، وهذا ، تؤكده الآية الكريمة :

ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » •

وما دامت التربية تتم داخل المجتمع ، وهى - فى نفس الوقت - فى علاقة تبادلية مع الثقافة ، التى يحركها أفراد المجتمع ، فهذا ، يعنى أن كلا منهما ، يعتمد على الفرد فى حدوثه ، واتمام فاعليته •

رابعا - القوى الثقافية وحياة المجتمعات :

القوى الثقافية ، التى نعنيها هنا ، هى العوامل التى تنبثق من الثقافة أو تنتج عنها ، باعتبارها مؤثرات ناتجة عن حياة المجتمع وأوضاعه ، فهى التى تعايش الناس ، ويعايشونها ،

فتؤثر فيهم ، ويتأثرون بها في أساليب حياتهم ، وتربيتهم ، وشئون تعليمهم ٠

وهذه القوى الثقافية ، ذات تأثير متداخل ومتشابك في المجتمع، وهى — وان اختلفت في درجة هذا التأثير، قوة، وضعفا — الا أنها متفاعلة في ديناميكيتها ، وهي — في الوقت ذاته — ديناميكية في تفاعلها ٠

فنحن لا نستطيع تحديد فاعلية احدى القوى الثقافية، دون أن نضع في اعتبارنا أثر قوة أخرى ، أو تأثيرها ، ولو بدرجة معينة ٠٠

أما نوعيات القوى الثقافية ، فيمكن أن تتضمن جانبين رئيسيين ، هما :

(أ) الجـــانب البشرى :

ويندرج تحته ، العوامل ذات الصلة بالانسان ، باعتباره القطب الأول في حياة المجتمع

وتشـــمل :

- الاتجاهات السياسية ، والمذاهب الاجتماعية ٠
- الأوضاع الدينية ، والنواحي الروحية ٠
- حضارة المجتمع ، وطبيعة الأفراد ٠
- لغة التخاطب ، ولغة التعليم ٠

(ب) الجانب المادى :

ويندرج تحته ، العوامل ذات الصـــلة بالمكونات المادية للثقافة ، باعتبارها القطب الثانى للمجتمع ،

وتشـــــمل :

- البيئة الجغرافية ٠
- الأوضاع الاقتصادية ٠
- متطلبات استمرار المجتمع ٠

على أن هذه القوى الثقافية ، يعزى اليها تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية التى تحـــدث فى المجتمع ،

وفى تفاعلها ، تتم عملية التربية ،
وفى ضوئها ، يمكن تحليل نظم التعليم ،
وكذلك ، يمكن توجيه سلوك الأفراد ٠

ولما كانت الثقافة ، تتمثل فى مجموعة العادات، والتقاليد، والنظم الاجتماعية السائدة فى المجتمع ، وكذلك مجمــوعة الطرز السلوكية التى يتميز بها أفراد هذا المجتمع ٠

فان القوى (أو العوامل) الثقافية ، هى الاطار العــــام الذى تعيش فيه المجتمعات البشرية ،

وفيما يلى من سطور ، نحاول عـــرض بعض النمــاذج التطبيقية لتأثير هذه العوامل فى حياة الشعوب المعاصرة ، والتى يمكننا من خلالها ، ادراك معـــالم ثقافة كل مجتمع ، والتى تميزه عن غيره من المجتمعات ٠

(١) المجتمع اليمنى فى الجمهورية العربية اليمنية

من سمات الثقافة فى هذا المجتمع :

- قبلية النظام السياسى ، والاجتماعى ، وما يترتب على ذلك من أمور فى حياة المجتمع اليمنى ، ولا سيما فى فترة ما قبل ثورة سنة ١٩٦٢ ٠

- الطبيعة القبلية للمجتمع اليمنى ، وتمسك أفراده بكثير من العادات ، والتقاليد ، ذات التأثير الواضح فى سلوك الأفراد ٠ (١)

- العزلة عن العالم ، على مدى أجيال طويلة ، ولهذا آثاره الفكرية ، والاقتصادية ، والحضارية ، ثم الانفتاح المفاجىء ، وما صحب ذلك من تفاعلات ، ومضاعفات ٠

- الظروف الجغرافية ، والبيئية ، والطبيعية التى لا تمكن المواطن من الاستفادة من الموارد الطبيعية للبلاد ، الا ببذل الجهد الكافى ، والذى يحتاج الى وقت طويل ، بالاضافة الى صعوبة الاتصال بين أجزاء المجتمع ، مما يعوق تفاعل عوامل الانتاج فى البلاد ٠

- انتشار الأمية ، من معوقات التنمية فى المجتمع ، وذلك لضآلة عدد المتعلمين ، واسهامهم فى تقدم المجتمع ، مما يحتاج الى بذل جهود مكثفة ، ومتنوعة (نسبة الأمية بين الذكور ٧٤ر٤٪ ، وبين الاناث ٩٧ر٧٪)

- مضغ القات ، وتعاطى الكحول والخمور ، من المشكلات الاجتماعية فى حياة الشعب اليمنى ، باعتبارها من أبرز

---

(١) الجمهورية العربية اليمنية - الجهاز المركزى للتخطيط - الخطة الخمسية الأولى (١٩٧٧/٧٦ - ١٩٨١/٨٠) الكتاب الثانى ص ٢٤ ٠

عادات المواطنين اليمنيين فهى منتشرة بالدرجة التى تصل بها الى جعلها من عموميات الثقافة فى المجتمع اليمنى ٠

وهنا ، نقف وقفة متأنيـة ـ الى حد ما ـ نتنـاول فيها بالحديث ، اثنتين من السمات الثقافية لحياة الجماهير فى اليمن الشمالية :

الأولى : الطبيعة القبلية ، وأثرها فى المجتمع اليمنى :

يعتبر التعدد القبلى ، هو الطابع المميز للمجتمع اليمنى ، عن بقية المجتمعات العربية ، وهذا التعدد ، يشكل عائقـا خطيرا فى طريق النمو الاجتماعى ، والاقتصادى فى اليمن،

ذلك ، ان الانسان القبلى ، غالبا ما يؤثر الولاء لشيخ قبيلته عن ولائه للحكومة المركزية للدولة كلها ، بالرغم ممـا تقدمه الحكومة لجميـع المواطنين من خدمات متنوعة ، فى حين أن شيخ القبيلة ، لا يقدم لمجتمعه القبلى الصغير شيئا يذكر، بل انه كثيرا ما يستغله، ويستنزف أمواله، بحجة شرف القبيلة ، بالاضافة الى تجنيده لمحاربة الدولة اذا شعـر بأنها تتعرض لشئون قيادته للقبيلة ، أو تنـال من اقتصادياته الخاصة ؛ فالانصياع الكامل لقرارات شيخ القبيلة ، هـو العرف الاجتماعى ، السائد فى المجتمع القبلى ،

على أنه ، لا ينظر الى القبيلة فى اليمن ، نظرة القبائل التى تعيش على الصـيد ، والقنص ، والرعى ، وانما ، معظم القبائل اليمنية ، تعيش حياة الاسـتقرار ، حيث تسـاعد الزراعة على الاستمرار ، وبالتالى ، توجد الحاجة للحدود الزراعية ، والرعوية لكل قبيلة ، ومن ثم، تجد القبيلة حاجتها فى الدفاع عنها ،

ومن هنا ، نشأ العديد من الصراعات القبلية ، التى تعتبر

من معوقات تقدم المجتمع اليمنى ، وبخاصة فى عهود ما قبل ثورة سنة ١٩٦٢ ٠

ولكن بالرغم من ذلك ، هناك ، ما يشير الى استجابة كثير من القبائل الى حركات الاصلاح فى المجتمع اليمنى ، وتطويره ، وتقلص النفوذ القبلى البدائى ، وتضاؤله ، والاقبال على سبل التقدم ، ومشاركة الحكومة (فى الوقت الحاضر) فى مهام النهوض بالمجتمع ، ولو أن هذا ، يحتاج الى مزيد من الوقت ، والجهد ،

ذلك ، أن المناخ الملائم للتنمية ، يتعارض مع وجود المتناقضات القبلية التى ترعرعت فى كنف عصور من الظلام قبل ثورة ١٩٦٢ ، مما يقتضى العمل على كسر العزلة القبلية، والريفية ، وضرورة العمل على صهر الجميع فى بوتقة وطنية للعمل المتكاتف ،

وهنا ، يكون للتربية ، دورها الايجابى فى تنقية الثقافة من الشوائب ، ومما علق بها من قوى التخلف الاجتماعى ، ولها أن تستخدم وسائلها الفعالة ، والمجدية ، سواء عن طريق التعليم النظامى وغير النظامى) أو التربية بمعناها الحضارى الشامل ، من حيث هى ، اعداد للحياة فى المجتمع الجديد ، الذى يقترب من سبل التقدم ، والتحضر ، وتعويض ما فاته من سنوات طويلة ٠

الثانية :

ظاهرة مضغ القات ، وتعاطى الكحول والخمور :

تعتبر هذه الظاهرة ، من المشكلات الاجتماعية فى اليمن الشمالية ، حيث تنتشر بنسبة كبيرة بين المواطنين ،

وشجرة القات ، من فصيلة العقاقير المنبهة ، مثل : البن،

والشاى ، والحشيش ، والأفيون ، والتبغ أو السجائر ،٠٠

وتمثل درجة فى التأثير ، هى أقل من الحشيش قليلا ، أو توازيه ،

وزراعة القات ، وتعـــاطيه ، من العادات ، والظواهر السلبية ، البارزة ، التى لصقت بحيـــاة المجتمع اليمنى ، وأثرت فيها ، على كل المستويات ؛ الاقتصادية، والاجتماعية، والصحية ، ٠٠

ومن المؤسف ، أن هذه الظاهرة ، لا تزال فى انتشار ، واتساع مستمر ، ومتزايد ؛ فهى تشغل ما لا يقل عن ١٥٪ من مساحات أجود الأراضى الزراعية ، وأخصبها ، وما تزال هذه النسبة فى اتساع ، وارتفاع مستمرين ، على حســاب تصنيف مساحات الأراضى الصــالحة ، والمخصصة لزراعة البن ، والكروم ، وأنواع الخضروات ، والفواكه ، ٠٠٠ مما يؤثر على المستوى الاقتصادى للبلاد ، ذلك، أن انتاجية الفرد اليمنى تتأثر الى حد كبير بما يترتب على تعاطيه هذا النوع من النبات ؛ فالشخص المدمن على تعاطيه ، يحتاج الى نحو (٦) ست ساعات فى المتوسط ، يوميا ، للمكوث فى مكان التعاطى ، ضمن جماعة لا تقل عن ثلاثة أشــخاص ، قابلة للزيادة ، والفرد المتعاطى للقات ، يحتاج الى انفاق ما لايقل عن ٢٠٪ الى ٢٥٪ من دخله يوميا ، ثمنـــا لما يستهلكه من أعشاب القـــات ٠

وبالرغم من عدم وجود دراسات منشورة تحدد بدقة درجة الانفاق بالنسبة الى الدخل ، ونسبة المتعاطين الى عـــدد السكان ، وقياس المضاعفات المختلفة ، الناجمة عن هـــذا التعاطى ، الا أن نسبة الانفاق ، لا تقل – بصفة عامة – عن ٢٠٪ ، ونسبة المتعاطين لا تقل عن ٤٠٪ من مجموع عـــدد السكان من مختلف الأعمار ٠

ويمكن توزيع هذه النسبة بين الفئات الاجتماعية ، على النحو التالى :

- ما يعادل ٧٠٪ الى ٨٠٪ بين البالغين وما فوق من الرجال ،

- ما يعادل ٣٠٪ بين النساء ، ومتوسطات العمر ، وكبيرات السن ٠

- نسبة صغيرة (الى حد ما) بين الأطفال وطلاب المدارس ، الذين يقبلون تعاطيه فى أيام الامتحانات - بصفة خاصة - كوسيلة تنبيه جيدة فى مذاكرتهم لدروسهم ٠

بالاضافة الى ذلك ، فانه فى الوقت الذى تتحول فيه الأراضى الزراعية الخصبة الى غابات من أشجار القات ، يتحول الانسان اليمنى والأفراد اليمنيون الى قطعان هزيلة من البشر ، تعيش على امتصاص أوراقه المخدرة ، عاجزة عن عمل أى شىء آخر ، وفاقدة لكل شىء ، حتى القدرة الطبيعية على الاحتفاظ بنزعة الميل الفطرى الى البقاء ، والاستمرار ، من خلال التوالد ، نظرا لما يصابون به من عجز ، وضعف من القيام بالنزعة الطبيعية للانسان ، والقدرة على التكاثر الطبيعى السليم ، نتيجة لتعاطى أعشاب هذه الشجرة ، وذلك ، أخطر ما فى الأمر كله ، والذى يعتبر أحد المحصلات الملموسة لهذه الظاهرة الخطرة ، والمتعارف عليها بين جميع المتعاطين (١) ٠

ومن ثم ، فان زراعة القات ، وتعاطيه ، ربما تشكل أبرز التحديات فى سبيل احداث تنمية حقيقية فى المجتمع اليمنى ٠

---

(١) فريال محمد الصليلى - عرض للمشكلات الاجتماعية القائمة - فى اليمن - معهد التخطيط القومى - القاهرة ، ١٩٧٨ ص ٢٩ ٠

وأما عن تعاطى الكحول والخمور، فان زيادة استيرادها، وانتشار تعاطيها – على كل المستويات – لا سيما فى السنوات الأخيرة ، تجعلها تصل الى درجة المنافسة بالنسبة للقات ، بل ، والى دور القرين ، والنظير ، المساعد ، النشط لهذا العشب المخدر ·

فاليمن ، بالرغم من أنه لا توجد فيه حتى الآن تشريعات رسمية أو قانونية ، تسمح باستيراد المشروبات الروحية والمسكرات ، وتعاطيها ، الا أن بعض التقارير الدولية ، تشير الى أن اليمن يعتبر ضمن الدول التى تحتل المركز الأول فى عملية استيراد ، وتعاطى هذه السلعة (الكحول) واعادة تصديرها الى بلدان مجاورة ، كما أن الواقع ، يؤيد هذه التوقعات الى حد كبير ·

الناشئين ،

بالاضافة الى ذلك ، فان هذا النوع من السلع ، لا يخضع للتعريفة الجمركية ، ولا لرقابة الاستيراد ، أو البيع ، أو الاستهلاك ، مما يؤثر فى اقتصاديات الدولة ·

أما من الناحية الاجتماعية ، فان هذه الظاهرة ، قد أصبحت تشكل حالة مرضية خطيرة فى المجتمع ، لدرجة أن الكحول ، أصبح ملازما للقات فى تعاطيه ، بل وأصبح من مظاهر الكرم ، تعاطى الاثنين معا ، كدليل للبذخ ، والسخاء ·

ولا شك ، أن استبدال زراعة المنتجات ذات الفائدة للمجتمع بزراعة القات ، لا سيما ، وأن انتشار هذه العادة، وما يرتبط بها من ارتفاع الأسعار المستمر لهذا القات ، يؤدى الى رفع أسعار المواد الأخرى ، وربما يكون لذلك ، ايجابياته الاقتصادية بالنسبة لانتقال القوة الشرائية من المدينة الى الريف ، الذى ينتج هذا الانتاج ، ويساهم – بالتالى – فى التنمية الذاتية للريف ، ولكن ، يمكن تعويض ذلك بالمزروعات ، والمحاصيل البديلة ، مع اتباع المرونة ،

والحذر فى القضاء ، دفعة واحـــدة ، على هـــذه العادة ، المتأصلة فى نفوس الكثيرين من المجتمع اليمنى ٠

وتستطيع التربية (أيضا) أن تسهم بدور ايجابى كبير فى تخليص أبناء هذا المجتمع مما درجوا عليه فى حياتهم اليومية، وما يتبع ذلك ، من ضياع فى الوقت ، والجهد ، والمال ،

فهى ، تستطيع أن توجه طاقاتهم ، توجيها سليما ، يتلاءم مع متطلبات العصر الحاضر ، وما تقتضيه من مواكبة العلم، والتطور ،

وهى ، تستطيع أن تستثمر أوقات فراغهم ، فيما يعــود عليهم ، وعلى بلادهم بفوائد متعددة ،

وهى ، تستطيع تنظيم حياتهم الاجتمـــاعية ، والعملية ، والتعليمية ، مستخدمة فى ذلك ، العديد من الوسائل التى تتناسب ، والطبيعة البشرية فى هذا المجتمع ، ولو عن طريق استخدام الأساليب المرحلة المتدرجة بالاضافة الى مزيد من الاهتمــــام بتربية النشء تربية هادفة ، موجهـة لصــــالح مجتمعهم ، كذلك ، ينبغى ألا نغفل دور وسائل الاعلام ـ بكافة نوعياتها ـ فى القضاء على هذه الظاهرة ٠

(٢) المجتمع الافريقي ، ومن أمثلته :

مجتمع اثيوبيــا

من سمات الثقافة في هذا المجتمع :

- اثيوبيا ، بلد افريقي ، يوجد فيه خليط من أجناس متباينة في الشكل ، والعادات ، والمستوى الحضــارى ، نتيجة لتعرضها للهجرات الجماعية ، عبر العصور ٠

- تعتبر اثيوبيا (الحبشة) حتى وقتنا الحاضر ، متحفـا للأجناس والعناصر البشرية ، ولم تنصهر تلك الأجنــاس مع بعضها انصهارا تاما ، الا في القليل النادر ٠

- لا تنقسم الدولة الأثيوبية الى مناطق جغرافية ، بقدر ما تنقسم الى مناطق عنصرية ، تتحكم فيها النزعات القبلية، والروابط العنصرية ، كما تتعدد فيها اللغات ، واللهجات المحلية بما يتجاوز الأربعين ٠

- ينتمي معظم سكان اثيوبيا الى الجنس الأمهرى، ويسكنون المرتفعات الوسطى ، والتيجــرى ، الذين يقطنــــون في الشمال ،

  أما في الجنوب الغربي ، فتعيش قبائل « ســــدامة » والقبائل النيليــة ٠ وأما « الفلاشــــا » (قدامى اليهود) فمعظمهم يسكن البقــــاع التي تقع في شمال بحيــــرة « تانا » (١) ٠

- من سكان اثيوبيا من يعتنقون الاسلام ، ومنهم من يتبعون

---

(١) د٠ عبد الرحمن زكى - افريقيا الاسلامية - الجزء الثانى - مكتبة النهضة

(١) د٠ وهيب سمعان - التفرقة العنصرية والتعليم في جنوب افريقيا - مراة

الكنيسة الارثوذكسية . والبعض يدينون باليهودية ، الى جانب ، بقية وثنية .

- يتكلم سكان اثيوبيا لغات كثيرة من أهمها: اللغة الأمهرية، وهى اللغة الرسمية للبلاد ، ثم التيجرية ، والتجرينية ، والعربية فى بعض المناطق ، وكذلك ، توجد اللغة الانجليزية ، وبعض لغات أخرى .

- لا تزال حياة الناس فى اثيوبيا ، من التخلف ، والبداوة ، والانقسامات العنصرية ، والدينية ، والقبلية ، على نحو قد لا نجد له مثيلا فى باقى دول العالم المعاصر .

تحليل الوضع الثقافى للمجتمع الاثيوبى :

لعلنا نرجع ما تعيش فيه أثيوبيا من تخلف اجتماعى وحضارى (بالقياس لعالمنا المعاصر) الى الاختلاف الكبير بين أقاليمها ، ومقاطعاتها فى كل من ؛ الدين ، واللغة ، والأصل ، والعادات ، بالاضافة الى التكوين الجغرافى لهذه البلاد ، وصعوبة المواصلات بين نواحيها ، ثم هناك ، نسبة حياتهم السياسية ، والاجتماعية ، فلا تزال نسبة المتعلمين نحو ٥٪ من مجموع السكان ، والباقى ، وهم ٩٥٪ تسيطر عليهم الأمية ، والتخلف ، وللعهود الماضية ـ قبل الآن ـ دخل كبير فيما وصلت اليه اثيوبيا بمجتمعها المتخلف ، اذ كانت حقيقية ما نقرأ ، ونسمع عن تلك البلاد ، ان هى الا واجهات براقة ، سواء من حيث التنظيمات السياسية ، أو الشعبية ، أو حتى الدساتير ، والبرلمانات ، والهيئات القضائية (١) .

بل ان النظم الاقطاعية ، كانت تبرز فى مجتمع أثيوبيا، وتزداد قوتها ، وسيطرتها ، حين تتركز أهم مظاهر هذا الاقطاع ، فى الكنيسة ، التى كانت تملك ثلث أراضى الدولة،

---

1) Ernest Luther, Ethiopia To-day, 1964, p. 150.

لتدعيم قوتها المادية ، التى تمكنها من تأييد النفوذ الروحى، ممثلة فى الهيئة العليا للكنائس الحبشية ٠

كذلك، كان الاقطاع يتمثل فى الطبقة الحاكمة، والمسيطرة على مقدرات البلاد ٠

ولكن الدولة ـ فى الوقت الحاضر ـ تحاول النهوض لمسايرة التطورات الحديثة ، والتقدم العلمى ، الذى يسود العالم ، ولو أنه يبدو فى خطوات وئيدة نسبيا ٠

ان مجتمعا كهذا ، لابد ، وأن تلعب التربية فيه دورا كبيرا، وفعالا ، وذلك عن طريق قياداته ، وزعاماته أولا ، ثم الفئة المتعلمة فيه ثانيا ، حيث ينبغى أن يعاد تخطيط ، وتنظيم الحياة فيه ، على أسس عصرية ، علمية ، تطبيقية ، متلائمة مع طبيعة مواطنيه ، هؤلاء، المتباينين فى أصولهم، وعاداتهم ودياناتهم ، ولغاتهم ، ٠٠٠ على أن يستفاد فى ذلك من الجهود الدولية ، والخبرات العالمية ، كمنظمة اليونسكو ، ومنظمة اليونيسيف ، والبنك الدولى للانشاء والتعمير ، وغيرها ٠٠ مما يتيح الفرصة أمام هذا المجتمع للاصلاح ، والنهوض ، وتعويض ما فاته ٠

(٣) المجتمع الاسرائيلى ·· فى أرض فلسطين المحتلة :

يمثل المجتمع الاسرائيلى ، مجموعة من المتناقضات ؛ فالأرض قديمة ، قدم التاريخ ، ومشحونة ـ بالنسبة لليهود ـ بذكريات التوراة ، التى تتراوح بين الأسى ، وبين آمال الخلاص من اضطهاد قديم ، والسكان ، أقليات من دول عديدة ، جمعتهم ـ فوق أرض فلسطين ـ فكرة تعصبوا لها، أو خدعوا بها ،

ولكن بالرغم من مضى الزمن على تكوين هذا المجتمع ، فان الخلافات لا تزال تتهدده ، والسمات الثقافية لسكانه ، ما تزال متعددة ، متباينة ، نتيجة لتعدد الجهات التى ورد منها سكانه ، كما أن التمييز العنصرى ، قائم بين أفراده ، سواء بين اليهود أنفسهم ، أو بين اليهود ، وغيرهم ·

ماذا يدور فى مجتمع اسرائيل ؟؟

من الملاحظ ، أنه من سمات المجتمع الاسرائيلى ، ما يأتى:

- أنه مجتمع خليط ، يحتوى على كثير من التناقضات فى تركيبه الاجتماعى ، حيث يتسم بعدم التجانس بين أفراده، اذ يضم خليطا من ذوى الأصول ، والثقافات ، والنزعات، والعادات المتباينة ، والمتعددة ، مما خلق تركيبا مختلفا فى أبعاده الاجتماعية ·

- أنه مجتمع يحتوى ـ بالاضافة الى اليهود ـ على عرب من سكان البلاد الأصليين ، الأمر الذى يزيد فى تعقيده الاجتماعى ·

أما اليهود ، فهم الغالبية الحاكمة ، وهؤلاء ليسوا من أصل واحد ؛ اذ أنهم يتفاوتون بالنسبة للدول التى هاجروا منها ، وكذلك بالنسبة لتاريخ هجرتهم الى الأرض المحتلة ·

وأما العرب ، فهم أقلية ، وهـؤلاء هم الذين بقـوا فى أراضيهم بعد عام سنة ١٩٤٨ ٠

- ينقسم يهود اسرائيل الى مجموعتين كبيرتين ، متقاربتين — الى حد ما — فى عددها ولكنهما متفاوتتان مع المكانة الاجتماعية داخل المجتمـع ، وتتفرع كل منهما ، الى مجموعات جنسية ، صغيرة ، وفقا لمصدر الهجرة ، أو طبيعة العمل :

(أ) المجـموعة الأولى :

وتتمثل فى اليهـود الغربيين ، ويطلق عليهـم اسـم « الاشكنازيم » ، وهؤلاء ، هاجروا الى أرض فلسـطين من دول ، أوربا ، وأمريـكا ، ويعيش غالبيتهـم فى المـدن الاسرائيلية ، وفى البلاد الساحلية ، وتمتاز هذه المجموعة بارتفاع مستواها الثقافى ، والاجتماعى ، وبتوليها معظم المناصب ، والمراكز الهامة فى دولة اسرائيل (١) ٠

(ب) المجموعة الثانية :

وتتمثل فى اليهـود الشرقيين ، ويطلق عليهم ، اسـم « السفرديم » ، وهؤلاء ، هاجروا الى أرض فلسطين من دول آسيا ، وافريقيا ، ويعيش غالبيتهم فى المدن الصـغيرة ، والمناطق الريفية ، والمتدنية فى تقدمها ، وحضارتها ، حيث يقومون بأعمال حرفية أو مهنية متواضعة ، وكذلك ، الأعمال الحـرة ٠

وهذه المجموعة ، لا تحظى بكثير من المزايا التى يتمتع بها اليهود الغربيون ، اذ لا يتولى منهم المناصب ذات الأهميـة، سوى أعداد قليلة ، وينطبق هذا على المقاعد البرلمانية فى الكنيست الاسرائيلى ، وفى تولى الوزارات ، وفى السـلك السـياسى ٠٠

---

1) State of Israel, Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract of Israel, 1948 - 1967.

ـ هناك ، صنف آخر من اليهود ، يعيش فى اسرائيل، هؤلاء، هم الذين ولدوا فى اسرائيل ، سواء كانوا منحـدرين من أصول شرقية أو غربية ، ويطـلق عليهم اسـم « جيل صبرا » ٠

وتتمثل فى هذا الجيل من يهود الأرض المحتلة ، صفات آبائهم من حيث خلافات ، الأصل ، والجنس ، والعادات، والثقافة ، وحتى العقيدة أيضا ٠

ـ أما عرب فلسطين المحتلة (اسرائيل) ، فهؤلاء يمثلون فئة قليلة بالنسبة لبقية السكان ، وهؤلاء ، ينظر اليهـم من قبل المسئولين الاسرائيليين على أنهـم مواطنون من الدرجة الثانية (بالقياس الى بقية سكان اسرائيل ، الذين يعتبرون مواطنين من الدرجة الأولى ٠

كذلك ، ليس لهذه الأقلية العربية من الحقوق ، والمزايا ما لغيرهم ، مما يشعرهم بالمهـانة فى وطنهم ، بالرغم من أنهم سكان البلاد الأصليين ، كما أنهم يعيشـون كطبقة عاملة فى البلاد ٠

ويتركز السكان العرب فى اسرائيل ، من حيث المكان فى المناطق الآتية على التوالى: المنطقة الشمالية، فالمنطقة الوسطى ، ثم المنطقة الجنوبية ٠

وتتفاوت أعداد عرب فلسـطين المحتلة ، من حيث ديانتهم ، فتتدرج نسبتهم على التوالى ، المسـلمون ، فالمسيحيون ، ثم الدروز ٠

ـ بالاضافة الى ذلك ، هناك صراعات حزبية ، دينية داخل المجتمع الاسرائيلى ٠

فمن المعروف ، أن الصهيونية ، كحـركة علمـانية ، سياسية ، تتعارض مع طبيعة الديانة اليهودية ، وعندما قامت دولة اسرائيل ، أرادت السـلطات الحـاكمة أن تستقطب اليها الجماعات الدينية ، وأحزابها ، من أمثال: « حزب مزراحى » ، و « حزب أجودا اسرائيل » وتشركهم

فى سياسة المجتمع لتأمين جانبهم ، ولكن المعايشة أثبتت غير ذلك ؛ فكثيرا ما تحدث خلافات بين هذه الجماعات الدينية ، وبين غيرها من القائمين على أمور الدولة فى اسرائيل ، أولئك الذين يدغون قيام دولتهم على أسس دينية عقائدية ، حتى أنه ليبدو من دواعى السخرية ، أن الفئات الأكثر تدينا فى المجتمع الاسرائيلى ، القائم - أساسا - على الدعوة الدينية ، تظهر وكأنها فئات هامشية ، تتعارض مشاعرها ، وعاداتها مع اتجاه المجتمع الذى يريده المسئولون •

التحليل الثقافى للمجتمع الاسرائيلى :

لعلنا عندما تعرضنا لطبيعة المجتمع الاسرائيلى ، وحاولنا رسم الاطار العام للثقافة فيه ، لمسنا مدى ما يعيشه من عدم تجانس ، أوجد العديد من التيارات المتصارعة بين سكانه ، فهؤلاء يهود شرقيون ، وأولئك يهود غربيون ، وهذا جيل الصبرا ، ثم هؤلاء ، وهذه احزاب دينية متعصبة ، وتلك فئات علمانية صهيونية، ثم هؤلاء هم عرب فلسطين المحتلة الذين يسودهم شعور بالكراهية تجاه الصهيونية، فهى التى امتلكت أراضيهم وكانت السبب فى نكبتهم ، وما أصابهم من دمار ، وتشرد ، وما حل بهم من تمزق ، وتفتت فى وحدتهم الاجتماعية ،

صحيح ، أن القوانين التى تضعها اسرائيل ، تنص على المساواة بين جميع فئات السكان ، دون اعتبار للجنس أو الدين ، ولكن الممارسة الفعلية داخل المجتمع لا تحقق ذلك، فكل فئة فيه ، لها مكانتها الاجتماعية ، المتدنية ، أو الرفيعة، وهناك التمايز الوظيفى بين السكان ، والتمييز العنصرى فى أساليب التعامل بينهم ،

---

1) Eisenstadt, S.N. Israel Society, (Weidenfeld and Nicolson), London, 1967, p. 291.

من ذلك ، حرمان العرب فى اسرائيل من كل نشاط سياسى ، الا ما كان فى خدمة الصهيونية ، لقد سمحت السلطات الاسرائيلية بانتماء العرب الى الأحزاب الصهيونية أملا فى تذويبهم فى اطار المجتمع الاسرائيلى ، من ناحية ، ثم من ناحية أخرى ، ليكونوا ورقة رابحة فى يد الصهيونية للدعاية لها فى الخارج لتدعيم ادعائها بامكانية التعايش بين العرب ، واليهود ، ولكن غالبية العرب فى اسرائيل ، تشكل فئة قابلة للذوبان ضمن المجتمع القائم فيها كرد طبيعى لمعاناتهم من سياستها الملتوية ، ومعالجتها للامور بأساليب لا يرضون عنها •

ان مجتمعا كهذا ، تكون ثقافته انعكاسا طبيعيا لحياة أفراده ، المشحونة بالمتناقضات ، ومن ثم كيف تقوم فيه التربية ، وهى التى تستمد مادتها من ثقافة المجتمع ؟؟

الواقع ، ان قوام التربية فى اسرائيل ، يرتكز على أسس ثلاثة ، هى : (١)

الأول :

الدين اليهودى ، كتجسيد لمعتقدات اليهود ، وحامل لتراثهم عبر التاريخ •

الثانى :

الحضارة الغربية ، بمقدار ما هى حضارة عقلانية، علمية ترى فيها اسرائيل مثلا يحتذى •

الثالث :

الحركة الصهيونية ، كخلاص تاريخية للتفاعل بين الدين اليهودى ، والحضارة الغربية ، وهذه الحركة ، ذات قيم معينة ، خاصة بقيام الدولة •

---

1) Stanner, Ruther, The Legal Basis of Education in Israel (Jerusalem), 1963, p. 58.

وحتى تتمكن من تحقيق ذلك ، تستخدم اسرائيل الوسائل التالية :

(١) تكوين مجتمع عضوى ، موحد ، من أشتات اليهود التي تجمعت فى أرض فلسطين ٠

(٢) بناء دولة عصرية ، تملك أسباب القوة : المادية منها ، والروحية ٠

(أ) ضرورة التمسك بالأرض والاحتفاظ بها :

باعتبار أنها ليست مكانا للزراعة ، أو الصناعة او الايواء ، فحسب ، ولكنها ، وطن ، يجمع شتات اليهود ، ويوحد كلمتهم ، وفيه تاريخهم ، وذكرياتهم ، ومنه ينطلقون الى العالم حولهم ٠

(ب) ضرورة المحافظة على اللغة العبرية :

قراءة ، وكتابة ، وحديثا ، وتعليما ، باعتبار ان اللغة، وسيلة لتوحيد الثقافة ، والمشاعر فى المجتمع ، ومن أجل هذا ، توليها السلطات الاسرائيلية اهتماما كبيرا ، وتحرص على أن يتعلمها كل من فى دولة اسرائيل ،

ثم تلى اللغة العبرية فى الأهمية ، اللغة الانجليزية ، من حيث تعليمها فى مراحل التعليم ، باعتبارها وسيلة فعالة لمعرفة الثقافة الغربية والاتصال بحضارة الغربالتى تتخذها اسرائيل كأحد دعائم ثقافتها ووسائط التربية فى مجتمعها٠
(جـ) الاهتمام بتنمية الروح العسكرية فى نفوس الناشئين ، والشباب ، وذلك بانشاء التنظيمات المختلفة ، وتكوين المنظمات التى تحمل مع طابعها العسكرى ، طابعها السياسى ، كطلائع الشبيبة المحاربة ، المعروفة باسم « الناحال » ، والتدريبات العسكرية فى المدارس الثانوية

والمعروفة باسم « الجدناع » ، وغيرها مما ترى فيها اسرائيل سبيلا لتوحيد مشاعر أبنائها ، بالاضافة الى أنها تدعم ولاءهم وانتماءهم لدولة اسرائيل ٠

وماذا تبغى اسرائيل من وراء ذلك ؟

ان اسرائيل ، باتخاذها هذه الوسائل ، تهدف الى تحقيق آمالها ، والتى تتلخص فى : (١)

(٣) المحافظة على التراث اليهودى ، ونشره ، وتعميقه بين الناشئة اليهود فى اسرائيل ، وتحويل اسرائيل لتصبح مركز الاتصال بين يهود العالم ، أينما وجدوا ، والممثلة الرئيسية لمنجزات الشعب اليهودى ٠

وبعد ، فهل تتحقق لاسرائيل هذه الآمال ، وهذا مجتمعها، الذى يضطرب بالمتناقضات ؟؟

سؤال يجيب عنه ٠٠٠ المستقبل ٠

تلك ، هى نماذج ثلاثة لمجتمعات معاصرة ، تعيش فى عالمنا الحاضر ، لكل منها مكوناته الثقافية ، ومقومات الحياة فيه ، فهى متباينة ، فى نوعياتها، مختلفة فى ظروفها، لكل منها ، ديناميكية خاصة ، توجه ثقافته ٠

---

(١) د٠ منير بشور ، خالد مصطفى الشيخ يوسف ـ التعليم فى اسرائيل ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٦٩ ص ٤١

الفصـــل الخامس

فلســفة التربية

و

تطبيقاتها

بعد أن تناولنا فى الفصل الســــابق ، طبيعة الثقافة ، وعلاقتها بالتـــربية ، ومدى التفـــاعل بينهما فى حيـــاة المجتمعـــات ،

نتناول فى هذا الفصل ، فلسفة التربية باعتبارها الاطار الذى تتم فيه ديناميكية التربية فى المجتمع ، وفى ضوء هذه الفلسفة ، يمكن وضع الأهداف التربوية ، التى يعمل المجتمع على تحقيقها ، ومن ثم ، فهو ينتج سياسة تعليمية ، يمـكن من خلال تحقيق أهدافها ، تحويل فلسفة التربية من النظرية الى التطبيق والممارسة ،

وبالتالى ، فان حديثنا يشمل ، النقاط التالية :

- مفهوم فلسفة التربية ٠
- التحليل الوظيفى لفلسفة التربية ٠
- السياسة التعليمية ٠
- الأهداف التربوية ٠
- الأهداف التعليمية ٠
- التخطيط التربوى ٠
- نماذج تطبيقية لفلسفات تربوية معاصرة ٠

ماذا نعنى بـ « فلسفة التربية » ؟؟

من المفاهيم التى تدور حول معنى فلسفة التربية :

- أن فلسفة التربية، تعتبر صدى لثقافة المجتمع، اذ أنها نابعة منها ، ومعبرة عن أوضاعها ، ومشكلاتها ٠

وأنها تعمـــل على توضـــيح العمليـــة التربوية ، وديناميكيتها فى المجتمع ، بما تشمله من أنشطة متنوعة، كما أنها تساعد على توضيح المفاهيم ، والمصطلحات، والفروض ، والنظريات التى تشكل اطار التربية ، وتفسر تفاعلاته ٠

- أن فلسفة التربية ، هى النشاط الفكرى ، المنظم ، الـذى يتخذ الفلسفة ، باعتبارها البحث عن الحقيقة ، والتعمق فى معرفتها - وسيلة لتنظيم العملية التربوية ، وتنسيقها، وانسجامها ، وكذلك لتوضيح القيم ، والأهــداف التى تسعى الى تحقيقها فى اطار ثقافى .

- أن فلسفة التربية ، هى وجهة نظر ، أو مجمـوعة نظم ، ومبادىء تسير عليها التربية فى المجتمع ، وهى الحقائق الكامنة وراء أوضاع التربية .

- أن فلسفة التربية، هى الرؤية الفكرية، والنظرة الشاملة، المتكاملة التى تستند اليها الأهداف العامة ، والتى توجه النظام التعليمى ، أو النشاط التربوى كله فى المجتمع .

وكلما كانت هذه الرؤية ، شاملة ، متسقة ، مستمرة، متطورة ، واضحة ، كانت الأهداف العـامة ، شاملة ، متسقة ، واضحة كذلك .

- واذا كانت الفلسفة ، تعنى البحث عن الحقيقة ، أو التعمق فى البحث عن طبيعة شىء ما ، وأنها حب الحــكمة فى تقصى الحقائق ، ومعرفة كنه الأشياء ، فان فلسفة التربية، تعنى الأفكار ، والآراء ، التى تقف خلف أوضاع التربية فى المجتمع ، والغايات ، أو الأهداف المرجوة من تحقيقها لهذا المجتمـــع .

كذلك ، فان فلسفة التربية ، هى التى يمكنها فحص ، واختبار المؤسسات التربوية ، الاجتماعية ، وأن تحــدد المبادىء ، والمستويات الأساسية التى تقوم عليها ، وأن تقيمها ، وتعيد النظر فى فعاليتها .

- أن فلسفة التــربية ، تتمثــل فى مجمـــوعة المبادىء ، والمعتقدات ، والمفاهيم ، والفروض ، والمسلمات ، التى حددت فى شكل متكامل ، مترابط ، متناسق، لتكون بمثابة

المرشد ، والموجه للجهد التربوى ، والعمليـــة التربوية بجميع جوانبها ، وللسياسة التعليمية فى المجتمع ٠

فنحن عنـدما ندعو الى بنـاء فلسـفة تربوية لتعليمنا ، ونحاول المساهمة فى بناء مثل هذه الفلسفة ، فاننا لا نعنى بذلك ، أكثر من تحديد المبادىء ، والمعتقدات ، والمفاهيم ، والفروض ، والمسلمات ، التى نؤمن بها ، بالنسبة للقضايا، والمشكلات التربوية المختلفة ، ونرغب أن تكون الأساس الذى نقيم عليه أهدافنا ، وسياستنا ، وخططنا ، ومشروعاتنا ، ومناهجنا ، وطرائقنا التعليمية ، ونعالج فى ضوئه مشكلاتنا التعليمية ٠

التحليل الوظيفى لفلسفة التربية :

اذا تعـــرضنا بالتحليل لاحـــدى فلسفة التربية لأحـــد المجتمعات الانسانية ، نجدها على النحو التالى :

- أنها ، تعتمد - فى مضـــمونها - على الفلسفة العامة للمجتمع ، بأبعاده المختلفة ، باعتبار أن التربية ، عملية اجتماعية تتم داخله ؛ فهى ليست فلســـفة جامدة ، أو مجردة ، أو جوفاء، ولكنها تطبيقية ، تحليلية ، مرتبطـة بأوضاع المجتمع ، ومترجمة لأهدافه ٠

- أنها ، الاطار العـام ، الذى تتجمـــع بداخله الفلسفات النوعية لحياة المجتمع فى المجالات المختلفة ، باعتبار أن ركائز التربية ، مشتقة من حيـــاة المجتمع ، وظروفه ، فهى تعتمـــد على الحقـائق التى تعيش فى المجتمـــع، والقيم المعبرة عن الحيـــاة فيه ، ومن ثم ، فان فلســـفة التربية ، لا تكتفى بالناحية التأملية الوصفية ، ولكنهـا تغوص فى الواقع الملموس ٠

- أنها ، تتصف بالشمول ، فلا تقتصر على نوع من وسائط التربية ، ومصادرها دون آخر ، أو مرحلة تعليمية دون أخرى ، أو فريق من أفراد المجتمع دون غيرهم ، كما أنها، أحد عوامل تقييم الثقافة وابرازها فى صورة موضوعية، محددة ، فالتربية ، تشتق مادتها من ثقافة المجتمع ٠

- أنها توضـح المفـــاهيم ، والعبـــارات ، والمعـــانى ، والمصطلحات ، والاتجاهات ، المتضمنة لأوضاع التربية، كما تفسر ما يستخدم فى المجال التـــربوى ، على أسس علمية ، ونفسية، ومنهجية، واجتماعية سليمة، بالاضافة الى أنها تتسم بالوضوح ، وعدم التناقض فيما تحتويه من قيم ، أو مبادىء ، يمكن تأكيدها ٠

- أنها تحدد - الى مدى بعيد - متطلبات العمل التربوى ، ومسئوليات القائمين عليه ، وما يستتبع ذلك من وسائل، وأدوات ؛ كما توجه سلوكهم ، وتصرفاتهم ، كما أنها تسهم فى توجيه العملية التربوية فى المجتمع ، اذ بمعرفة أبعاد الفلسفة التربوية ، يمكن ادراك نواحى التقدم أو القصور فى أوضاع التربية ٠

- أنها تحدد الوسائل ، والأساليب التى ينبغى استخدامها فى العملية التربوية ، وعلاقة كل منها بأوضاع المجتمع ، وظروفه ، وأهدافه ، فضلا عن أنها تسهم فى تقييم الأوضاع التربوية فى ضوء معايير معينة ، نابعة من أهداف المجتمع ٠

- أنها احدى الوسائل التى يستخدمها المجتمع فى التغلب على ما قد يصادف التربية من مشكلات ، بالاضافة الى أنه يمكن الافادة منها فى تصور مستقبل التربية فى المجتمع ٠

- أنها تعمل على ربط فروع التربية ، بعضها ، البعض الآخر ، ثم تربط هذه الفروع بالمعايير ، والقيم الأخلاقية، والروحية ؛ الفردية ، والاجتماعية ،

وبذلك ، تصبح فلسفة التربية ، المنسق للتخصصات التربوية المختلفة ، والوسيط الأساسى بين التربية ، وغيرها من فروع العلم ، وهى الحلقة التى تربط بين ما أنجزه الماضى ، وبين آمال المستقبل ، وبذلك ، أيضا ، تعمل فلسفة التربية على وحدة الخبرة الانسانية ، وتكاملها ٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، اذا كانت التربية، خبرة انسانية، والعملية التربوية، تتمثل فى نقل الخبرات الانسانية الى الجيل الجديد ، فان فلسفة التربية ، هى

تطبيق النظرية الفلسفية ، والطريقة الفلسفية فى ميدان الخبرة الانسانية ، الذى نسميه « التربية » • ففلسفة التربية ، تعمل على نقد العملية التربوية ، وتعديلها ، والعمل على اتساقها ، وتوضيحها ، حتى تتلاءم هذه الخبرة الانسانية مع الحياة المعاصرة •

وفلسفة التربية ، تتضمن البحث عن مفاهيم ، توجد الاتساق بين المظاهر المختلفة للعملية التربوية ، فى خطة متكاملة ، شاملة ، وتتضمن أيضا ، توضيح المعانى التى تقوم عليها التعبيرات التربوية ، وتعرض الفروض الأساسية التى تعتمد عليها المفاهيم التربوية ، وتنمى علاقة

التربية بغيرها من ميادين الاهتمام الانسانى (١) •

- أن فلسفة التربية ، احدى ركائز المجتمع ، ومعيناته فى حالات التغير ، أو التطور ، أو التجديد ، وما ينبغى أن تكون عليه أوضاع التربية فى كل منها ، فضلا عن أنها المؤشر الدال على تقدم المجتمع ، أو تخلفه بالنسبة لغيره من المجتمعات •

فالفلسفة التربوية الصالحة ، من شأنها أن ترشد سير المخططين ، والعاملين فى حقل التربية والتعليم ، وهى تعطى أعمالهم صيغة العمل الحكيم ، الهادف ، وتربط جهودهم التربوية بالفلسفة العامة لبلادهم ، وأمتهم ، بالاضافة الى أنها تجنبهم التخبط ، والالتجاء الى الحلول العاجلة ، المؤقتة فى معالجة المشكلات التعليمية •

---

1) P. Phenix. Philosophy of Education. Holt and Co. Ne wYork, 1958, p. 14.

السياسة التعليمية :

قد يكون هناك سؤال ، يراود القارىء ، هو :

هل ثمت فرق بين فلسفة التربية والسياسة التعليمية ؟؟

المقصود من السياسة التعليمية ، التنظيم العام ، الذى تضعه الدولة لقيام أوضاع التعليم فيها ، بأجهزته الفنية ، والادارية ، مع اتخاذ ما يتناسب من أساليب ، ووسائل ، وفى ضوء ما تراه من أسس ، وقواعد ، ولوائح منظمة لاتمامه .

والسياسة التعليمية ، لابد وأن تكون نابعة من حياة المجتمع ، ومتمشية مع متطلباته ، وبمقتضى ظروفه ؛ فهى ليست مجموعة من العبارات العلمية ، أو الحيثيات التربوية، ولكنها تعبير عن مدى تفاعل قطاعات العمل فى المجتمع ، وتكاملها ، ودليل على استقرار الأمور فيه .

فاذا كانت فلسفة التربية ، هى النظرة الشاملة للتربية فى المجتمع ، فان السياسية التعليمية ، هى أيضا ، وليدة ظروف المجتمع . وقواه الثقافية ، وما يطرأ عليه من تغير أو تطور، ذلك ، أن التربية ، عملية اجتماعية ، تشكلها عوامل المجتمع، الذى تتم فيه ، وأن التعليم جزء من التربية ، ومن العملية التربوية التى تحدث فى المجتمع ،

وبالتالى ، فان سياسة التعليم ، هى نتاج تلك العوامل ؛ فالمجتمع الذى يسعى الى تحقيق مبادىء الاشتراكية (على سبيل المثال) ، تكون سياسته التعليمية ، ـ بصفة عامة ـ متضمنة ما يحقق له ذلك ، سواء فى مناهجها ، أو فى نظمها المدرسية ، أو فى اعداد معلميها ..

والمجتمع الذى يهدف الى تنشئة أبنائه تنشئة دينية ، بسمات معينة ، يتخذ من السياسة التعليمية وسيلة ذات

فعالية لتحقيق ذلك ، ويرسم معالمها بحيث تحقق ما يراه ٠٠ وهكذا ٠

والسياسة التعليمية ، تستجيب لما يحدث فى المجتمع من تغير ، وما يطرأ عليه من تحـــول فى نظمه ؛ الســـياسية ، أو الاجتماعية ، أو الفكرية ، أو الاقتصادية ،

وهى تتأثر بما يتأثر به المجتمع ، من مخترعات حديثة ، أو اكتشافات علمية ، أو اتجاهات عالمية فى مجال التـــربية والتعليم ، كما يحدث فى الوقت الحاضر ،

ذلك ، أن عالمنا المعاصر ـ حيث العلم الحـــديث ـ عالم متغير ، يصيبه التحول ، والتقلب من جميع نواحيه ، وتعتريه التغيرات فى جميع أنظمته ؛ الاجتماعية ، والســـياسية ، والاقتصـــادية ،

وعلى أساس هذا التغير ، تقوم النظريات الحـــديثة فى جميع نواحي العلم ، ويعمل الأفراد ، والجماعات ، والحكام على مواجهة هذا التغير ، الذى لم يسبق له مثيل فى مداه ، وسرعته ، وعمقه ، وتواجه القيم القديمة ، امتحانا قاسيا ، وتعتريها هزة قوية ، أو ضعيفة، نتيجة لدخول العلم، ونتيجة لانتشار التغير ، وسيطرته ، ولهذا كله ـ ولا شك ـ مضمون فلسفى ، لابد ، وأن تتضمنه فلسفة التربية ،

وهنا تلعب السياسة التعليمية ، دورا هاما فى حيـــاة المجتمع ، وبالاضافة الى ذلك ، فان السياسة التعليمية لهـــا أن تأخذ بما تراه مناسبا لظروف مجتمعها ، من مقترحات ، أو توصيات ، ناتجة عن مؤتمرات أو اجتماعات ، علمية ، أو تربوية، سواء على الصعيد المحلى، أو القومى، أو الدولى

واذا اعتبرنا فلسفة التربية ، هى محور ارتكاز المجتمع، فان السياسة التعليمية ، هى الذراع الممتـــدة بالنشـــاط ،

والحركة فى هذا المجتمع ، وأحد المؤشرات الهامة ، الـدالة على تقدمه ٠

فالدولة التى تأخذ بنظام الالزام فى مرحلة تعليمية دون أخرى ، أو تفضل نوعا من التعليم على آخر ، أو تطبق مناهج معينة ، أو أنها تعنى بأسلوب أداء معين فى تعليم أبنائها ، أو اعداد معلميها ٠٠ الخ فهذه كلها ضمن سياستها التعليمية التى تتبعها ،

ولكن ، لماذا تأخذ بهذا النظام دون آخر ؟ أو لماذا تمارس فى تنشئة أبنائها أساليب بعينها؟؟ الى غير ذلكمن التساؤلات التى ترتبط الاجابة عنها بحياة المجتمع ، وظروفه ؛ ارتباطا وثيقا ، فان فلسفة التربية ، هى التى يمكنها الاجابة عنها ، لأنها المعبرة عن اتجاهات المجتمع ٠

الأهداف التربوية :

المقصود بالهدف التربوى :

نعنى بالهدف التربوى ، الغاية ، المقصودة من رسم الخطط التربوية اللازمة لحياة المجتمع ، وتقدمه ·

والأهداف التربوية ، هى المحددات ، أو الأطر التى توضح مسار التربية فى المجتمع ، والمرامى التى تسعى التربية لبلوغها من أجل نفع المجتمع ·

والأهداف التربوية ، هى تعبير عن العمل التربوى - بكافة أنواعه - وتجسيد لنظريات التربية ، وفلسفاتها فى المجتمعات ·

وهذه الأهداف ، ترسمها الدول ، رغبة فى تحقيق أغراضها القومية ، النابعة من ظروفها السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ·

وتتشكل طبيعة الأهداف التربوية ، وفقا لما ترسمه فلسفة التربية ، ومن واقع الظروف الاجتماعية - بما فيها من نظم، وقوانين ، ومثل ، وقيم ، واهتمامات ، وعناصر ثقافية - التى يعيشها المتعلمون ، أو من يجرى عليهم تحقيق هذه الأهداف·

ومن سمات الأهداف التربوية :

(أ) تأثرها بالقوى ، أو العوامل الثقافية التى تعيش فى المجتمع ، سواء فى طبيعة هذه الأهداف ، أو نوعيتها ، أو ما يرجى الوصول اليه من تحقيقها ، فى حاضرها ، ومستقبلها ·

(ب) عدم تركيزها على الفرد دون المجتمع ، أو المجتمع دون الفرد ، أو المغالاة فى جانب على حساب الآخر ، اذ أن التأكيد على الفرد ، يعنى الاهتمام بالنزعة الفردية ، علـى حســاب الناحية الاجتمـاعية ، وما يترتب عليهـا من قيـم مشتركة ، وتفاعـلات اجتماعية ، كما أن الاهتمام بالجانب الاجتماعى ، يعنى ذوبان الفرد فى خضم المجتمع بتيـاراته ، مع اسقاط أهميته ، ودوره فى البناء الاجتماعى ٠

(جـ) شمولها على تنظيم متسق لجميــع جوانب العمل المطلوب ، والوسائل المســتخدمة فى تنفيــذه ، مع ادراك العوامل المتداخلة فى احداثه ، وما قد يطرأ من ظروف ، أو احتمالات ، وهنا ، ينبغى أن تكون هناك مرونة فى التنفيذ ، مع ضرورة التوافق بين النظرية (كأهداف مرسومة) وبين التطبيق (كمجال علمى) ، وبدون ذلك ، تضيع الغاية من صياغة الأهداف ، ورسمها فى الاطار المرغوب ٠

(د) عموميتها فى التعبير عن آمال المجتمع ، واهتمامات أفراده ، وتطلعاتهم الى المستقبل ، فهى ليست قاصرة علـى جانب معين كالتعـليم فى مرحلة تعليمية بذاتها ، أو منهج دراسى بعينه ، أو لفئة عمرية بعينها من مراحل نمو النشء أو الشباب ، أو لطائفة معينة فى المجتمع ٠٠٠ ولكنها شاملة لكل ذلك ٠

(هـ) تباينها فى المـدى الزمنى لتحقيقها ؛ فالأهــداف التربوية للمجتمع لا تتحقق فى لحظات ، أو بين يوم وليلة ، ولكنها ــ بصفة عامة ــ تحتاج الى وقت ، مما يستدعى أخذه فى الاعتبار ، وهــذا ــ بدوره ــ يســتلزم مراعاة ظروف التنفيذ ، والاعداد لها ٠

(و) اكتسابها الصفة الجماعية فى صياغتها، ورسمها؛ فالأهداف التربوية ، لا يقتصر وضعها ، أو القيام بتحديدها،

المتخصصون فى شئون التربية ، ومسائل التعليم ، فحسب، ولكن يشاركهم فى اعـــدادها ، وصـــياغتها ، الأجهـــزة التشريعية ، والتنفيذية ، والمسئولون عن توجيه مجـــالات العمل فى المجتمع ، ومن ثم ، فهى تعتمد على المشاركة بين نظم التعليم المستخدمة ، ووسائط التربية بنوعياتها ، مـــع ضرورة التكامل بينها ، والتعــاون فى أدائها ، حتى تتـــم فاعليتها ٠

(ز) قدرتها على دفع عجلة التقدم فى المجتمع ؛ فالأهداف التربوية التى تعمل الشعوب على تحقيقها ، من أهم العوامل الفعالة فى تطوير المجتمعات ، كما أنها محـــرك لطاقاتها ، بالاضافة الى أنها تعبير عن متطلبات المجتمع على اختلاف قطـــاعاته ٠

(ح) وجود ارتباط وثيق بين الأهداف التربوية ، وعناصر العمل التربوى ، مما يجعل تحديد الوسائل المستخدمة أمرا ميســـورا ٠

الأهـــداف التعليمية :

ـ ما الفرق بين الأهداف التربوية والأهداف التعليمية ؟؟

ـ الأهداف التربوية ـ كما يتضح من سماتها السابقة ـ أعم ، وأشمل من الأهداف التعليمية ،

فالأولى ، تنصب على أوضـــــاع التربية ، ونواحيها فى المجتمع ، بصفة عامة ، والثانية ، تختص بما يدور فى العملية التعليمية ، وما ينبغى تحقيقه بالنسبة للتعليم المدرسى ، أو النظامى ، كأحد وسائط التربية فى المجتمع ٠

فالأهداف التعليمية ، هى الأهـــــداف التى تنصب على الناحية التعليمية ، التى تتـــم فى المدرسة ، أو المعهـــد أو المؤسسة التى تتولى النشء بالتعليم ٠

وتتركز خصائص الأهداف التعليمية فيما يأتى :

١ - تبصير المسئولين عن التعليم بماهية عملهم ، وتزيل ماقد يعترضهم من عقبات ، أو غموض عند الممارسة العملية ·

٢ - تحديد العلاقة بين المعلم والتلميذ ، فى ضوء الوسائل، والطرائق المستخدمة فى الموقف التعليمى ، وبالنسبة للمستويات التعليمية للتلاميذ ·

٣ - العمل على ربط مواقف الحياة بما يتعلمـه التلميذ ؛ فالتعليم ترجمة لأهداف المجتمع الذى يعيش فيه ، ومن مهامه ، مراعاة الناحية القومية فى تنشئة التلاميذ·

٤ - العناية بالتكامل فى جوانب سلوك التلاميذ ، فلا تركز على الجانب المعرفى فحسب ، ولكنها تتضمن الجانب الوجدانى ، النفسى ، بالاضافة الى اكسابهم المهارات النافعة ·

٥ - الاهتمام بتحقيق ما يشعر به التلميذ من ميول ، وما يحس به من قيم ، وما يتطلع اليه من مثل ، ومبادىء، وتنمية ما لديه من قدرات ، واستعدادات ·

التخطيط التربوى :

بعد أن استعرضنا فى الصفحات السابقة - فى ايجـاز - كلا من :

مفهوم فلسـفة التربية ، وتحليلها الوظيفى ، والسياسة التعليمية ، والأهداف التربوية ، والأهداف التعليمية ، نجد أنفسنا أمام السؤال التالى :

كيف يتمكن المجتمـع من تحقيق فلسفته التربوية ، وما تشمله من مضمون ، وأهداف ؟؟

لابد لأى مجتمع ، ولا سيما فى عصرنا الحاضر ، من اتباع ما يعرف بسياسة التخطيط القومى، وما يتبعه من خطط تنمية اقتصادية ، واجتماعية، بغية تحقيق أهداف عامة، ومتنوعة، والتخطيط التربوى ، أحد فروع التخطيط العام للدولة ،

والتخطيط ، هو التصور المستقبلى لأوضاع المجتمع ، على أسس موضوعية ، وعلمية منظمة ،

وهذا التصور ، يتضمن برامج ، ودراسات ، وتنظيمات ، ووسائل تتناول مجالات الخدمة فى المجتمع فى اطار مرسوم، يمكن تنفيذ محتواه على مراحـــل أو فترات ، تتناسب مع ظروف المجتمع ، وامكانياته ، وما يتوفر له من موارد ، وما [illegible] فيه ، من قوى ثقافية ، متنوعة ٠

والتخطيط التربوى ، هو ، تخطيط أو تنظيم يعد مسبقا من واقع حياة المجتمع ، وفى ضوء ظروفه ، لاعداد الأفراد، وتدريبهم فى شتى مجالات الحياة ، لكى يسهموا فى خطة تنمية المجتمع ، وفى نفس الوقت ، يتضمن تخطيطا للقـــوى البشرية فى المجتمع ٠

فهو يتناول الالتحاق بمدارس، ومعاهد كل مرحلة تعليمية، وتتبع الخريجين، والوقوف على مدى كفايتهم الفنية، وعلاقة المتخرجين بخطة التنمية الاقتصادية ، واعداد الاخصائيين، كما يتناول العمالة ، والبطالة ، الى جانب تناوله الهيـكل التعليمى ، والعلامة البشرية بين المراحل المختلفة ، ٠٠ وهذه كلها من عناصر العملية التربوية ٠

على أن التخطيط التربوى ، ينبغى أن يأخذ فى اعتباره، جميـــع القوى ، والعوامل ؛ الســـياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية بشـــكل متكامل ، بحيث لا تقتصر الدراسة المعدة لهذا الهدف على الحاضر فقط ، بل ، تمتد فتشمل احتمالات التطور ، والنمو فى المستقبل ، اذ أنه على

أساس نتائج هذه الدراسة ، يمكن تشخيص النظام التربوى، وتصور حركة نموه ، وتطوره ٠

ولكى يتم التخطيط التربوى على أسس سليمة ، ينبغى ادراك أهمية ما تتأثر به التربية ، وما يتفاعل معها من عوامل نذكر من بينها :

- الأهداف السياسية للمجتمع ٠
- النمو السكانى فى المجتمع ٠
- خطط التنمية الاجتماعية ، وما تستند اليه من فلسفة ، ورؤية اجتماعية ٠
- خطط التنمية الاقتصادية ، وما تتطلبه من هياكل للعمالة ، على مختلف المستويات ٠
- الآثار ، والاحتمالات ، والتطبيقات المترتبة على الثورة العلمية ، والتكنولوجية ، والاعلامية ٠
- الاتجاهات التربوية ، العالمية ، المعاصرة ، ومواكبة التقدم ، والتطور ٠
- متطلبات التربية المستمرة ، وامتداد خبرات الانسان، مدى الحياة ٠

نمــــاذج تطبيقية لفلسفات تربوية معاصرة

بعد أن استعرضنا - فى عجالة سريعة - ماهية فلســـفة التربية ، وما يتبعها من روافد تنظيمية ،

نعرض - فيما يلى - بعض النمـــاذج التطبيقية لفلسفة التربية :

(١) فلسفة التربية فى مجتمع الوطن العربى :

- دول الوطن العربى ، التى تمتد بين قارتى افريقيا وآسيا، ويبلغ تعداد سكانها نحو ٢٠٠ مليون نسمة ، تمثل وحدة متكاملة ؛ ثقافيا ، وفكريا ، واجتماعيا ، واقتصاديا ؛ فهناك أكثر من رابطة تصل بينها ، وهى - فى مجموعها - أمة واحدة ، ذات شعوب متعددة ، تجمعها آمال ، وآلام، وأهداف ، ومصالح مشتركة ، كما تجمعها قيم ، ومثل، واتجاهات عامة فى غالبيتها ٠

- والشعوب العربية ، ذات حضارات ، وثقافات عريقة ، عبر عصور ماضية ، وعن طريق العرب ، وحضاراتهم، أخذت أوربا ، والدول المتقـــدمة أصـــول حضـــارتها المعاصرة ، وبعد أن اســـتوردت مقـــومات مدنيتها من الشرق ، راحت تصدرها اليه ثانية ، بأسماء مستعارة ، ومسميات عصرية ، وبأساليب لا تخلو من المهـــانة ، أو المن ، أو الأذى ٠

وفضلا عن ذلك ، فان الوطن العربى ، مهبط الديانات السماوية ، ومنبع الحركات الدينية البناءة ، ويوجد به كثير من الأماكن المقدسة ، التى لها مكانة وتقـــدير فى نفـــوس الكثير من شـــعوب الشرق ، والغـــرب على السواء ٠

- أما أوضاع التربية فى الوطن العــربى ، فقد تعـرضت لكثير من القوى ، والمؤثرات المتبــاينة التى تدخلت فى تشكيل التربية ، ومن ثم ، كانت فلسفة التربية صدى لها، ذلك ، أن بلادنا العــربية ، ورثت تعليمها من عهــود استعمارية ، خطط المستعمر فيها التعليم للأجيال العربية المتتالية من وجهة نظره ، وفقا لمصالحه • ومهما اختلفت السياسة الاستعمارية باختلاف الدولة المسيطرة على هذا الجزء من الوطن العربى ، أو ذلك ، فقد اتفقت كلها فى بعض الأمور ، حيث عملت كلها على تقليل فرص التعليـم أمام المواطن العربى، كما عملت على حصر التعليم فى دائرة الألفاظ التى لا تنتج قوة تتجه أول ما تتجه نحو المستعمر نفســه •

- لقد وقعت البلاد العربية كلها ـ باستثناء مراكش ـ تحت الحكم التركى ، وتحت الحكم التركى ، أصيب التعليـم العربى كله بالعجمة ، حتى لقد كان النحو العربى يدرسه للعرب ، معلم تركى باللغة التركية ، كما أصيب بضيق الأفق ؛ ففى العهد التركى ، طردت العلوم الحديثة كلها من معاهد التعليم ، واقتصر التحصيل فيها على الفقه ، ومقدماته ، والنحو ، وقضاياه •

- ثم وقعت البلاد العربية فى قبضة الاستعمار الغــربى بنوعيه ؛ البريطانى ، والفرنسى ، وحيث حكم الاستعمار البريطانى، ساد الكتاب، وسادت الثقافة القديمة، وحيث وجد الاستعمار الفرنسى ، أصر الشباب العــربى على نسيان لغته ، وأجريت اللغة الفرنســية على لســانه ، ووضعت أمامه الآداب الفرنسية ، والثقافة الفرنســية ، طمعا فى التهــام العــروبة ، وتذويبهــا فى فرنســية الفرنسيين •

الى جانب أنواع أخرى من الاستعمار ، منيت بها بعض

أجزاء الوطن العـــربى ، كالاســـتعمار الايطـــالى أو البرتغالى ·

- ثم حققت الشعوب العربية استقلالها بالفطرة العربية ، والكرامة العربية ، والبطولة العربية ، رغم كل هـــذه المعوقات الثقافية ، وكان على الحـــكومات الوطنية أن تواجه تطلعات مواطنيها العرب نحو تعليم شامل ، تتسع فرصه للجميع ، فاتجهت كلها نحو الكم دون مراجعـــة للنوع ؛ تنشىء المدارس ، والمعـــاهد بالعشرات ، وربما بالمئات ، ولكن من نفس النوع الذى رسمه الاستعمار ، أو بتعديل غير كبير فى المحتوى ،

ومن البلاد العربية ، ما تطور تعليمه الى حد كبير ، وان كان ما يزال بعيدا عن مواضع الرضا ·

- كذلك، هناك من بلادنا العربية، ما لا يزال يتحسس طريقه نحو التطوير ·

أوضاعنا التربوية الراهنة :

نستطيع أن نقول ان امتنا العـــربية ، تجتـــاز فى وقتنا الحاضر ، مرحلة من التطور ، والنهوض حتى تتمكن من مسايرة ركب التقدم العالمى ، الذى يسير بخطى واسعة، نتيجة لما يفتحه التقدم العلمى من آفاق أمام البشرية ·

- والأمة العربية ، تنطلق - فى هذه المرحلة الحاسمة من حياتها - بسرعتين : سرعة تعـــوض عليها ما فاتها فى عصور السيطرة الاستعمارية ، وسرعة تلاحق بها انطلاق العالم الحديث فى عصر الذرة ، وعصر الفضاء ·

- وهى تسير مدفـــوعة بوعى متزايد نحـــو الحيـــاة

الديموقراطية ، التى تقوم على الشورى ، وهى أصل من أصول ثقافتنا العربية العريقة ٠

- وتتجه الأمة العربية الى التنمية الاجتماعية ، سيرا نحو العدالة الاجتماعية ، وشمولا بالرعاية التعليمية ، والصحية ، والعمرانية لمزيد من قطاعات السكان ٠

- كما أنها تتجه نحو تحقيق القوة المادية ، التى هى أساس ضمان مصالح العرب ، ومن ثم ، اتخذت طريق العلم ؛ تعليما ، وبحثا ، وتطبيقا ، وتتخذ منه ، منطلقا الى التنمية الاقتصادية ، القائمة على التصنيع ، وعلى النهوض بالزراعة ، وتطويرها ٠

ولكن ، بالرغم من ذلك ؛ (١)

فان كفة التعليم الأكاديمى النظرى ، لا تزال ترجح كفة التعليم الفنى أو المهنى فى غالبية الدول العربية ، وذلك لارتباطات تقليدية ، واجتماعية ، لا تزال عالقة بأذهان الكثيرين من أبناء الوطن العربى ، مما جعل الشباب يعزفون عن التعليم الفنى أو التطبيقى بالاضافة الى تكلفة التعليم الفنى ٠

وأن الاعتمادات المالية المخصصة للتعليم - بصفة عامة - لا تزال قليلة نسبيا ، فى كثير من دول الوطن العربى ، فهى اعتمادات لا تتكافأ مع متطلبات التوسع فى التعليم ، والنهوض به ٠

وأن الظروف التى عاشها مجتمعنا العربى ، وما فرض عليه فى الماضى من استعمار ، وتخلف ، وضغوط اجتماعية،

---

(١) للمزيد من المعلومات فى هذا المجال ، ارجع الى :

د٠ عرفات عبد العزيز سليمان - الاتجاهات التربوية المعاصرة ط ٢ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٩ ٠

ومعاناة فى الأحوال الاقتصـــادية ، وحـــرمان من نعمـة الاستنارة الفكرية ، والمعرفية ، يجعله الآن فى صراع دائم بين متطلبات الكم ، ونوعيات الكيف ٠

وأن دولنا العربية فى صراع مع نفسها ؛ أتراها تكفـــل الحياة التعليمية البســـيطة لأبنـــائها ، وتكتفى من العلم بالكفاف ، حتى ليبدو العرب ، وكأنهم أنصاف متعلمين ، أو هم أقرب الى الأمية ؟؟

أم أنها تأخذ بأسباب التطور السريع ، وتعوض ما فاتها ، وتزيد عليه ؟؟

وأن أمتنا العربية، لا تزال تعاني منازدواجية الاتجاهات فى بعض مجتمعاتها ؛ فهناك ما وصل منها فى التطور الى درجة كبيرة ، ومع ذلك يتمسك بالتقليديات العتيقة ،

وهناك ، ما يركن الى الماضى ، ويرى فى تجاهله ، امتهانا لتراثه ، وجحودا لأسلافه ، وعقوقا لهم ،

وهناك من الدول العربية ، ما وصل الى درجة لا بأس بها فى مجال العلم ، والمعرفة ، ولكنها لم تتمثلها بهضمها ، والاستفادة منها ، وقد اكتفت بظاهرها ، وأدواتها ، وآلاتها، ولم تغير من فكرها ، ولا من نظرتها الى الحياة المتطـورة حولها ، الا بقدر ضئيل ٠

وكذلك ، منها ما يختلط فيه تيـــارات ثقافية أو اتجاهات تربوية متنوعة ٠

ومنها ، ما تتأرجح فى مجتمعها ، العادات ، والتقاليد ، والنظم التعليمية ، بين شرقية ، وغربية ، حتى انه ليحـــدو بالبعض أو يصف الثقافة العربية ، بأنها ثقافة تحتوى عـلى كثير من التناقض ٠

سمات الفلسفة التربوية فى الوطن العربى :

ونستطيع ـ من الواقع المعاصر ـ أن نبرز أهم سمات فلسفة التربية فى الدول العربية ، على النحو التالى :

أولا ـ تمسك غالبية الدول العربية بالاتجاهات الاسلامية، والتراث القومى للعرب ، ومحاولة التوعية السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية لجماهير الشعب العربى ، مع محاولة اللحاق بغيرهم من شعوب الدول المتقدمة ، وكذلك، التوسع المطرد فى تطبيق مبدأ ديموقراطية التعليم ، والعدل الاجتماعى ، وتكافؤ الفرص بين كافة المواطنين ، وافساح المجال أمامهم لنمو أقصى ما تستطيعه طاقاتهم ٠

ثانيا ـ الايمان المستمر بدور التعليم ، وقيمته فى تكوين الانسان العربى ، القادر على صياغة حياته ، وحياة مجتمعه ، متحررا من قيود التخلف ، وباذلا الجهد فى سبيل طلب التقدم ، وتحقيق أسبابه ، مع الاتجاه الى توحيد الأسس العامة للتربية والتعليم فى دول الوطن العربى ، وتدعيم التكامل الثقافى والعلمى واستمراره بينها ، الى جانب النواحى الأخرى من التكامل ، وتقوم منظمة اليونسكو العربية بدور كبير فى هذا المجال ٠

ثالثا ـ الأخذ بأسلوب التخطيط التربوى والتعليمى الذى تأخذ به كثير من دول عالمنا المعاصر ، نتيجة لما يحدث من انفجار سكانى متزايد ، وما يستتبع هذا من مسئوليات ، ثم ما يعيشه العالم من تنافس ، وتحديات ، وصراعات فى مختلف نواحى الحياة ، وذلك ، وفاءا بمطالب المجتمع العربى من نظم التعليم ، ومؤسساته ، وادراكا لأهمية التخطيط المنظم فى تنمية المواهب البشرية ، ورغبة فى مزيد من التقدم العلمى والفكرى ، والاجتماعى لأبناء الأمة العربية ٠

رابعـــا ـ مركزية الادارة التعليمية ، فمن المعــروف أن حكومات الدول العربية ، هى التى تتكفل بتمويل التعليم ، وادارته ، بصفة عامة ـ أو على الأقل ـ تقوم بالعبء الأكبر فيه ، حيث تأخذ معظم هذه الدول بمبـدأ المركزية فى ادارة التعليم ، حرصا منها على العمل بالاتجاهات الديموقراطية، ولتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية ، الى جانب قلة الكفاءات، والخبرة الادارية فى الجهات المحلية ، وتواضـع الجهـود الأهلية فى تمويل التعليم ٠ على أن هذا ، لا ينفى وجود بعض النظم اللامركزية فى عدد قليل من الدول العربية ٠

خامسا ـ الاهتمام بتوفير الأعداد اللازمة من المعلمين للمراحل التعليمية المختلفة وفى مختلف التخصصات ، وذلك نتيجة للحاجة الملحة والمستمرة الى المزيد من أعداد المعلمين، نظرا للاقبال المتزايد على التعليم فى الدول العربية ، حتى أنه لا تخلو ـ الآن ـ دول عربية من الشكوى من نقص فى معلميها ، سواء فى ذلك ، الدول التى تقـوم بها كليـات ، ومعاهد لاعداد المعلمين ، أو تلك التى لم تنشأ بها بعد ، الأمر الذى جعل الدول العربية ـ بلا استثناء ـ تضطر الى تنويع مصادر اعداد المعلمين فى المرحلة التعليمية الواحدة ، بل ، وحتى فى المادة الدراسية الواحدة أيضا ٠

سادسا ـ اهتمام الدول العربية بتدريس اللغات الأجنبية لأبنائها كجسور اتصال بينها ، وبين دول العالم ، وكضرورة ملحة لربط الوطن العربى بما يحدث حوله من حركات التقدم العلمى ، والفكرى ، وكنوافذ يطل منها على العالم الخارجى، وتيسر له سبل الانفتاح ، والتبـــادل فى مجالات الثقـــافة المتنوعة ٠

بالاضافة الى أن اللغات الأجنبية من أهم وسائل الاتصال التى تمكننا من أن نزن ثقافتنا العربية ، ونقارنها بغيرها ، لا سيما ، وقد تضاعف فى عصرنا الحاضر، سبل المواصلات،

وتشابكت أطراف العالم ، وكثر التنقل بين الدول ، وبلادنا العربية ، تجتذب الكثير من أبناء الدول الأجنبية ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان بعض العلوم ، لا تزال تدرس فى الكليات الجامعية بلغات أجنبية ، وكذلك توفد كثير من دول الوطن العربى مجموعات من أبنائها لاستكمال دراستهم فى بلاد لا تتكلم اللغة العربية ،

ومن أجل هذا ، كله ، تتجه الدول العربية الى الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية فى مراحل التعليم العام بها ٠

سابعا - اعادة النظر - من وقت لآخر - فى أوضاع التعليم عامة ، سواء فى هيكله ، وتنظيمه ، أو بنيته ، ومحتواه ٠ أو فى وسائل التقويم المستخدمة فيه ومحاولة تحديث أساليبه ، وعصرنة طرائقه ، وذلك بما يتلاءم وظروف العصر ، مع المحافظة على أصالة الفلسفة القومية للمجتمع العربى ٠

ثامنا - بذل الجهود المتنوعة لتنقية التعليم فى المنطقة العربية مما علق به من شوائب وما أصابه من قصور ، ومحاولة القضاء على كثير من المشكلات التعليمية ، والتربوية ، كالتسرب فى المرحلة الابتدائية ، وتخلف تعليم الفتاة ، وانتشار الأمية ، والتعليم الأجوف ، والجمود الفكرى ، والبيروقراطية فى الادارة ، والبعد عن مقومات الثقافة العربية الأصيلة ٠

(٢) فلسفة التربية فى مجتمع الدول الرأسمالية ،

الدول الرأسمالية التى نعنيها هنـــا ، هى الدول التى مكنتها اقتصادياتها من توفير فرص التعليم المنتج لأبنائها بحيث يسهم هذا التعليم فى دعم اقتصادها، عن طريق القوى البشرية ، المدربة ، والعـــالية المســـتوى ، والموزعة على التخصصات المختلفة ، مثـــل بعض دول أوربا ، وأمريكا ، واستراليا ، واليابان ٠ على أن هناك نوعا آخر من الدول الرأسمالية ، ولكنها « رأســمالية متخلفة » نتيجـــة لبعض الضغوط الاجتماعية أو السياسية التى تعـرضت اليها فى الماضى ، فهى تملك مصادر الثروة ، ومكونات الاقتصاد ، بيد أنها لم تستثمرها بعد ، ولم تتمكن من اســـتثمار الطاقات البشرية الموجودة فيها ، ومن ثم ، ظلت فى تخلفها ، لا تخطو فى مجالات التقدم الا خطوات وئيدة ، مثل ، بعض الـدول العربية البترولية ، ودول نفطية ، ورأسمالية أخرى ٠

والدول الرأسمالية ، عامة ، تختلف فيما بينها بالنسبة لدرجة نموها الاقتصادى وحجمه ، وتنوعه ، واستثماره ٠

كما أنها ليست مركزة فى منطقة جغـــرافية معينة ، أو قاصرة على جنس بشرى دون آخر ، فمنها ما يوجد فى بلاد الشرق ، ومنها ما يوجد فى بلاد الغرب ، ومنها ما يوجد بين الدول العربية ، وما يوجد بين غيرها من دول العالم ٠

ونود أن نشير الى أنه عنـدما نطلق مصـطلح « الدولة الرأسمالية » على احدى الدول ، فلا يعنى هذا ، أن جميع أفرادها تنسحب عليهم صفة « الرأسمالية » ، فالواقع ، أن الدول الرأسمالية ، لا تخلو من وجود مجموعة من أبنـائها لا يرتفع مستواهم الاقتصـــادى الى مفهوم الرأســـمالية ومتطلباته ، ولكننا نطلق هذه التســـمية من قبيل التعميم ، والتغليب ٠

كيف وجدت الرأسمالية المعاصرة ؟؟

تؤكد الحقائق التاريخية ، أن المجتمعات الرأسمائية قد وجدت منذ زمن بعيد ، وهى قديمة قدم التاريخ نفسه . والعصور التى مرت بها البشرية فى حياتها الاجتماعية ، شواهد صدق على ذلك ، سواء فى العصور القديمة ، أو الوسيطة ، أو الحديثة ، أو المعاصرة ، اذ أن حياة الانسان فى حركة دائبة ، وسعى مستمر نحو التطلع الى ما هو أفضل ، وأكثر نفعا ، بالنسبة له أولا ، وبالنسبة لغيره ثانيا ، وهو يتخذ المال وسيلة فعالة لتحقيق مآربه ، فضلا عن غريزة الاقتناء ، وحب المال ، وشهوة الثراء ، من الصفات الملازمة ، والمستمرة فى طبيعة البشر ، على وجه العموم ، وان اختلفت وسائل ، وأساليب تحقيقها من فرد الى آخر .

ونحن لا نريد أن نستطرد كثيرا فى استرجاع التاريخ ، والبحث فى تقصى الجذور العميقة لتطور الفكرة الرأسمالية ، ولكننا ، نكتفى بالاشارة الى واقعها ، من خلال حياتنا المعاصرة ، اذ يرى فريق من المفكرين ، أن الأوضاع الرأسمالية لبعض دول أوربا (على سبيل المثال) انما ترجع فى جذورها الى عصور سابقة عن العصر الحاضر ، فهم يعتبرونها حركة انسانية ، ناتجة عن تسلط ضغوط اجتماعية ، واقتصادية ، ودينية ، اشتركت فى احداثها كل من الحكومة ، والكنيسة فى العصور الوسطى ، حيث ساد الاقطاع ، والنظام الاقطاعى ، واستغلت العقيدة استغلالا سيئا فى سبيل الحصول على المال ، والوصول الى الثراء ، (١)

ثم ما حدث بعد ذلك من تطورات سياسية ، واصلاحات دينية ، واجتماعية ، تحقيقا لرغبة انسان أوربا فى الخلاص

---

1) See : SNELL, J.B. Early Railways (Pleasures and Treasures), Weidenfeld and Nicolson, London, 1967, pp. 41, 42.

من قيود التسلط ، والاستغلال ، وكبت الحريات ؛ فقد كانت الحياة حينئذ أشبه شىء باستاتيكية راكدة ، فتحولت فى عصور الاصلاح ، والنهضة ، وما أعقبهما الى حياة ديناميكية ، مليئة بالحركة ، والنشاط المتنوع ، وقامت بتغذيتها ، وتدعيمها التيارات الفكرية ، المتتالية مما دفع المجتمعات الأوربية بعد ذلك الى مزيد من الفكر ، والاختراع، ثم كانت الثورة الصناعية التى حدثت فى أوربا ، وما لزمها من أموال ، وما تتطلبه من علم ، وأصبح كل منها (الصناعة، والمال ، والعلم) فى خدمة الآخر ، ينفعه ، ويدعم وجوده ، ومن ثم وجدت المنشئات والمؤسسات الصناعية ، والتجارية، والعلمية ، وغيرها من وسائل الاستثمار ، الى جانب مصادر الطاقة ، والثروة الأخرى ، وكلها من مقومات التطور التكنولوجى الذى تعيشه أوربا الرأسمالية ، والذى كان له أثره على اتجاهات التربية ، ونظم التعليم •

على أن هذا التحليل التاريخى الموجز للفكرة الرأسمالية، ليس بالضرورة أن يكون أساسا لكل الاتجاهات الرأسمالية التى تأخذ بها أو تعيشها مجموعة من دول عالمنا المعاصر ؛ فهناك دول كان لظروف مجتمعاتها ، وطبيعة البيئة فيها ، دخل كبير فى ثرائها ، وتقدمها ، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، واستراليا ، وغيرهما •

طبيعة المجتمع فى الدول الرأسمالية :

من الملاحظ ، أن ما تتمتع به الدول الرأسمالية من رخاء اقتصادى وأمن اجتماعى ، يكون له صداه على أوضاع الحياة فى مجتمعاتها ، بحيث يمكن ابراز معالمها ، على النحو التالى :

(أ) اعتبار الانسان (الفرد) هو القوة الاجتماعية الرئيسية ، والدعامة الأساسية فى تقدم الأمم ، والشعوب،

وذلك ، من حيث الايمان به ، واحترام حـــريته ، وذكاءه ، والعمل على تنمية قدراته بما يدفعه الى التنافس مع غيره، تنافسا ، يهدف الى تقدم المجتمعات ، ورقيها ٠

وتقوم حكومات هذه الدول بدور المنظم لهذا التنافس بما يكفل لها استقرار الحياة الاجتمـــاعية بين الأفراد ، وان اختلفت نوعية هذا التنظيم من دولة الى أخرى ٠

(ب) تمتع الفرد بمزيد من الحريات ؛ فهو يتمتع بحرية العقيدة ، اذ يدين بما يعتقد ، ويمارس نشاطه الدينى الذى يرغبه ، وكيفما يشاء ٠

وهو يتمتع بحرية العمل ؛ فهـو يختار من الأعمـــال ما يتناسب مع قدراته ، ويتفق مع ميوله ،

وهو يتمتع بالحرية الاقتصادية ، فهو يقتنى من الأمـوال أو المنشئات أو الممتلكات ما حصل عليه نتيجة عمله ، وجهده، وبلا حدود ،

وهو يتمتع بالحرية السياسية ، فالاتجاه الديموقراطى ، هو الاتجاه السائد فى الدول الرأســمالية ، حيث يســهم المواطنون فى العمليات السياسية فى المجتمع ،

وللفرد رأيه فيما يتعلق بشئون بلده ، وله أن يقدم ما يراه من مقترحات ، وله أن ينتمى الى حزب أو جماعة يفضـــلها عن سواها ، ذلك أن الفرد لا يعتبر مجـــرد وسيلة لتحقيق الأهداف القومية فحسب ، ولكن تنميـــة مواهبه ، وقدراته أيضا ، من أهم أهـــداف التربية فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ٠

(جـ) تنوع القوى البشرية ، المدربة ، والمعدة للعمل بهذه الدول الرأســمالية ، بحيث تغطى احتيـــاجات الدولة من

الاخصائيين ، والفنيين اللازمين لدفع عجلة التقــدم بها ، واستمرارها ٠

وهنا ، يلعب الاقتصاد دورا هاما فى احداث ذلك ، سواء بالنسبة للمستوى العام للدولة، أو المستوى الخاص للأفراد، اذ تستطيع الدول الرأسمالية ـ بفضل قوة نظمها التعليمية ـ توفير العديد من أنواع القوى البشرية ، العالية المستوى، واللازمة لقيادة مجتمعاتها ٠

على أنه من الملاحظ ، الانخفاض النسبى فى معدل الزيادة السكانية ، نتيجة للانخفاض النسبى فى معـدل المواليد فى الدول الرأسمالية المتقدمة اذا قورنت بغيرها (باســتثناء بعض الدول) ٠

كما أن نسبة السكان من فئة السن (٥ ـ ١٤ سنة) أقل من مثيلتها فى الدول الأخرى ٠

وكذلك ، توجد بالدول الرأسمالية ، نسبة ضــئيلة من البطالة ، وهى غالبا من الفئات ذات الحظ القليل من التعليم٠

سمات الفلسفة التربوية فى الدول الرأسمالية :

لعل من أبرز سـمات فلسفة التربية فى هـذا النوع من الدول ، ما يأتى :

أولا - الديموقراطية فى توجيه التربية والتعليم :

ذلك ، أن الدول الرأسمالية ، تأخذ بمبادىء الديموقراطية فى اقامة الحياة التعليمية والتربوية فى مجتمعاتها ، وتوفير فرص التعليم لأبنائها ، وان اختلفت فى كيفية تنفيذ هـذه المبادىء من دولة الى أخرى ، تبعا لظـروفها ، ومقتضيات الحياة فى مجتمعها ٠

ففى الولايات المتحـدة الأمريكية :

ترى الدولة ، أن الديموقراطية يمكن تحقيقها عن طريق جعل أمور التعليم من اختصاصات الولايات ومسئولياتها ، حسبما تمليه ظروف كل ولاية دون ضغط عليها ، أو تدخل فى شئونها من قبل الحكومة الفيدرالية ، بل ان كل ولاية ، تترك للجهات المحلية حرية تطبيق سياستها التعليمية بمـا يتلاءم وظروف سكانها ٠

فالديموقراطية ، هى الحرية فى الممارسـات التربوية ، والتعليمية بغير ما قيود أو تسلط من الحكومة المركزية أو القومية للدولة ؛ فرسم سياسة التعليم ، ووضع البرامج ، والمناهج ، واقتراح الأنظمـة ، والأنشـطة ٠٠ الخ ، من مسئوليات مجلس الولاية ، ومجلس التعليم بها ، وكذلك ، المجالس المحلية المتفرعة منها ، وهى التى تخطط لأهـدافها التربوية ، وهى التى تعمل على تحقيقها بوسائلها التى تراها كفيلة ببلوغ مراميها ، ولعل هذا ، يؤكد قولنا ، ان التربية

الأمريكية تتميز بالكثير من الحرية ، وأن التعليم الأمريكى، يتميز بالتنوع ، والمرونة ، وأن نظمه لا تجـرى على وتيرة واحدة ، بل ، ولا تتشابه فى مستواها ، ونوعياتها ، ولكنها، تهدف (جميعها) الى تربية المواطنين الأمريكيين ، تربيـة، ديموقراطية ، متكاملة ٠

وينبغى ألا يفهم من ذلك ، أن الحكومة الفيدرالية للولايات الأمريكية ، بعيدة كل البعد عن سياسة التعليم فى هـــذه الولايات ، فالواقع ، أن هناك علاقات تنظيمية ، محددة بينها، وبين الحكومة على المستوى القومى ٠

وفى فرنســا :

ترى الدولة أن ديموقراطية التربية ، يمكن تحقيقها عن طريق قيام الحكومة (على المستوى القومى ، المركزى) على شئون التعليم ، واشرافها على مناهجه ، ومؤسساته ، عن طريق المتخصصين ، والفنيين ، والخبراء ، وكذلك ، التزام الدولة بتوفير التعليم ، ومجانيته لجميع المواطنين ٠

كما ترى الدولة فى فرنسا ، أن ديموقراطية التربية فى أن يتلقى أبناؤها قدرا ثقافيا مشتركا ، فى مراحل التعليـم العام ؛ فدراسة الناشئين لأصول حضـــارتهم ، وتراثهم الثقافى، الى جانب العلوم الحديثة، تدعيم للتماسك القومى، الذى تنشده الدولة ٠

وبالاضافة الى ذلك ، فان الحكومة ، تتيح الفرصة أمام المواطنين لمناقشة ، ونقد سياســـتها التعليمية ، ومناقشة ميزانية التعليم، وتكلفته، سواء من خلال المجلس التشريعى، أو السلطات المحلية ، أو الوسائل الاعلامية ، أو التقـارير التربوية التى تصدرها الهيئات المتخصصة فى شئون التربية والتعليم ،

على أن الهدف من ذلك ، هو الوصول الى ما هو أفضل دائما دون دعوة الى الانقسام ، أو الهدم أ أو النيل من ديموقراطية الدولة ، وتماسكها ، ففرنسا للجميع ، وليست لفئة معينة من المواطنين ٠

وفى استراليا :

ترى الدولة ، أن ديموقراطية التربية ، يمكن تحقيقها عن طريق ، تولى كل ولاية من الولايات الست ، المكونة لقارة استراليا ، شئون التعليم العام بها ، بحيث تكون هى السلطة العليا ، والوحيدة ، المشرفة عليه ، دون تدخل من السلطات المحلية ، على أن تترك أمور التعليم فى بعض المقاطعات ، وكذلك التعليم العالى للحكومة الفيدرالية المركزية ، وترى الدولة ، أن هذا التنظيم ، يكفل توفير الفرص التعليمية لجميع المواطنين ، سواء فى المدن الكبرى ، أو فى المناطق النائية غير المأهولة بالسكان ، والتى تتولاها الولايات بتقديم الخدمات التربوية ، والتعليمية اللازمة ٠

وفى انجلترا :

ترى الدولة ، أن ديموقراطية التربية ، يمكن تحقيقها عن طريق ، توفير فرص التعليم أمام جماهير المواطنين ، حيث تقوم الدولة ، كسلطة مسئولة عن التعليم ، برسم السياسة العامة له ، ووضع المبادىء الأساسية ، التى يمكن الافادة منها ، وذلك فى الاطار العام ، المناسب لحياة ، ومجتمع ، وطبيعة الشعب الانجليزى، على أنيترك تنفيذ هذه السياسة، وهذه المبادىء ، للسلطات المحلية ، بما لها من قدرة ، وهيمنة على توجيه التعليم ، طبقا لما تراه ، وفى ضوء ظروفها ٠

فالدولة ، عليها رسم السياسة التعليمية ، والعمل على اعداد المدارس ، وتوفير المعاهد ، والمنشئات التربوية ،

(سواء كانت حكومية رسمية ، أو خاصة ، حرة) وعلى أولياء أمور الناشئين ، الحاق أبنائهم بما يرغبـــون ، أو يختارون منها ٠

كذلك ، يرى الانجليز ، أن ديموقراطية التربية تتحقق فى اتاحة الحرية أمام السلطات المحلية فىاعداد المعلمين بالنظام الذى تراه مناسبا ، أضف الى هذا ، حرية المعلمين أنفسهم، ومديرى المدارس ، والمعاهد ، والمشرفين عليها ، فى اختيار مناهج الدراسة ، وطـــرق تدريسها ، وادارة مدارسهم ، ومعاهدهم ، وتنظيمها ، أيضا ، مما يعمـل على تنميتهم ، مهنيا ، وشخصيا ، فضلا عن الجو العام ، المشبع بالرضا ، والراحة النفسية ٠

تلك ، هى أنمـــاط متنوعة لفلسـفات تربوية معاصرة ، وهى ، وان اتفقت فى المفهوم ، الا أنها تختلف فى الأسلوب، والتطبيق ٠

ثانيا ـ الاهتمام بالتقدم العلمى والتطبيق التكنولوجى :

تقوم فلسفة التربية فى الدول الرأسمالية (المتقدمة) على ضرورة الاهتمام بالتقدم العلمى ، وتطوير العلم ، وتحديثه بما يتناسب ومتطلبات العصر الحاضر ، يساعدها فى ذلك، ما تملكه من اقتصاديات كبيرة ، ومتنوعة ، حيث تهتم هذه الدول باكتشاف ما هو جديد ، واختراع المبتكر ، وتطـوير الحياة فيها ؛ من أدوات ، وأجهزة ، وآلات ، ووسائل ، ٠٠ وهى تمزج الجانب الفكرى ، النظرى ، بالجـانب التطبيقى التكنولوجى ، وتعنى بالكيف ، عنايتها بالكم ، رغبة فى توفير حياة أفضل للانسان ، الفرد ، باعتباره وحـــدة المجتمع ، ودعامته ، على الدولة أن تهيىء له ما يجعله يستمتع بحياته، وينمى فيه القدرة على التفـكير السليم لخـــدمة نفســه ، ومجتمعه ، وينمى فيه النظرة الموضـوعية لواقع العـــالم المعاصر ، الذى يتسم بالتغير ، والتطور السريع ، مسـتعينة

فى تحقيق هذا ، بوسائط التربية فى المجتمع ، ومتخذة من مناهج التعليم وطرائقه سبيلا لتحقيق ذلك ، وان اختلف التنفيذ فى كيفه ، وحجمه ، من دولة رأسمالية الى أخرى ٠

بالاضافة الى أن أجهزة المجتمع ، وتنظيماته ، وما به من مؤسسات علمية ، وصناعية ، ومراكز بحث وتجريب ٠٠ تقوم بمهام كبيرة فى تأكيد ، وتنفيذ اهتمام الدول الرأسمالية بالعلم والتكنولوجيا ، اذ أنها تنظر الى التعليم على أنه القوة الديناميكية ، التى تعمل على تقدم المجتمع ، والمحافظة عليه، وأنه السبيل لتنمية مصادر الثروة البشرية اللازمة للتقدم الاجتماعى ، وهذه الثروة البشرية ذاتها ، هى التى تحول جهود الباحثين ، وكشوف المخترعين من فكر الى واقع ، ومن احتمال الى تطبيق ملموس (١) ٠

ثالثا - تنوع المؤسسات التعليمية الخاصة وحريتها :

من منطلق الديموقراطية ، والاهتمام بتوفير التعليم لأبناء الدول الرأسمالية ، تسمح هذه الدول بوجود المدارس الخاصة بها، ولا تمانع فىاقامة المدارس الطائفية، والدينية، ومعاهد التعليم التى يؤسسها الأفراد، أو تقيمها الجماعات، والهيئات الدينية أو المدنية ، وتكفل لها ممارسة العملية التعليمية الى جانب المدارس الرسمية وان كان هذا ، يختلف من دولة الى أخرى ؛ فبعض هذه الدول ، لا تتدخل فى شئون المدارس الخاصة التى تنشأ بها ، وتكفل لها حرية ممارسة الأنشطة التربوية كما ترى هى ، وبعضها ، يشترط ألا يقل مستواها العلمى ، عن نظيره فى المدارس الرسمية للدولة ، وهناك دول ترى ضرورة اشرافها على المدارس الأهلية

---

1) See : Haswell, Harold A. : Higher Education in the United States; Unesco, Educational Studies and Documents, No. 47, 1963, pp. 7, 8.

والحرة بها ، ومتابعة نظمها ، ومناهجها ، وهناك ، دول ترى ادراجها ضمن النظام التعليمى بها ، وتقدم لها بعض المعونات (البشرية والمالية) حيث تمدها بالمعلمين وتسهم معها فى تكلفة التعليم ونفقاته ، بينما توجد دول أخرى ، ترى ضرورة مطالبة أولياء أمور الملتحقين بالمدارس غير الحكومية بدفع الضرائب المخصصة للتعليم (١) ·

على أنه من الملاحظ أن المدارس الخاصة بالدول الرأسمالية ، تتفاوت فى درجة جودتها من نوع الى آخر ، ومن دولة الى أخرى أيضا ، فمنها ما يتمتع بسمعة علمية ممتازة ، (كما فى الدول الرأسمالية المتقدمة) ، ومنها ماهو متواضع فى خدماته التعليمية ، (كما فى الدول الرأسمالية المتخلفة) وتتراوح نسبة ما تسهم به المدارس غير الرسمية فى العملية التعليمية بالدول الرأسمالية ـ على وجه العموم ـ ما بين ١٢٪ ، ٢٥٪ من جملة عدد المدارس والمعاهد بها ·

رابعا ـ رعاية القدرات والافادة من طاقات المجتمع :

ذلك ، أن الدول الرأسمالية تتميز باهتمامها بالطاقات البشرية الموجودة فى مجتمعاتها ، وما دام الانسان الفرد ، هو محور الاهتمام فى هذه الدول ، وأنه الطاقة الكامنة وراء كل تقدم ، فان الدول الرأسمالية توجه عناية كبيرة للافادة منها ؛ فالنابغون أو المتفوقون فى دراساتهم أو أعمالهم ، تعمل الدولة على توفير الوسائل التى تمكنهم من تنمية قدراتهم ، ومواهبهم ، فهناك ، مدارس للمتفوقين ، ودراسات للمستويات الرفيعة ، والمتقدمة ، وبرامج تخصصية متنوعة ، وهناك ، مجالات عمل للفنيين والمهرة ، وهناك ، التجهيزات ،

---

1) Cramer, J.F., and Browne, G.S., Contemporary Education, A comparative Study of National Systems (N.Y., Harcourt Brace and World Inc., 1965), pp. 114 - 115.

والوسائل المعينة على الاكتشاف ، والتجريب ، والابتكار ، والدول الرأسمالية ، تعنى بالمعوقين ، والشواذ من أبنائها، عنايتها بالأسوياء ، والنابغين ، والمبرزين منهم ، فى المجالات المختلفة ، فهى تنشىء لهم المعاهد المتخصصة ، وتجرى من أجلهم الأبحاث ، والدراسات ، وتوفر لهم وسائل التعليم ، والتدريب المناسبة ، وتكفل لهم التوجيه العلمى ، والمهنى ، والنفسى ، وتؤهلهم للاسهام فى تقدم مجتمعاتهم بما لديهم من قدرات ، واستعدادات ٠

وتتضمن فلسفة التربية فى الدول الرأسمالية المتقدمة ، الاهتمام بتعليم الفتاة، ومساواتها بالفتى فى مراحل التعليم، وتوفر فرص العمل والانتاج للمرأة كما توفرها للرجل ؛ فالمرأة نصف المجتمع ، وهى الرئة الثانية له ، وهى زوجة ، وهى أم ، وهى عاملة ، ولكل منها أهمية فى حياة المجتمع ٠

والدول الرأسمالية ، ترى فى اهتمامها بتعليم المرأة ، اهتماما بتنشئة الأجيال تنشئة سليمة ، بالاضافة الى انشاء دور الحضانة ، ورياض الأطفال ، مما يوفر الوقت للمرأة العاملة ، الى جانب عنايتها بالطفولة ٠

والدول الرأسمالية ، تعود شبابها – منذ صباهم – على الاعتماد على النفس ، وأن يستقل الشباب عن أسرهم ، فيحاول الشاب كسب عيشه بنفسه فى سن مبكرة ، وبعد انتهائه من مرحلة تعليمية متوسطة ، فى كثير من هذه الدول، وله بعد ذلك أن يستكمل دراسته الجامعية ، أو العليا ، مع استمراره فى عمله ، فهو يرسم صورة مستقبله كما يراها هو، الأمر الذى يجعل الكثيرين يفسرون ذلك بأنه من سلوكيات التربية الاستقلالية ٠

والدول الرأسمالية ، تقتضى فلسفتها التربوية ، القضاء على الأمية، والتخلص من أشكالها، وصورها، وفى مقدمتها، أمية القراءة والكتابة ؛ فاهتمامها بالتعليم الابتدائى ،

وتوفيره لجميع مواطنيها ، لا يدع مجالا لانتشـــار الأمية ، بالاضافة الى درجة التقدم الحضـــارى الذى تتمتـــع به مجتمعات هذه الدول ، وبالتالى ، فان نسبة الأمية فيها ، هى أقل نسبة لها فى دول العالم المعاصر ٠

(٣) فلسفة التربية فى مجتمع الدول الاشتراكية

الدول الاشتراكية التى نعنيها هنا ، هى الدول التى تهدف الى تحقيق الشيوعية فى مجتمعاتها ، وتطبق الفكر الشيوعى فى نظم الحياة بها ، اذ تعتبـــر الماركسية ، اللينينية ، هى الأساس الفكرى عن قوام الحياة فى المجتمعات الاشتراكية، الشيوعية ، بما فيها من اتجاهات اجتماعية ، واقتصـــادية، وثقافية ، وتربوية ٠

كيف وجدت الفكرة الشيوعية المعاصرة ؟؟

ربما كان من أقوى الدوافع لاعتناق المبادىء الشيوعية فى العصر الحديث فى بعض دول العالم ، كما هو فى أوربا، وبخاصة فى الجانب الشرقى منها ، هو ما كان يسود أوربا فى أواخر القرن الثامن عشر (بعد قيام الثورة الصناعية، وازدهار الرأسمالية) من احساس بالقلق ، والاضـطراب الذى كان يسيطر على الفلسفة الأوربية حينذاك ، وعـــدم القدرة على مواجهة الحياة الجديدة بدون فلسفة جديدة ، قادرة على هذه المواجهة ومن ثم وجدت الفكرة الشيوعية ، ذلك أن الفيلسوف الألمانى هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١) هــو صاحب هذا الفكر ومؤسسه ، واليه يرجع تصميم وتخطيط النظرية الشيوعية ، ووضعها فى الاطار العام لها ، ثم تبنى هذه النظرية وبلورها ، ووضع تعاليمها ، ورسم مسارها كل من كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) وفردريك أنجلز (١٨٢٠ ـ ١٨٩٥) ثم قام بتنفيذها وتطبيقها فى الاتحاد السوفيتى، بعد قيام الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ فلاديمير لينين (١٨٧٠ ـ ١٩٢٤) ، ومن ثم عرفت الشيوعية طريقها بين دول أوربا الشرقية ٠

وقد كانت الظروف الاجتماعية ، والاقتصادية ، والفكرية، التى كانت تعيشها أوربا فى ذاك الوقت من العوامل التى

مهدت لظهور الفكر الشيوعى ، لا سيما بعد أن اضطرب الفكر البورجوازى ، ونضب معينه ، وأصبح قاصرا على الاستجابة لمتطلبات الحياة الجديدة ٠

وعندما قامت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ ، والتى تمثل التعبير الصادق عن المبادىء الماركسية ، اللينينية ، حاولت روسيا أن تستقطب اليها جانبا من الدول الأوربية ، وتتزعم العالم الشيوعى ، والحركة الشيوعية ٠

ولقد اعتنقت الشيوعية - الى جانب روسيا ، وبقية جمهوريات الاتحاد السوفيتى - دول أخرى ، أوربية ، وغير أوربية ، وان تفاوتت فى درجة تطبيقها لمبادىء الشيوعية ، واتجاهاتها ، وذلك ، وفقا لظروف كل منها ٠

صدى الفكر الشيوعى على أوضاع التربية :

كان للفكر الشيوعى (والنظرية الشيوعية) فى الدول الأوربية وغيرها من دول العالم التى اعتنقت الشيوعية ، صداه على العملية التربوية ذلك أنه من البديهيات أن التربية تتأثر بحياة المجتمع ، والاتجاهات العامة ، السائدة فيه ، سياسيا ، وفكريا ، واجتماعيا ، أو ما يعبر عنه بأيديولوجية المجتمع ٠

والتربية فى مجتمعات الدول الشيوعية ، ترجمة لأيديولوجية هذه المجتمعات ٠

والتى من أبرز أهدافها :

أولا ـ الاهتمام بالتربية الخلقية ،

كالاهتمـام بتعليم العلوم بتعليم العلوم ، أو اللغات ، أو التكنولوجيا ، أو غيرها من المجالات العلمية العامة ، ذلك أن الاهتمام الخلقية الاشتراكية، ينمى الاتجاهات الماركسية، ويعمق الفكر الشيوعى لدى النشء ، والشباب ، اذ تهتـم بالفرد فى نطاق واجباته الاجتماعية وتعمل على غرس حب العمل ، واحترام العمال فى نفوس التلاميذ ، والولاء للوطن الاشـتراكى ؛ ففى الولاء للأخـلاقيات الماركسية ، ولاء للاشتراكية ، وللحركة العمالية العالمية ، وتتضمن هذه القيم الأخلاقية ، قيما سياسية ، ينبغى تطبيع الناشـئين عليها ؛ فكثير من برامج التربية الخلقية ، تساعد على احترام العمل اليدوى ، كما أن التعليـم البوليتكنيكى يعتبر أحد وسائل تنمية الوعى الاجتماعى لدى الشباب وتقبلهم للنظم الأخلاقية التى تقوم على أسس اجتماعية اشتراكية (١) •

على أن الفلسفة الأخلاقية التى تسعى الدول الشيوعية الى غرسها فى معتنقيها هى الفلسفة المادية ؛ فالماركسـية تنظر للدين على أنه نوع من الخـداع ، وأنه يبعـد أنظار الانسان عن بحث مشكلاته الحقيقية ، وأنه «أفيون الشعوب» أى المخدر الذى تذوب فيه شخصياتهم، ومن ثم، تقوم حملات ضد الدين من وقت الى آخر ـ بأسلوب مباشر أو غير مباشر ـ فى معظم الدول الشـيوعية ، تسـتهدف استبدال الدين بمعيار أخلاقى آخر ، معيار اجتماعى ، مؤداه ، أن ما ينفع الانسانية ، هو المعيار الصحيح •

---

1) Suchodolski, Bogdan, Poland - A Statement of aims and achievements. In King E. J. (ed.) Communist Education, (London - Methuen, 1963, p. 243.

ثانيا – تنمية الاتجاهات المادية فى نفوس الناشئين :

وذلك من خلال ، ربط العلوم ، والتكنولوجيا ، والتعليم البوليتكنيكى بأهداف التربية السياسية ، والأخلاقية الاشتراكية ، بالاضافة الى ربطها بالنواحى الاقتصادية، والاجتماعية .

فالتدريب ، والتعليم يقومان على مفهوم علمى للعالم ، يقومان على الماركسية ، اللينينية ، وأنهما يلتصقان تماما بحياة الشعب ، ويقومان على أحدث المعارف فى العلوم .

كذلك ، فان التدريب ، والتعليم بالمدارس ، مرتبط بدراسة أساسيات العلوم وتطبيقاتها ، ويهدف الى العمل النافع ؛ اجتماعيا ، وبخاصة الانتاجى منه ، (١)

فالاهتمام ، والتركيز على العلوم ، قائم فى كثير من نواحيه على أسباب ، وموجهات أيديولوجية .

والمادية الجدلية ، هى الركيزة الأساسية للتربية الشيوعية ؛ فالشيوعية ترفض ثنائية العقل ، والجسم ، والروح ، والمادة ، والله ، والعالم الطبيعى ، وترفض كذلك، كل تفكير يهدف الى تفسير عالم الطبيعة بأنه ثمرة للنشاط الخالق كله ، تقوم به قوة أو سلطة روحية خارجية ، والمادة هى أساس الوجود كله، ومنبعه، وليست المعلومات المحفوظة فى مدارك الأفراد ، وأن الظواهر الطبيعية كلها ، هى مظاهر لمادة أساسية واحدة ، سائرة فى طريق التشكيل ، وأن الفرق بين طبقات الوجود بأنواعها ، يمكن ارجاعه الى الفروق فى تنظيم المادة ؛ فليس هناك اله ، وليست هناك مملكة غير مملكة الأرض ، وليس هناك عالم من الروح الخالصة .

---

1) Vocational Training in the German Democratic Republic. (German Institute for Vocational Training no date), p. 56.

ثالثا ـ ربط التعليم بأيديولوجية الدولة :

ذلك ، أن الشيوعيين ينظرون الى التعليم باعتباره عاملا فعالا فى بناء المجتمع الاشتراكى؛ فعن طريقه ، يزود الشباب بالمعارف الأساسية ، وبالقيم الاشتراكية ، وتتخذ لتحقيقها أساليب تعليمية ، متنوعة ؛ من بينها ، تعريف النشء ، والشباب بالنظرية السياسية، وتطبيقاتها العملية، عن طريق المواد الدراسية المختلفة ؛ فالمواد الاجتماعية ، لها دلالتها السياسية، وتوجيهها السياسى، وعلوم الزراعة، والصناعة، والتعدين ، لها دلالتها على تقدير العمل ، والعمال ، وتقدير كفاحهم من أجل المجتمع الاشتراكى ،

ودراسة علوم الاحياء ، والطبيعة ، والفلك، تشجع النشء على فهم واقع الحياة ، بعيدا عن الفهم الغيبى لوجود الكائنات ، وصلتها بالخالق وأسرار الوجود ، مما يرسخ الأيديولوجية الشيوعية فى نفوس الشباب ، والتى لا تعترف بوجود خالق للكون ·

ودراسة الآداب ، تهدف الى التفاهم العالمى ، والشعور بالوحدة الانسانية ،

ودراسة الجغرافيا ، تهدف الى تشجيع الأخوة بين شعوب الأرض ، وتفهم المشكلات الاقتصادية ، ومشكلات القوميات المختلفة ·· وهكذا على أن الدراسات المتعلقة بالفلسفة الماركسية ، اللينينية ، تعتبر جزءا أساسيا من مقررات الدراسة فى المنشئات التعليمية العالية ، فى معظم الدول الاشتراكية ، الشيوعية ·

وبصفة عامة ، يمكن اعتبار التعليم ، ليس وسيلة للتثقيف فحسب ، ولكنه ، يستخدم أيضا ، لتحقيق الهدف الأساسى للاشتراكية ، وهو تغيير حياة الانسان ·

وقد وصف لينين (فى بعض أقواله) الدين بأنه « أحد المظالم الروحية ، التى يئن منها الناس فى كل مكان ، وانه يعلم (العامل الفقير المستغل) الاستسلام ، والصبر فى الحياة على هذه الأرض ، ويغريه بأمله فى الجزاء فى الحياة الآخرة » (١) ٠

وكان لينين ، يرى أن الدين ليس الا طائفة من الخرافات، ابتكرها المستغلون بما أوتوا من دهاء ليفرضوا العبودية الأبدية على من يستغلوهم ٠

---

(١) جورج كاونتس - التعليم فى الاتحاد السوفيتى - ترجمة محمد بدران - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٩ ص ٦٥

رابعا ــ التربية السياسية للنشء والشباب :

وذلك من خلال ما تقيمه هـذه الدول الاشتراكية من تنظيمات ذات طابع سياسي فى أهدافها ، وبرامجها ، وان اختلفت مسمياتها من دولة الى أخرى ، مع اتفاقها جميعها فى طبيعتها ، وغرضها ، ومن هذه التنظيمات :

(أ) منظمات الصغار (أو الاكتوبرست) :

وتضم الأطفال فى سن المرحلة الابتدائية وحتى سن العاشرة أو نحوها ٠

(ب) منظمات الرواد (البيونيرز) :

ويلتحق بها النشء من سن العاشرة الى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ٠

(جـ) منظمات الشبيبة (الكومسومول) :

ويلتحق بها الشباب من سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة وحتى نحو الخامسة والعشرين أو الثلاثين ٠

ويتصل عمل هـذه المنظمات ، اتصالا وثيقا بالعمل فى المدارس ، والمعاهد ، والجامعات ، بالدرجة التى يمكن اعتبارها جزءا من النظام التعليمى ،

وهى منظمات سياسية صغيرة ، ويظهر دورها السياسى فى دساتيرها ، وشعاراتها ، كما أنهـا على صلة وثيقة بالأحزاب الشيوعية ، والعمالية ٠

ومنظمات التربية السياسية فى الدول الاشتراكية ، غالبا ما تشكل على النمط السوفيتى ،

فهنــاك مثــــلا :

« رابطة الشعلات للأطفال » فى تشيكوسلوفاكيا ،
و « رابطة الشباب الشيوعى » ، فى المجر ،
و « رابطة ديمتروف للشباب الشيوعى » فى بلغاريا ،
وهكذا ٠

أما نشاط هذه المنظمات ، فلا يشكل الجانب السياسى كل ما تقوم به من أعمال ، فبالاضافة الى ذلك ، فانها تقوم أيضا بتنظيم ألوان النشاط ، والجمـــاعات الثقـــافية ، ونوادى الرياضة ، والمعسكرات ، ٠٠٠ الخ وهى فى هذا ، تماثل ما تقوم به فرق الاشبال ، وجماعات الكشافة ، والجـــوالة ، والرواد ، والزهرات ، والمرشـــدات ، وكذلك ، جمـــاعات الخدمات للشباب ، وغيرها ٠

خامسا ـ المساواة بين الفتى والفتاة فى التعليم :

ويتضح ذلك ، من حرص الدول الاشتراكية على ضرورة تعليم الفتاة الى جانب الفتى ، واتاحة فرص التعليم أمامها فى كل المراحل التعليمية ، فهى تأخذ بمبـدأ المســاواة بين الجنسين ، مثلها فى ذلك ، مثل المســاواة بين الأجناس ، والقوميات ،

فقانون هذه الدول ، يحرم أى لون من ألوان التفـــرقة بين البنين والبنات ، ويرفض مجرد الفكرة أن للمرأة دورا أقل من الرجل فى المجتمع ، ويعتبر هذا ، تراثا باليا من النظـــم الاجتماعية القديمة ٠

وقد رفض المربون الاشتراكيون، الأخذ بسياسة «المدارس المنفصلة» ويطالبون دائما بسـياسة « المدارس المشتركة » بين الذكور والاناث ٠

ويرى البعض أن سياسة الاختلاط بين الجنسين ، تقوم على أسس عملية ؛ منها :

- أن انشاء مدارس منفصلة للبنين ، وأخرى للبنات ، أمر مكلف ، وغير عملى ، وبخاصة فى المدن الصغيرة ، والقرى ٠

- أن وجود هذه المدارس ، يقلل من المشكلات الجنسية لدى الجنسين ، فالتعود على الدراسة الثنائية منذ الطفولة، يجعل كل جنس منهما ينظر الى الآخر على أنه مجرد انسان ٠

- أن هذا الاختلاط فى مراحل التعليم ، تدريب عملى على التفاهم ، والاحترام المتبادل بين الجنسين (١)

- أن النظام الموحد للجنسين ، يقلل من الجهد الذى يبذل فى تخطيط البرامج ، والاعداد لها ٠

وعلى ذلك ، فان البنين والبنات يذهبون الى مدارس مشتركة ، ويجلسون فى فصول مشتركة ، ويلتحقون بمنظمات مشتركة ، وأمامهم فرص تعليمية مشتركة فى جميع المراحل٠

هذا ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، فانه يبدو من سياسة الدول الاشتراكية ، أنها تشجع النساء على أن يصبحن زوجات ، وأمهات ، وأن يعملن فى نفس الوقت ، وأن المرأة، ليس لها أن تختار بين الزواج والعمل ، لأن عليها أن تجمع بينهما ، مع اختلاف أسلوب التنفيذ ، وحجمه من دولة اشتراكية الى أخرى ٠

---

1) Grant, N. Soviet Education. (London University Press, 1965), pp. 40 - 41.

تعقيب :

الواقع ، أنه بدراسة الأهداف السابقة ، نلمس بوضوح مدى اهتمام الدول الشيوعية بشئون التربية ، اذ يعتبرونها السبيل المباشر لنشر أيديولوجيتهم ، وأفكارهم ، وأنها الطريق لتحقيق غاياتهم ، والوصول الى التقدم الذى ينشدونه ، ويؤكد هذا ، ما نادى به ، وروج له ، زعماؤهم ، ومربوهم ، من أمثال :

لينين، وكروبسكايا، وستالين، وماكارنكو، وخروشوف، وغيرهم ٠

ومن أجل هذا ، فان الدول الاشتراكية الشيوعية ، تولى التعليم اهتماما كبيرا بما فى ذلك ؛ أساليبه ، وتنظيماته ، ومناهجه ، ونوعياته ، بل وكل ما يدور فى المجال التعليمى والتربوى ، لأنها ترى أن التربية ، سلاح بتار فى (قضية الشيوعية) ، وللتعليم قدرة فى احداث التغيير الفكرى ، والاجتماعى لدى الجماهير ، وفى بناء المواطن الاشتراكى،

ولقد نبه « ستالين » منذ أكثر من خمسين عاما (سنة ١٩٢٨) الى أهمية العلم والتعليم للدول الاشتراكية ، أثناء انعقاد المؤتمر الثامن لاتحاد الشباب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ، فى مايو من ذاك العام ٠

ومما جاء فى عباراته التى يخاطب بها الشباب ، حينئذ، قوله :

ان أمامنا حصنا ، وهذا الحصن يسمى علما ، وهو ذو فروع من المعارف ، مختلفة ، ولابد لنا من الاستيلاء على هذا الحصن ، مهما بذلنا فى سبيل ذلك من الجهود ،

وعلى الشباب أن يقتحم هذا الحصن ، اذا أراد الشباب

أن يكون هو الذى يبنى حياة جديدة ، واذا شاء أن يكون هو البديل الحقيقى من الحرس القديم .

ان اتقان العلوم ، وخلق الطائفة الجديدة من الاخصائيين البلاشفة فى جميع فروع المعـــرفة ، والدرس ، والدرس ، والدرس ، والدرس بعناد ، واصرار ، هـــذا ، هو الواجب الجديد ،
وان زحف شباب الثورة نحو العلم ، لهو الذى نحتاجه الآن أيها الرفاق » . (١)

والحقيقة ، أنه لولا ما أنشأه البلاشفة من هيئات تعليمية واسعة النطـــاق ، لما كان لهـم من القـوة فى العـالم ما يستمتعون به اليوم .

سمات الفلسفة التربوية فى الدول الاشتراكية :

بعد أن تناولنا - فى ايجاز - واقع الفكرة الشيوعية ، ومدى اتخاذ التربية وسيلة لتحقيق أهـــدافها ، ومراميها ، يمكننا أن نوضح - فيما يلى - أهم سمات الفلسفة التربوية، التى تنتهجها الدول الاشتراكية الشيوعية ، وذلك على النحو التـــالى : (٢)

(أ) الاهتمام بالعمل من أجل المجتمع ، مع ربط التعليم بمواقع العمل ، والانتاج ، والتدريب ، مما يغرس فى نفوس النشء حب العمل ، واحترام العمال .

(ب) الاهتمام بالتربية البوليتكنيكية ، الشاملة لجوانب المعرفة ، مع التطبيق العملى لاعداد الشـــباب للعمـل فى

---

(١) جورج كاونتس - التعليم فى الاتحاد السوفيتى - مرجع سابق - ص ٢٣٨

(١) انظـــر :
د. وهيب سمعان - التعليم فى الدول الاشتراكية - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٢ .

مجتمعاتهم ، ولتأكيد التماسك الاجتماعى بين أبناء الشعب الواحـد ٠

(جـ) امتزاج التربية الخلقية بالتربية الأيديولوجية ، مع العناية بالنظام فى حياة المجتمع ، مما يعاون فى تشـكيل الاتجاهات ، والسلوك لدى النشء والشباب ٠

(د) التربية السياسية للشعب ، عن طـريق التنظيمات الجماعية ، والنقابات المهنية فى الدولة ، وكذلك تربية الجنود أثناء وجودهم فى الخـدمة ، وتعليم من فاتهم ركب التعليم فى صـغرهم ٠

(هـ) توجيه التعليـم ، وجهـة مركزية ؛ فى تخطيطه ، ومناهجه، وادارته، وفقا لسياسة الحزب الشيوعى الحاكم، الذى يوليه رعايته ٠

(و) احتـكار كل أنواع التعليم ، ومراحله ، مع عدم السماح بوجود أو انشاء مدارس خاصة ، أو طائفية يديرها أفراد أو جماعات ، فلا طبقية ، ولا تمايز بين أبناء الشعب فى الدول الاشتراكية ، وحتى الموهوبين والمتفوقين قلمـا توجد لهم مدارس خاصة لرعايتهم ٠

(ز) التأكيد على دراسة ، وتطبيق النظرية الشيوعية ، مع عدم السماح بتدريس الدين ، أو انشاء المدارس الدينية بأنواعها ٠

(فيما عدا نسبة ضئيلة من الدول الاشتراكية كما فى بولندا ، حيث توجد بعض المدارس الدينية ، الخاصة، ولكن الدولة تشرف عليها) ٠

(ح) العناية بتعليم البنات ، لأسـباب ، اقتصـادية ، واجتماعية ، وتربوية ، مع مسـاواة المرأة بالرجـل ، فى الحقوق ، والواجبات ٠

وكذلك ، توفير الرعاية للصغار بانشاء دور الحضانة ، ورياض الأطفال ، مما يتيح الفرصة أمام المرأة للعمل ، والاسهام فى انتاجية المجتمع، فضلا عن الاهتمام بالطفولة ٠

وقبل أن ننهى حديثنا عن فلسفة التربية فى الدول الاشتراكية ، نود أن نقول :

لئن كانت الدول الرأسمالية فى فلسفتها التربوية ، تهدف الى رفاهية الفرد وحريته ، فان الفلسفة التربوية للدول الاشتراكية تهدف الى عدم استغلال الفرد ، ولكنها فى ذات الوقت ، تفرض القيود على حريته ، لكى يكون دائما فى خدمة الحزب الحاكم ، والهيئة الحاكمة ، وهى تهدف الى تحقيق حياة انسانية لجماهير الشعب ، ولكنها لا تصل الى حد الرفاهية ، فالفكرة الشيوعية ، تعتبر رد فعل للنظام الاقطاعى والارستقراطية ، وتعمل على تقويضها فى المجتمعات ٠

واذا كانت الدول الرأسمالية،تسمح بالملكية الفردية، والتى منها حق الأفراد والجماعات فى انشاء وتأسيس المنشئات التعليمية ، فان الدول الشيوعية تحرم ذلك ، حيث تسود الملكية الجماعية للدولة٠واذا كانت الدول الرأسمالية تسمح بوجود الطبقات الاجتماعية فى مجتمعاتها ، فان الدول الشيوعية لاتسمح بها ، بل وتحارب فكرتها ٠

ولئن كانت الدول الرأسمالية تبيح قيام التنظيمات ، والمؤسسات ، العلمية ، التثقيفية ، والاعلامية بحرية كاملة ، فان الدول الاشتراكية الشيوعية ، تخضع كل هذه النوعيات (بل وحتى المؤسسات الترويحية) لسيطرتها ، ورقابتها ٠

وبالرغم مما سبق عن فلسفة التربية وأوضاعها فى الدول الاشتراكية الا أن ماحدث فى السنوات القليلة الماضية ومايحدث الآن فى بعض هذه الدول من هزات سياسية ومحاولات سياسية ومحاولات للتغير الاجتماعى وهو ما يطلق عليه مصطلح اعادة بناء أو تنظيم (بروستورويكا) قد يكون له أثره ــ من قريب أو بعيد ــ على اتجاهات التربية ونظم التعليم بها ٠

والمستقبل وحده هو الكفيل بكشف ذلك ، وما يتمخض عنه ٠

(٤) فلسفة التربية فى مجتمع الدول النامية

ـ الدول النامية ، التى نعنيها هنا ، هى الدول التى لم تنل بعد حظا كبيرا من التقدم العلمى ، والرخاء الاقتصادى ، والرقى الاجتماعى ، بما يكفل لها الوقوف فى مصاف الدول المتقدمة فى هذه المجالات بالنسبة لعالمنا المعاصر .

هذه الدول :

والدول النامية ، تمثل نحو ٦٥٪ من سكان العالم ، وتقع فى قارتى آسيا (باستثناء اليابان) ، وافريقيا ، وكذلك دول أمريكا اللاتينية ، مع اختلاف هذه الدول فى درجة التخلف، أو سعيها نحو التقدم .

ويميل البعض الى استخدام اصطلاح «دول العالم الثالث» على هذا النوع من الدول ، باعتبار وجود عالمين آخرين ، يمثلان التقدم فى العصر الحاضر ، هما : الدول الرأسمالية، والدول الاشتراكية الشيوعية .

ومجتمعات الدول النامية ـ فى معظمها ـ لم تصل بعد، مواردها البشرية الوطنية ، الى مرحلة الكفاية الذاتية ، ولهذا ، فهى فى حاجة مستمرة الى عون خارجى ، واستعارة المهارات من الخارج ، لدفع عجلة التقدم فيها الى الأمام ، اذ تفتقر الى القوى البشرية ذات المستويات العالية فى التدريب ، والخبرة ، والمعرفة ، والابتكار ، ومن أجل هذا ، فهى تستعين ـ فى سبيل تقدمها الاقتصادى والاجتماعى ـ بالقوى البشرية العالية المستوى ـ من غير مواطنيها ـ فى عدد غير قليل من التخصصات ، والمراكز الرئيسية بالمؤسسات الهامة ، العامة منها ، والخاصة ؛

فقد يكون لدى بعض الدول النامية ، موارد اقتصادية

ضخمة ، كمؤسسات انتاج البترول ، وتكريره ، أو مؤسسات التعدين وغيرها ، ولكنها ، لا تعدو كونها مواقع ثروة مقفلة فى مجتمعات تقليدية ، لا تستخدم الا أعدادا ضئيلة من القوى البشرية التى تعيش فيها (١) ٠

ذلك ، أن هذه الدول ، تعانى من نقص شديد فى معظم فئات القوى البشرية العالية المستوى فى قطاع الفنيين ، وشبه الفنيين ، وكبار الصناع المهرة ، بينما يعمل ما يقرب من ثلث ما يوجد بها من القوى البشرية ذات المستوى العالى فى الوظائف الحكومية بصفة عامة ، وفى مهنة التعليم بصفة خاصة ؛

فالوظائف الفنية العملية كالهندسة ، والطب ، تكاد تكون معدومة أو على الأقل بنسبة ضئيلة فى بعض الدول النامية٠ الاخـــرى ٠

ويبدو أن كثيرا من أبناء هذه الدول ، يفضلون الوظائف، والأعمال الادارية ، والمكتبية على الاعمال الفنية ، وربما كان هذا من رواسب عهود ماضية ، كان ينظر فيها الى الوظائف الادارية نظرة اكبار وتقدير ترتبط بالسلطة ، والنفوذ ، اذا قورنت بالعمل الآلى أو الفنى ، أو الذى يحتاج الى مجهود بدنى ٠

وبالرغم مما تعانيه الدول النامية فى عالمنا المعاصر من ظروف اقتصادية واجتماعية قاسية ، سواء كان لتعرضها لضغوط سياسية استعمارية ، أو ضغوط اجتماعية قاهرة، أو لضعف فى مواردها ، وتخلف فى تعليمها ، فان ذلك ، لا ينفى وجود حضارات قديمة ، سابقة فى كثير منها ، كما كانت — ولا تزال — فى دول المشرق العربى ، وفي دول شمال

---

(١) د٠ محمد زكى شافعى — التنمية الاقتصادية — معهد البحوث والدراسات العربية — جامعة الدول العربية — القاهرة ١٩٦٦ — ص ٢٣

أفريقيا ، وايران ، والصين ، والهند ، وغيرها ٠٠ ثم تعرضت لتلك الظروف ، وبالتالى ، تأثرت بها ، وغيرت من وجه الحياة فيها ٠

ماذا فى مجتمعات هذه الدول ؟

من الدراسات الموضوعية ، الهادفة لواقع مجتمعات الدول النامية ،

يلاحظ ما يأتى :

- تزايد نسبة السكان ، نتيجة لارتفاع نسبة المواليد ، وساعد على ذلك ، قلة فرص العمل أمام المرأة ، بالاضافة الى بعض الظروف الاجتماعية ٠
- غلبة التقاليد القديمة ، وسيطرة النزعة المحافظة ، والتمسك ببعض العادات التى لا تساير العصر ، ولا تواكب التطور ، ولا تتناسب مع تقدم العلم ، وتغير المفاهيم وتحديث الفكر ٠
- انخفاض المستوى العام للمعيشة فى معظم هذه الدول ، نتيجة لضعف المواد الاقتصادية ، أو لعدم استغلالها ٠
- انخفاض متوسط دخل الفرد ، بصفة عامة ، مع وجود طبقة متوسطة ، قليلة (بالنسبة للمجتمع كله) ٠
- انخفاض مستوى التعليم ، نتيجة لانخفاض المستوى الاقتصادى أو انخفاض الوعى الاجتماعى ، أو الخضوع لمؤثرات سياسية سابقة ٠
- ارتفاع نسبة الأمية ، نتيجة لعدم استيفاء مرحلة الالزام فى التعليم ، لقلة الاعتمادات المالية بالاضافة الى ضعف

القوى البشرية الموجهة لسياسة التعليم وضآلة خبرتها .

- تخلف تعليم الفتاة، نتيجة لبعض التقاليد، كالزواج المبكر، وتفضيل تعليم الذكور على الاناث ، الى جانب ضعف الامكانيات ، مما ترتب عليه ، تخلف المرأة بصفة عامة ، فكريا ، وثقافيا ، واجتماعيا ، ولهـذا أثره على تربية النشء .

- الاضطرار الى اتباع سياسة الاقتراض (ماليا) والاستعارة (بشريا) من الدول المتقدمة لتغطية متطلبات التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية .

- التبعية الاقتصادية (كما فى شئون الصناعة والتصنيع)، نتيجة لانخفاض المستوى الاقتصادى ، أو لعدم القدرة على توجيه وسائل الاستثمار .

- ضعف الانتاج الصناعى - بصفة عامة - مع وجود انتاج محلى ، قليل ، وردىء فى معظمه ، نتيجة لضعف الخبرة، وهبوط مستوى الاعداد ، والتدريب .

- انتشار البطالة (الى حد كبير) وذلك لضآلة حجم العمالة المتاحة ، ونتيجة لضعف الموارد الاقتصادية ، وضيق مجالات العمل ، مع انخفاض الأجور للفئة العاملة .

- استغلال الأطفال اقتصاديا ، وذلك بتشغيلهم فى بعض الأعمال أو الحرف ، رغبة فى تعجل الزيادة فى دخل الأسرة ، مما يفوت عليهم فرص التعليم ، أو اكمال مرحلته الأولى ، وبالتالى يزداد رصيد الامية .

تحليل موجز لبعض مشكلات المجتمع فى الدول النامية

نتيجة لأوضاع المجتمع فى الدول النامية ، نجدها تعانى من مشكلات متعددة ،

فى مقدمتها .

(١) بطء النمو الاقتصادى :

ذلك ، أن كثيرا من الدول النامية يعتمد نموها الاقتصادى على تطوير الزراعة ، وتربية الماشية ، وصيد الأسماك ، وما شابه ذلك ، الى جانب صناعات قليلة محدودة ؛ فهى بعيدة عن التصنيع الحديث بأساليبه ، ومقوماته الحديثة .

واذا عرفنا أن معظم سكان هذه الدول ، ريفيون ، أو بدو، وأن غالبيتهم يعملون فى انتاج أقواتهم ، ومنهم قلة يعملون فى انتاج بعض المحاصيل ، وفى الزراعة ، لوجدنا أن هذه الدول ينقصها الأسواق ، وتنقصها المعرفة ، علاوة على احتياج كثير منها الى رأس المال .

ولما كان التصنيع اساسا هاما من أسس التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، الا أنه أمر مكلف ، وله متطلباته ، ومن ثم ، فان الدول النامية لا تستطيع توفيره فى بلادها الا بعد مشقة، وعناء باستثناء الدول النامية المصدرة للمواد الخام ، فان النمو الاقتصادى بها ، لا يتأتى عن طريق التصنيع ، ولكن عن طريق عوامل أخرى ، غير ناتجة عن العمل .

وربما كان من أبرز مظاهر التخلف الاقتصادى فى الدول النامية ، هو انخفاض نصيب الفرد من اجمالى الدخل القومى السنوى ، انخفاضا كبيرا بالقياس الى الدول المتقدمة .

واذا وضعنا فى اعتبارنا أن الدول النـــامية تعانى من انفجار سكانى أو زيادة رهيبة فى أعداد السكان ، فان هذه الزيادة قد تقضى على معظم جهودها للقضـــاء على التخلف الاقتصـــادى ؛ فزيادة الســـكان تأكل الزيادة فى الانتاج وتلتهمها ، وبالتالى ، ينخفض مستوى دخل الفـــرد ، ومن هنا ، يتعين على هذا النوع من الدول ، ضرورة ضبط النمـــو السكانى ، مع توجيه الجهود ، والاســـتفادة من الطاقات البشرية بها ٠

(٢) فائض العمالة أو البطالة المقنعة :

ذلك ، أنه من سمات الدول النامية ، الارتفاع الشديد فى معدلات المواليد ، والانفجار السكانى (كما سبق أن ذكرنا) حيث تتراوح نسبة المواليد فيها مابين ٤٪، ٥ر٤٪ من سكانها سنويا ٠

بينما تتراوح هذه النسبة فى الدول المتقدمة ، ما بين ٢٪، ٣٪ سنويا فهذه الاعداد المتزايدة سنويا فى ســـكان الدول النامية ، تستتبع توفير فرص التعليم ، والعمالة فيها ٠

ولما كان النمو الاقتصادى بطيئا ــ الى حد كبير كمـــا أسلفنا ــ فى الدول النامية ، وأن الاقتصاد ، هو الذى يمكنه احداث تغييرات فى هيكل العمالة بالدولة ،

لذلك ، فان التعليم ، وما ينتجه من قوى بشرية مدربة ، يتوقف ــ بالدرجة الأولى ــ على حجم الاقتصاد ، وتوظيفه أو استثماره فى خدمة المجتمع ٠

على أنه ــ فى السنوات القليلة الماضية ــ لوحظ وجـــود بعض الظواهر فى مجتمعات الدول النامية ، من بينها :

ــ تناقص عدد العاملين فى مجال الزراعة ، نتيجة الانتقال

من الاقتصاد الزراعى الى الاقتصاد الصناعى ، وبالتالى تزايد عدد العاملين فى مجال الصناعة ٠

- تناقص نسبة من يمارسون أعمالا يدوية أو بدنية ، وتزايد نسبة من يمارسون أعمالا آلية أو ميكانيكية ٠

- تناقص نسبة العاملين فى قطاع الانتاج ، وزيادة نسبة العاملين فى قطاع الخدمات ٠

- تلاشى أو زوال بعض المهن الحرفية ، وظهور أو وجود مهن حرفية ، أو صناعية جديدة أو بديلة ٠

- تزايد الطلب على العمال المهرة والفنيين ، وكذلك، ارتفاع مستوى التعليم والمهارة للقوى العاملة ٠

ولكن ماذا حدث ؟

من المعروف ، أن هذه الظواهر أو التغييرات ، من شأنها احداث توازن بين التعليم والقوى العاملة ، وبين حاجات المجتمع ومتطلباته ، أو هكذا ينبغى أن يكون ، بحيث ينتج من التعليم ، قوى أو مخرجات ، ولكن الواقع الملموس ، يخالف ذلك لأسباب كثيرة ؛ منها ، التوسع العشوائى فى مجال التعليم العام ، النظرى والفنى أو المهنى ، ومنها عدم الالتزام بالتخطيط المسبق لمجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدولة ، ومنها ، الطموح المتعجل للوصول الى غايات ، ينبغى الاعداد لها ، وتحقيقها تدريجيا ، وليس عن طريق الطفرة أو الهرولة ،

ومن هنا ، وجدت مشكلة الفائض عن العمالة اللازمة ، ووجدت مشكلة بطالة المتعلمين نتيجة الفائض عن العمل أو التوظيف ، وهذا ، ما يعبر عنه بالعملية الاستهلاكية فى التعليم ، أى أن التعليم الذى يقدم ، لا عائد له ، فهو يستهلك

بلا نتيجة أو مخرج ، بالرغم من حرص الدول النامية على توفيره لأبنائها ، ومحاولتها الانفاق عليه بأقصى حدود امكانياتها ، أملا في تحقيق التقدم ٠

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة ، وما تستلزمه من آلات وأجهزة تحل محل الانسان فى كثير من أعمالها ، أسهمت بدور غير قليل فى ايجاد الفائض من العمالة وكذلك ، الهجرة المستمرة من الريف الى المدن ، حيث تتركز مجالات الصناعة والتصنيع ، وتكثر فرص العمل كما تتراءى لأبناء الريف ، حتى اذا ما احتكوا بواقع الحياة فى المدينة ، تبددت أمالها البراقة فى الحصول على ما يشتهون من أعمال ، وبرغم هذا ، يفضلون البقاء فى المدينة عن القرية ، ويمارسون ما يصادفهم من عمل ، وبالتالى يتحول كثير من المدن الى قرى كبيرة ، تنتشر فيها أحياء فقيرة ، تكاد تماثل فى مستواها الاقتصادى ، بل والحضارى مستويات القرى ، فهؤلاء الذين يمارسون بعض الحرف البسيطة فى المدن ، كالباعة المتجولين يمثلون صورة للبطالة المقنعة ، وصغار الملاك فى الريف ، يمثلون صورة للبطالة المقنعة أيضا ، أو العمالة غير الكاملة ، فهى مرحلة أو وضع بين العمل واللاعمل ٠

وسواء كانت البطالة مقنعة أو سافرة ، فانها تمثل مشكلة فى الدول النامية ، وان اختلفت نسبتها من دولة الى أخرى٠

(٣) تخلف مكانة المرأة :

من الملاحظ ، أن كثيرا من مجتمعات الدول النامية ـ لا تزال تعيش حياة بسيطة ، بأساليبها ، وتقاليدها القديمة،

ولكن هذا ، لا ينفى وجود مستحدثات عصرية فى طائفة من هذه الدول ، فقد نشأت اقتصاديات حديثة ، نمت فى

كنفها المدن ، والتخصص ، والاحتــراف ، وتعميم حــق الانتخاب ، ومفهوم موسع للقومية ، وحدث مع هذا ، جنبـا لجنب ، تغييرات اجتماعية ، عميقة ، لا تزال – مع ذلك – فى حالة تأرجح بين القديم والحديث ، ويعتبر مركز النساء فى مجتمعــاتهن ، وبلادهن من أهم ما تنــاولته التغييرات الاجتماعية (١) ٠

على أن الفرص المتــاحة للمرأة لتتلاءم مع الاتجـاهات الجديدة ، والانتفاع بها ، لا تزال أقل من الفرص المتــاحة للرجل ، ولعل هذا ، يعزى الى بعض الضغوط الاجتماعية، فالنساء حافظات الأسرة ، وحارساتها كما أن حركتهن أقل من حركة الرجال ، لا سيما فى الدول النامية ، أما عن تعليم المرأة فى هذه الدول ، فلا يزال متخلفا – بدرجة ملحوظة – عن نظيره فى الدول المتقـــدمة ، ويؤكد ذلك ، الاحصائيات التعليمية لعدد كبير من الدول النامية ، حيث تبين بوضــوح مدى تخلف تعليم المرأة عن تعليم الرجـل ، حتى فى أبسـط صوره ، وهو القراءة والكتابة ٠

وهذا التخلف ، ليس مرده الى ضعف الاعتمادات الماليــة المخصصة لتعليم البنات فحسب ، ولكن ، هناك أيضا اعراض كثير من الأبوين فى هذه الدول عن السماح لبناتهم بالتعليم على نفس مستوى الأبناء ، بل وقد يكون هناك اعراض عن التعليم من جانب البنــات أنفسهن فى بعض البيئــات ٠ بالاضافة الى أن كثيرا من الأسر ، تفضل متابعة تعليم الذكور والانفاق عليه دون تعليم الاناث ، فالفكرة السائدة لديهم ، أنه ما دامت الفتاة ، مصيرها الحتمى ، هو الزطاج ، فأى زيادة فى تعليم الفتيات، ستذهب سدى٠ وتشير الاحصائيات الحديثة ، الى أن نسبة الأمية بين النساء فى العالم المعــاصر على النحو التالى :

---

(١) جامعة الدول العربية – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – التـربية وبناء الامة فى العالم الثالث ، القاهرة سنة ١٩٧٧ ص ١٨٠

فى أمريكا الشمالية = ٩ر١٪ ، فى أوربا = ٧ر٤٪ ، فى أمريكا اللاتينية = ٣ر٢٧٪ ، فى افريقيا (بصفة عامة) = ٧ر٨٣٪، فى العـالم العربى = ٧ر٨٥٪، فى آسيا = ٦ر٥٦٪

أما نسبة النساء العاملات ، فهى :
فى الدول المتقدمة = تتراوح بين ٣٠٪ ، ٤٠٪ ٠
فى الدول النامية = تتراوح بين ٣٪ ، ٤٪ ٠

(٤) انتشار الأمية :

تشير الاحصائيات الواقعية الى أن نسبة الأمية فى الدول النامية ، نسبة عالية ، الأمر الذى يهدد مستقبل هذه الدول باستمرار هذه النسبة ، ولعل كثيرا من المشكلات التى تعانى منها الدول النامية فى عالمنا المعاصر ، ترجع أسبابها الى الأمية التى تقاسيها بنوعياتها ، سواء كانت أمية هجائية (عدم القراءة والكتابة) أو أمية اقتصادية (الجهل بوسائل الاستثمار وترشيد رأس المال) ، أو أمية اجتماعية حضارية (التمسك بالعادات القديمة ، والتقاليد البالية) ، أو أمية صحية (عدم المحافظة على الصحة ، ورعاية جسم الانسان وطاقاته) أو أمية دينية (عدم فهم الدين فهما صـــحيحا ، عقيدة ، وخلقا ، وسلوكا) أو أمية سياسية (عـــدم ادراك الحقوق والواجبات تجـــاه المجتمـــع والوطن فى الداخل والخارج) الى غير ذلك مما ينبغى على الفرد معرفته وادراكه وممارسته ، ذلك ، أن التعليم هو خير سبيل لعلاج مشكلات المجتمع جميعها ، وأن تنمية القـوى البشرية ، هى الدعامة الرئيسية فى نجاح المجتمعات وقضائها على ما يعتورها من تخلف وقصور ٠

ونسبة المتعلمين فى البلاد النامية ، فى حاجة ماسة الى أن ترتفع ارتفاعا كبيرا ، وتنمية مجتمعات هـــذه البلاد ، تحتاج الى أعداد هائلة من الشباب المتعلم ، القادر على بناء مجتمع متقدم ٠

فالتعليم الابتدائى (وهو الركيزة الأساسية لكل تعليم يليه) لم يعمم بعد فى كثير من الدول النامية ، فنصف الأطفال (أو أكثر من نصفهم) فى سن المرحلة الابتدائية ، لا يزالون خارج المدرسة ، نظرا لقلة الاعتمادات المالية المخصصة ، ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية ، الأمر الذى يدع مجالا لوجود الامية ، وهذا من أسبابها ،

وكثير من الأطفال الملتحقين بالمدرسة الابتدائية، لا يكملون المرحلة ، ويتسربون منها ، استجابة للظروف الاقتصادية للاسرة ، أو لبعض التقاليد بالنسبة للبنات ، أو نتيجة ترحال أسرهم وذويهم من مكان الى آخر ، سعيا وراء الرزق ، أو غير ذلك ، وهذا ، سبب آخر للامية فهؤلاء الصبية يتركون مدارسهم صغارا ، وهم لم يتقنوا بعد شيئا من أنواع المعرفة أو يجيدوا لونا من الخبرة ، ولم تثبت بعد معلوماتهم ، ومن ثم ، يرتدون الى الأمية بعد فترة وجيزة من تسربهم ، وبذلك يضافون الى أرصدة الأمية فى مجتمعاتهم ، والكبار الذين فاتهم ركب التعليم منذ صباهم ، وظلوا كما كانوا منذ نعومة أظفارهم ، لا يقرءون ، ولا يكتبون (من الرجال والنساء) هؤلاء يمثلون الطائفة الكبرى للأمية ، وهذا سبب ثالث ، لتفشى الأمية بين الشعوب النامية ٠

ومن هنا ، تظهر العلاقة العضوية بين التعليم النظامى فى المرحلة الابتدائية وتفشى الأمية ، فكلما استوعب النظام التعليمى المدرسى كل الأطفال ممن هم فى سن المدرسة الابتدائية ، كلما قلت الأمية أو انعدمت ، ويؤكد ذلك ، ما نراه فى الدول المتقدمة ، حيث تكاد تتلاشى ظاهرة ، أو مشكلة الأمية ، فهى تهتم اهتماما كبيرا بتعميم التعليم الابتدائى، والتوسع فيه ، وتطبيق الزاميته ، بل أنها تمتد بالزامية التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية (١) ٠

---

(١) جامعة الدول العربية للتربية والثقافة والعلوم - تعليم الجماهير - القاهرة - سبتمبر ١٩٧٦ ص ٤٠ ، ١٢٠ ٠

وفيما يلى ، نذكر بعض الاحصائيات عن نسبة الأمية فى دول عالمنا المعاصر :

فى أمريكا الشمالية : ٥ر١٪ ٠
فى أوربا والاتحاد السوفيتى : ٥ر٣٪ ٠
فى أمريكا اللاتينية : ٥ر٢٣٪ ٠
فى آسيا : ٥ر٤٦٪ ٠
فى أفريقيا : ٥ر٧٣٪ ٠
فى العالم العربى : ٦ر٧٢٪ ٠

سمات الفلسفة التربوية فى الدول النامية

نستطيع - فى ضوء عرضنا السابق لأوضاع الدول النامية - أن نحدد ٠

فلسفتها التربوية فى الاطار التالى :

(أ) تحقيق تطلعات المستقبل وطموحاته فى مختلف المجالات ، وما يدعم استراتيجياتها لتنمية الموارد البشرية ، حتى تتمكن الدول النامية من الاستغناء عن العاملين بها ذوى الخبرات الفنية ، من غير مواطنيها ، ليحل محلهم أبناء الدولة ٠

(ب) الأخذ بسياسة التخطيط كوضع خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، فمن الملاحظ أن كثيرا من الدول النامية ، تأخذ فى حسبانها - ولا سيما فى السنوات الأخيرة - ضرورة التخطيط التعليمى والتربوى ، وتضمنه خطط التنمية بها ، والتى توصى المؤتمرات الدولية بالعمل على اتباعها ٠

(ج) محاولة تعويض ما فاتها من تقدم علمى ، واقتصادى ، واجتماعى ، ولهذا ، فان بعض الدول النامية ، تحاول الوصول الى ما وصلت اليه الدول المتقدمة بأن تقفز

فى وثبات واسعة على طريق التقدم ، كأن تلجأ الى تقليد الدول المتقدمة فى مجتمعاتها ، وفى نظمها التعليمية ، وقد لا يتوافق ذلك مع العوامل الثقافية للدول النامية، وظروفها، مما يهددها بمسخ شخصياتها ، وتعطيل نهضتها المنتظرة ٠

(د) محاولة الدول النامية، تغيير هياكل التعليم، واعادة النظر فى بنيته ، ومحتواه بما يتلاءم ومتطلبات العصر ، وما يساير التقدم العلمى ، والتطور التكنولوجى الحديث ، وكذلك ، نبذ ما تركه فيها التأخر الاجتماعى أو الاستعمار من فتات العلم وبقايا تعليم هزيل ٠

(هـ) التوسع فى الخدمات التعليمية ، وتوفيرها للمواطنين بكافة مستوياتها باعتبار أن التعليم هو أهم الوسائل لتحسين المستوى الاقتصادى ، والاجتماعى ، والصحى للشعوب النامية ؛ فهى فى حاجة الى نظم تعليمية تحقق أمانيها ، وتتفق مع مقتضيات ظروف الحياة فيها ٠

(و) القيام باعداد الدراسات، وتنظيم الدورات المتنوعة، والحملات الموجهة لمكافحة الأمية ، والقضاء عليها بين شعوبها ، سواء فى محاولتها تعميم التعليم الابتدائى أو من خلال انشاء أقسام وفصول لمحو الأمية بين الراشدين والكبار من أبنائها ، وهى تستعين فى ذلك ، بالمنظمات العالمية ، كمنظمة اليونسكو الدولية، والبنك الدولى للانشاء والتعمير، والمنظمات الاقليمية كمنظمة اليونسكو العربية ، وكذلك ، الافادة من تجارب الدول الأخرى ، التى قطعت شوطا بعيدا فى القضاء على الأمية أو تخلصت منها ٠

(ز) اعادة النظر فى ادارة الهيئات أو الأجهزة المسئولة عن التعليم بها ؛ فمن المعروف أن الدول النامية - فى غالبيتها - تتسم بادارتها المركزية لكافة قطاعات المجتمع ، ومن بينها التعليم ، حيث تتولى حكوماتها رسم السياسة

التعليمية لها ، وتشرف على التعليم ، وتدير شئونه وتضع برامجه الدراسية ، وتعتبره من مسئولياتها ، وترى فى ذلك، تحقيقا للديموقراطية ، وسبيلا لتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية ، بالاضافة الى قلة الكفاءات القادرة على توجيه التعليم فى الجهات الاقليمية والمحلية ، وكذلك ضعف الامكانيات المادية اللازمة ، وقد اتجهت بعض الدول النامية - منذ سنوات قليلة - نتيجة لتحسن ظروفها ، الى التخفيف من قيود المركزية فى ادارة التعليم ، ونظرا لزيادة أعداد السكان بها ، وزيادة نسبة التعليم فيها ، مما جعلها تأخذ ببعض تنظيمات الحكم المحلى ، وبالتالى ، منح السلطات المحلية ، صلاحيات تمكنها من ادارة التعليم ، والاشراف عليه ، كأن تتولى اعداد ، وتعيين ، ونقل ، وترقية العاملين فى مجال التعليم ، بل وتشترك فى التخطيط له ، ووضع مناهجه ٠

(٥) فلسفة التربية فى مجتمع الدول الاسلامية

الدول الاسلامية التى نعنيها هنا ، هى الدول التى يدين أهلها ، ومواطنوها (أو الغالبية العظمى منهم) بالاسلام عقيدة ، شريعة ، وحكما ، وتطبيقا ، سواء فى حياتها الاجتماعية ، أو التعليمية ، أو التربوية ٠

وهذه الدول ، لا تتركز فى منطقة بعينها ، ولكنها موزعة فى بلاد العالم ، وبخاصة فى قارتى آسيا ، وافريقيا ٠

على أنه ليس من الضرورى ، أن تكون هذه الدول ضمن الوطن العربى ، وانما يقع بعضها داخل المنطقة العربية (جامعة الدول العربية) ، مثل : المملكة العربية السعودية، وجمهورية موريتانيا الاسلامية ، بينما يقع البعض الآخر فى مناطق أخرى ، مثل : تركيا ، وايران ، والباكستان وغيرها ٠

فى عالمنا المعاصر ، دول ، يكون المسلمون فيها نسبة كبيرة من تعداد سكانها ، بحيث يمثلون أغلبية المواطنين بها ، الى جانب معتنقين لديانات أخرى غير الاسلام ، وهذه الدول ، لا تندرج تحت ما نقصده من مجتمعات الدول الاسلامية ، اذ لا ينسحب عليها مصطلح الدول الاسلامية ·

كذلك ، هناك جماعات مسلمة كبيرة العدد ، تعيش داخل مجتمعات دول ، غالبية مواطنيها من غير المسلمين ·

وهناك ، دول لا دينية (مثل الدول الشيوعية) وتعيش فيها أقليات اسلامية ·

وسواء وجد المسلمون فى هذا الصنف من الدول أو ذاك، فان الذى يعنينا هنا ، هو حياة الشعوب الاسلامية ، من خلال ممارستهم للتربية الاسلامية بطبيعتها ، وطرائقها ·

مصادر التربية الاسلامية :

تستمد التربية الاسلامية ، أصولها من مصادرها الرئيسية

ممثلة فى :

أولا – القرآن الكريم :

وهو كتاب الله المقدس للمسلمين عامة ، وهو مصدر التشريع الالهى لهم ، والمنظم لحياتهم بكافة مجالاتها، ومستوياتها ، ويمثل الجانب الفكرى ، والنظرى لفلسفة التربية الاسلامية ·

ثانيا - السنة النبوية المطهرة :

وهى مجموعة الأعمال ، والمأثورات العملية عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتى قام بها ، أو كان يقوم بها فى حياته الشريفة ، وبموجب التعاليم السماوية ، خدمة للاسلام والمسلمين ·

وتمثل الجانب التطبيقى العملى لفلسفة التربية الاسلامية ·

ثالثا - الحديث النبوى الشريف :

وهو مجموعة الأقوال ، والأحاديث الشريفة ، ذات الصلة بالاسلام كدين وتشريع ، وبالمسلمين كممارسين له فى حياتهم ، والصادرة عن الذات المحمدية، بتوجيه من الله تعالى ، ويمثل الجانب التوضيحى لمعالم الدين الاسلامى ، وفلسفته التربوية ·

رابعا - بالاضافة الى هذه الأصول ، هناك :

(أ) الأحاديث القدسية ، وهى الأحاديث الصادرة عن الله عز وجل ، والمروية بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتمثل الجانب التكاملى للاسلام ·

(ب) آراء الفقهاء والمجتهدين من السلف الصالح، والتى لا تبعد عن روح الاسلام وجوهره ·

وتمثل جانب الاجتهاد والقياس والترجيح فى الممارسة والتطبيق ·

وهذه المصادر فى مجموعها ، تكون الهيكل العام فى بنية التربية الاسلامية وجوهرها ·

الاسلام والتربية الاسلامية وأهدافها :

التربية الاسلامية ، تربية شاملة ، ومستمرة ، ومتلائمة مع كل زمان ومكان ، ومناسبة لكل جنس بشرى ، ولكل مجتمع يعيش فيه البشر ·

والدين الاسلامى ، كما يدعو الى الآخرة ، حيث الخلود والبقاء ، فهو أيضا ، يحث على طلب الدنيا ، حيث حياة البشر ، وعملهم ، وانتاجهم ، وأخذهم بأسباب التقدم فى كل مجالات الحياة ، ان الله تعالى ، الذى خلق الانسان ، هو الذى برأ الكون ، ويعلم أسراره ، وتكوينه بما فيه ومن فيه، وهو الذى أنزل القرآن نورا ، وهدى للعالمين ، فلن يكون فى دينه صدام بين الدين والدنيا ، وبين الروح والجسد ، ولن يعزل الانسان عن طبيعته البشرية ومجاله الحيوى ، لينزوى بين الركوع والسجود ·

والله سبحانه ، لم يقصر برنامجه فى هداية الناس على كلمات ، وحركات سرعان ما تؤدى ، لينطلق العابدون الى الكون والحياة بوجوده لم تخلف عليها العبادة ضياءا ولا نورا ، وبصور من المعاملات ، والسلوك ، ليس فيها هدى، ولا بصيرة ·

ان الله غنى عن العالمين ، لن تزيد ملكه طاعة الطائعين ، ولن ينقصه عصيان العاصين ،

وانما يجب أن تتجلى آثار التدين على المتدينين فى علاقاتهم مع الناس ،

والناس ، يخسرون كثيرا ، حين لا يفهمون طبيعة الدين، ويحرمون أنفسهم من الدنيا ليموتوا بين جدران المساجد وبيوت العبادة ، لا يحس بهم أحد لأنهم بعيدون عن الكون الواسع ، والحياة الصاخبة ، أو يحرمون أنفسهم من هدى

الدين ، وهم يعالجون الأبواب والمصـــاريع ، كما يعالجها غيـــرهم ، دون أن يميـــزهم دينهـم بشيء من العقـــل أو السلوك (١) ٠

ان الدين الاسلامى ، يدعو الى الحياة بشقيها : الدينى والدنيوى ، ولن يضير المسلمين ، أنهم لا يجدون وقتا فى عصر الذرة للافاضة فى النوافل ، ولكن يضيرهم أمام الله والناس فى الدنيا والآخرة ، أن يتخلفوا فى العلم ، والأنتاج لنفعهم ، ونفع غيرهم ٠

فالدعوى للدين بمعنى الدين لنفسه ، أو المعنى الضيق ، ليس هو ما تعنيه الديانة الاسلامية ، ولا يقبله العقل البشرى الناضج ، ولا الفكر المتفتح ٠

ان الحياة فى نظر الاسلام ، وحدة متكاملة ؛ الله فى طرفها العلوى، والانسان فى طرفها السفلى، والطريق بينهما مفتوح يستطيع كل فرد أن يصل ، ولكن عن طريق العمل المنتج ، والنية الخالصة ، والدنيا فى طرفها القريب ، والآخرة فى طرفها البعيد ، ولكن الدنيا ، هى طريق الآخرة ، والطريق بينهما موصول ،

وليس للمنزلة الرفيعة فى الآخرة ، الا حسن أداء الفـــرد لدوره الانسانى فى الدنيا ،

والعبادة ، هى الطرف الروحى لهذه الحياة ، والتعامل، هو طرفها المادى ، ولكن مراعاة الله فى الطرف المادى مع الناس ، هو جزء أساسى من العبادة ٠

فمفهوم الدين فى الاسلام ، يشمل الدنيا ، ومفهوم الله ،

---

(١) محمد تحى عثمان ـ الفكر الاسلامى والتطور ـ دار القلم ـ القـــاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٩ ٠

يشمل الناس ، ومفهوم العبادة ، يشمل المعاملة ، ومفهـوم الروح ، يشمل الجسم ، ومفهوم الايمان ، يشمل التفكير ، ومفهوم التوكل على الله ، يشمل العمل ، والسعى ، ومفهوم الانسان ، يشمل الروح ، كما يشمل الجسم ، ومفهوم العقيدة يشمل الذكاء (١) ٠

هكذا ، يكون مفهوم الاسلام ، وما يهدف اليه من تربية الانسان ، تربية متكاملة ، انها التربية الاسلامية ، والتى من أبرز أهدافها :

أولا ـ الشمول والتكامل :

فالاسلام ، لا ينظر الى الفرد على حساب المجتمع ، ولا ينظر الى المجتمع على حساب الفرد ، وانما ينظر الى الاثنين معا ، باعتبارهما مكملين لبعضهما ،

والاسلام ينظر الى الدنيا ، ويهتم بتنظيم الحياة فيها ، كما ينظر الى الآخرة ، ووجوب الاعداد لها ، على أن لا يهمل أمور الدنيا وما بها من علم ، وعمل ، وتعامل ، والا ينغمس الانسان فيها بكل ملاذه وطوع هواه ، فينسى الآخرة ، وما ينبغى أن يعدلها ٠ وألا يركن الفرد الى التـواكل والكسـل بدعوى العبادة والتعبد والتقرب الى الله ،

فالتربية الاسلامية ، تهدف الى العمل من أجل الدنيا ، كما تهدف الى العمل من أجل الآخرة ٠

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا »

(قرآن كريم)

---

(١) د٠ أبو الفتوح رضوان ـ القومية العربية (ط ٢) دار الثقافة ـ القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٧٠ ٠

« ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه ، وهذه »

(حديث شريف)

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

(حديث شريف)

ثانيا - الاعتدال والتوازن :

فالتربية الاسلامية ، تعنى بشخصية الفرد ، من جميع نواحيها ؛ جسميا ، وعقليا ، ووجدانيا ، وخلقيا، واجتماعيا، فالجسم بدون عقل ووجدان ، - فى نظر الاسلام - أشبه بجسم حيوان ، والعقل لكى يفيد صاحبه ، لابد وان يتمتع بجسم سليم ، وبدن معاف ، والتربية الاسلامية ، تتصف بالتوازن ، باعتبارها تربط بين الماضى، والحاضر والمستقبل؛ فالماضى ، مجال للعبرة والعظة ، والحاضر ، له متطلباته ومقتضياته معايشته ، والمستقبل، له تطلعاته، واستعداداته،

وبالتالى ، فان التربية الاسلامية ، تفيد من الماضى ، وتربط بينه ، بما فيه من تراث فكرى وحضارى، وبين أوضاع الحاضر وظروفه ، ثم بينه وبين المرتقب والمتوقع فى المستقبل ، (١)

وهذا ، يتطلب ادراكا كاملا لطبيعة الحياة ، وما يستتبع ذلك من تخطيط ، وتنظيم ٠ (وهو ما تأخذ به التربية الحديثة)

---

(١) د٠ عمر محمد التومى الشيبانى - فلسفة التربية الاسلامية - الشركة العالمية للنشر والتوزيع والاعلان - طرابلس - ليبيا ١٩٧٥ ، ص ١٧٧ ٠

ثالثا — الوضوح وعدم التناقض :

ذلك، أن التربية الاسلامية، واضحة فى مبادئها، وأهدافها صريحة فى تعاليمها ، ومنهجها التربوى الشامل ؛ فالحلال بين ، والحرام بين ، والجزاء أو الثواب والعقاب ، مرهون، بعمل الانسان ، وطريق الخير واضح ، وطريق الشر واضح، وللانسان أن يختار بينهما بما لديه من عقل ، وفكر ، وادراك:

« وهديناه النجدين ٠٠ »

« ٠٠ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا ، يره »

« كل نفس بما كسبت رهينة » ٠

(قرآن كريم)

ومبادىء التربية الاسلامية، وقيمها، تتسم بعدم تناقضها، أو تعارضها ، فهى متسقة مع حياة البشر ، متسقة مع متطلبات المجتمع ، متسقة مع وسائل تحقيقها ؛ فلا خلل فى مضمونها أو محتواها ، ولا تعارض بين أنواعها ، ولا غموض فى طبيعتها ، ولا شطط فى تنفيذها ٠

رابعا — التطبيق العملى للتشريع :

ذلك أن التربية الاسلامية ، لا تعتمد على مجرد مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والأحاديث القدسية ، دون تطبيق ، وتكنولوجية فكرية ، فردية واجتماعية ، تهدف الى صلاح الانسان والمجتمع ، عن طريق الممارسة العملية فى سلوك الفرد ، وحياة الجماعة ، ولكن التطبيق العملى هو الغاية من أحكام التشريع الاسلامى ٠

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ، ورسوله ، والمؤمنون »

(قرآن كريم)

« ليس الايمان بالتمنى ، ولكن الايمان ما وقر فى القلب، وصدقه العمـل » ٠

(حديث شريف)

كذلك يدعو الاسلام الى اتقان العمل ، وجودته ، وحسن أدائه :

« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »

(قرآن كريم)

« ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا ، أن يتقنه »

(حديث شريف)

خامسا - التطور والاستمرار :

وهذا يعنى ، أن التربية الاسلامية ، لا تقف عند حد معين، أو أنها قاصرة على زمن بعينه ، ولكنها تدعـو الى مواكبة التطور ، ومقابلة التغير ، ومواجهة التحديات التى يتعرض لها المجتمع ، فلا ركون الى الخمول ، أو الجمود الفكرى ، أو الخضوع والاستكانة ٠

فالمسلم لا يتسم بضيق الأفق أو الخنوع ، ولكنه يعايش الزمن بمقتضيات الحاضر ، وما يمليه عليه العصر ، وعليه أن يطوع نفسه ، وأن يعدل من سلوكياته ، وأن يعيد النظـر فيها من وقت الى آخر بما يتفق وطبيعة الاسلام ، وحيـاة المجتمع ، وظروفه ، وأن يكون له من نفسه العبرة فى التغيير والتطور ، وذلك باعمال فكره وبما كرمه الله وفضلـه على سائر مخلوقاته ، وسخر له كل ما فى الوجود ٠

فالانسان (كما هو معروف فى التربية الحديثة أيضا) ، هو الكائن الحى ، النـامى ، الذى يملك ارادة التغيـر ، والاستعداد للتطـور ، والقـدرة على التكيف ، والقابلية للاستمرار ٠

سادسا ـ التنمية الخلقية والروحية :

تهدف التربية الاسلامية الى تنمية الجانب الروحى لدى النشء وفى نفوس المسلمين عامة ، وذلك من أجل بناء مجتمع اسلامى ، يسوده الفهم الصحيح لمبادىء الدين وتعاليمه وأحكامه ، وعن طريق سلوك الأفراد وأساليب حياتهم ، تدعم الجوانب الخلقية والروحية فى المجتمع ، وهذا ، يقتضى اتباع ما جاء به الاسلام ،

يقول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

فالاسلام ، يدعو الانسان الى التمسك بالقيم البناءة والمثل الهادفة ، والتأسى بالقدوة الصالحة :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »
(قرآن كريم)

والاسلام ، يوجه الانسان فى الحياة ، ويساعده على أن يحصل لنفسه ، والجماعة الانسانية على أسمى درجة من الكمال الانسانى ، فى الروح ، والخلق ، والمادة ، والعقل، وينظم علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه الانسان فى كل مظاهر الحياة ، لأن الاسلام ، هو قانون الفرد والمجتمع ، والعلاقات المحلية ، والدولية ، على السواء ·

سابعا ـ الحرص على طلب العلم والتعليم :

لقد اهتم الاسلام بالعلم اهتماما كبيرا ، وحث على طلبه، وأشاد بفضل العلماء ، وفضل الذين أوتوا العلم ، والذين أوتوا الحكمة ، والذين يعملون بما يعلمون على من هم سواهم ·

بل انه رفع منزلة العلماء ، فجعلهم ورثة الأنبياء ، كذلك ، فان الاسلام أعطى للمرأة حق التعليم كما أعطاه للرجل وسوى بينهما فى طلب العلم والبحث ، والتفقه فى أمور الدين والدنيا ٠

والتربية الاسلامية ، تدعو الانسان الى التفكير فى آيات الكون ، والتوصل الى قوانينه ، وأن يتناول هذا الكون بايجابية ، وطموح استطلاعى ، ونزعة نفعية ، فالانسان ، خليفة الله فى الأرض ، والكون كله بما فيه ، مسخر لفائدة الانسان وهو كتاب مفتوح أمامه ، بلا مغاليق ، ولا أسرار ، والقرآن الكريم ، مملوء بأفعال الأمر التى تحث الانسان على البحث والتفكير مثل : اقرأ ، انظر ، هاتوا برهانكم ٠٠ بل ، وتشدد فى هذا ، فلجأ الى أسلوب التبكيت ، مثل : افلا تعلمون ؟ ، أفلا يتذكرون ؟ ، لعلكم تتفكرون ٠٠ فالملاحظة ، والتفكير ، والاستدلال ، والتوصل الى الحقائق ٠٠ أى الطريقة العلمية بكل مراحلها ، ينادى بها الاسلام ، ويدعو الانسان الى مزيد من العلم والمعرفة ٠

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

« وقل رب زدنى علما »

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

ثامنا – بناء مجتمع تسوده المساواة :

يهدف الاسلام الى اقامة مجتمع انسانى ، تسوده العدالة والمساواة بين أفراده ، فالاسلام لا يفرق بين الناس الا بموجب العمل الصالح ٠

يقول عز وجل :

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان »
و « ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

ويقول عليه الصلاة والسلام :
« لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » ٠

فالاسلام يدعـو الى الديموقراطية ، وينبذ الاسـتغلال والامتهان، كما يرفض التفرقة بين المسلمين بصورها المختلفة فيما عدا تقوى الله والعمل الصالح ٠

والتربية الاسلامية ، تهدف الى وجود الفرد فى مجتمع تسوده القيم النبيلة ، والأخلاق الحميدة ، والتمـاسك بين أفراده ؛ فالخلق وعاء الدين ، والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، كما عبر عن ذلك قول الرسول الكريم ٠

تاسعا ـ مشاركة وجدانية ومنافع مشتركة :

يدعو الاسلام الى الأخوة بين معتنقيه ، تربط بينهم عقيدة مقدسة ، ، صلات وجدانية روحية ، يشترك فيها المسلمون من أقصى أنحاء المعمورة الى أدناها ،

والاسلام ، يدعو الى تعارف الناس ، وتبادل المنفعة بينهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ، وألسنتهم ،
يقول سبحانه :

« يا أيها الناس ٠ انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »

ولعل فى أداء فريضة الحج كل عام ، ولقاء المسلمين من شتي بقاعِ الأرضِ في مكانٍ واحد ، خيرِ دليل علي وحدتهم

فى عقيدة تربط بينهم جميعا وهم من بلاد متفرقة وأنحـــاء متعددة ، جاءوا ليؤدوا المناسك التى فرضها الله ثم ليشهدوا منافع لهم ، وما أكثر هذه المنـــافع لو تبصرها المسلمون وتدارسوها ، ومن ثم ، يمكنهم حل كثير من مشـــكلاتهم : السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية •

عاشرا ـ نشر اللغة العربية بين المسلمين :

من أهداف التربية الاسلامية ، العمل على انتشار اللغة العربية بين معتنقى الاسلام ، باعتبارها لغة القرآن الكريم، بها يقرأ ، وبها يفسر ، وهـــو فى ذاته عامل هام فى نشرها ودخول كثير من ألفاظها ضمن لغات الشعوب الاسلامية غير العربية ، مثل : الفارسية ، والتركية، والأردية، والسواحلية وغيرها •

وباللغة العربية ، تؤدى شعائر الدين الحنيف ، فضلا عن أنها وعاء الثقافة العربية بطرزها ، وأنماطها ، وعصورها منذ بدء الدعوة الى الاسلام ، وحتى الوقت الحاضر وستظل كذلك ، ولا شك ، أن انتشار اللغة العربية بين المسلمين من غير العرب ، ينطوى على العديد من المزايا •

سمات الفلسفة التربوية فى الدول الاسلامية

بعد أن أوجزنا حديثنا عن طبيعة التـربية الاســلامية ، ومراميها فى حياة الفرد والجماعة ،

نعود فنوجز أهم ســمات فلسفة التربيــة فى المجتمــع الاسلامى :

(أ) الاسلام ، دين ودنيا :

فالاتجاه العام فى تربية المسلم أن يتخذ من الدين ، هاديا

فى حياته الدنيا حيث العبادة ، والعمل ، والانتاج ، وسبيلا لآخرته ، حيث الثواب أو العقاب ثم الحياة الأبدية .

ذلك ، أن الطابع العام للتربية الاسلامية ، ليس دينيا محضا ، ولا دينويا محضا ، وانما ، هو يجمع بين الناحيتين لاعداد المسلم لخيرى الدنيا والآخرة .

« ما فرطنا فى الكتاب من شىء » .

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » .

(ب) العلم للمسلم وللمسلمة :

فقد حرص الاسلام على أن يكفل توفير العلم والتعليم لكل من الفتى والفتاة ، باعتبارهما عنصرى المجتمع ، وطلب العلم ، فضيلة يتحلى بها المسلم والمسلمة ، وان كان لكل منهما دوره الاجتماعى فى الحياة ، الا أن الاسلام لا يفرق فى حثه على العلم بين الرجل والمرأة ، ويستوى فى هذا الأغنياء والفقراء ، مما يؤكد ديموقراطية الاسلام فى النظر الى التعليم :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق » .

« طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

« اطلبوا العلم ولو فى الصين » .

« اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » .

وفى هذا ، تأكيد لفوائد العلم ، ووجوب الأخذ به فى الحياة ، واستمرار ذلك ، طالما يحيا المسلم ، مما يؤكد ضرورة التربية المستمرة .

(جـ) اقتران العلم بالعمل :

فالدين الاسلامى، ليس نصوصا محكمة، وأقوالا مأثورة، وسيرة عطرة ، ٠٠ فحسب ، ولكنه فضلا عن ذلك ، اطار عام لحياة منظمة ، متناسقة ، بكل أبعادها ، ومجالاتها ٠

ومن ثم ، فان القول ينبغى أن يصحبه عمل ، والنظرية تترجم الى تطبيق ، والتخطيط يتحول الى تنفيذ ، والتوجيه الى ممارسة ، والنصح يكون بالقدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة تكون بالسلوك ، والعمل فى نظر الاسلام ، عبادة، وتوظيف العلم لصالح المجتمع ، ضرورة ،

« كبر مقتا عند الله ، أن تقولوا ما لا تفعلون » ٠

« ان الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ٠٠ »

« والعصر ، ان الانسان لفى خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ٠٠٠ »

« خيركم من عمل بما علم » ٠

(د) التربية من أجل الحياة المعاصرة :

ذلك ، أن الفهم الواعى ، والفكر الناضج لطبيعة التربية الاسلامية ، يؤكد أن المجتمع الاسلامى ، مجتمع متفتح على غيره من المجتمعات ، والثقافات ، ويدعو الى التعاون الداخلى والخارجى ، ويستفيد من علوم ، وثقافات الآخرين فلا عزلة عن المجتمعات الانسانية المعاصرة ، أو القوقعة حول الذات فى مجتمع مغلق ، ولكن الاسلام يدعو الى التعارف والتعاون ، والافادة من خبرات الأمم ، والشعوب ، دون أن يفقد المجتمع الاسلامى شخصيته المميزة ، أو أن تذوب فى مجتمعات أخرى ، فالاطار العام للاسلام ، ينبغى أن يسود

ئما ، فالتكيف مع الواقع المعاصر ، لا ينفى وجود الطابع الاسلامى ، والسمات الاسلامية ٠

والتربية الاسلامية ، تهدف الى التجديد والابتكار بما يتناسب وحياة المسلمين فى عصرهم ، فهى تدعوهم الى الاجتهاد والتفكير المستمر فيما ينفعهم، والنظر بعين البصيرة النافذة الى متطلبات مجتمعهم ، وما تقتضيه مستحدثات العصر ، وما يقدمه العلم من جديد ٠

« ويخلق ما لا تعلمون »

« وفوق كل ذى علم عليم »

(هـ) احترام قدرات الانسان :

لقد كرم الله ـ جل شأنه ـ الانسان ، فخلقه فى أحسن تقويم ، وجعل له السمع ، والبصر ، والفؤاد ، ووهبه نعمة العقل ، وسخر له كل ما فى الكون ، وفضله على سائر مخلوقاته ، ومن أجل هذا ، تؤكد التربية الاسلامية على ضرورة تحرير العقل البشرى من الجمود ، ومن رق التقاليد التى لا تتمشى مع طبيعة الاسلام ، وضرورة تربية ضمير الفرد ، عن طريق المثل الأخلاقية، والقيم الانسانية، وضرورة تطهير النفس مما يعلق بها من شوائب ، نتيجة التعامل مع الأفراد والجماعات ، وهؤلاء لهم صفاتهم المشتركة ، وبينهم فروق متباينة ، فبالاضافة الى تربية الجسم والعناية به ، يتحتم على المسلم تهذيب نفسه ، وتقويم فكره ، ومراجعة عمله ، وتنمية قدراته ، ومداركه والتربية الاسلامية تحرص على ذلك ، فتؤكد على احترام قدرات الانسان وتوجهه الى تحمل المسئولية ، والاعتماد على النفس ، والتمييز بين الخير والشر ، والنافع والضار بما أوجده الله فيه من عقل وفكر،

« وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟! »

والانسان ، هو الذى يوجه الحياة من حوله ، بما وهبه

الله من بصيرة ، والاسلام ، يدعوه الى تحكيم العقل ، واعمال الفكر فيما ينفعه ، وينفع مجتمعه ٠

« ٠٠ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم » ٠

ولما كانت التربية عملية ديناميكية ، تتم داخل المجتمع الانسانى ، فمن سماتها الحركة ، والتغير بما يتلاءم مع ظروف المجتمع ، والاسلام يوجه المسئولين عنها الى تطبيع النشء بما يعدهم لحياتهم المستقبلة، وغرس المبادىء القويمة فيهم لتثبيت عقيدتهم ، وترسيخ مفاهيمهم الدينية ، ومواجهة المتغيرات فى مجتمعاتهم ، وتهيئتهم لما قد ينتظرهم من تحديات ، أو ما يلقى عليهم من مسئوليات ، وما يعلق عليهم من آمال ٠

فلسفة التربية الاسلامية فى مجال التعليم :

فى نهاية حديثنا عن الفلسفة التربوية للمجتمع الاسلامى، نذكر - فيما يلى -

المبادىء الرئيسية لتطبيق هذه الفلسفة فى مجال التعليم:

- التوجيه التربوى المناسب لكل فرد ٠
- مراعاة الفروق الفردية فى التعليم ٠
- مراعاة الاستعدادات الفطرية والميول ٠
- التربية الخلقية والتكامل فى شخصية الفرد ٠
- التدرج فى تربية النشء مع مراحل نموهم ٠
- الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية ٠
- الاهتمام بالنواحى النفعية ، للدين والدنيا ٠
- الحرية والديموقراطية فى التعليم ٠

ـ الدعوة للعلم والتعليم ، مدى الحياة .
ـ المساواة بين الفتى والفتاة فى طلب العلم .

وبعـد ،

فهل هذه الفلسفة التربوية المتكاملة للمجتمع الاسلامى يجرى اتبـاعها ، وتنفيـــذها فى عصرنا الحاضر ؟؟ والى أى مدى ؟؟

هذا سؤال ، تجيب عنه حياة المجتمع فى الدول الاسلامية .

الفصل السادس

التـــربية

و

سمات العصر

بعد أن تناولنا فى الفصول السابقة ، كلا من التربية ، والثقافة من حيث طبيعتها ، وفلسفتها ، وتطبيقاتها ، والعوامل الموجهة لها ، نحاول فى هذا الفصل القاء بعض الأضواء على ما نلمسه من سمات عامة ، تميز عصرنا الحاضر •

ذلك ، أن ادراك الانسان ـ والمعلم بصفة خاصة ـ لطبيعة عصره ، توضح الرؤية أمامه لكى يدرك ديناميكية الحيـاة حوله ، وما يتفاعل فيها من قوى ثقافية ، من شأنها احداث عمليات التربية ، وتوجيه نظم التعليم ، وأساليبه •

ومن الشطط ، محاولة توضيح عالمنا المعاصر بكلياتها ، وجزئياتها فى صفحات قليلة ، ينتظمها هذا الفصل ، والأخير من الكتاب ، ولكننا نكتفى بالقاء نظرة عابرة ـ الى حد ما ـ تقفنا على طبيعة العصر ، من حيث :

(أ) الاتجاهات العامة •
(ب) الظواهر التعليمية والتربوية •
(جـ) طبيعة المجتمعات •

(أ) الاتجاهات العامة

يتسم عصرنا الحاضر بالعديد من الاتجاهات العامة ، ذات الصلة بالعلم والتعليم ،
من بينهـا :

(١) العلم والتكنولوجيا :

من سمات العصر الذى نعيش فيه ، وجود علاقات وثيقة بين العلم البحت والتكنولوجيا (أى التطبيق العملى للعلم) ، وهذا ، تطور حديث نسـبيا •

ولقد ظل العلم ، والتكنولوجيا لفترة طويلة من الزمن ، يتطوران ، كل بمعزل عن الآخر ، ولم تستفد التكنولوجيا بما

تجمع عند العلماء الاقلين . وربما كانت استفادة العلم ، فى بعض مراحل تطوره من بعض المختـــرعات التكنولوجية ، أكبـر .

أما الآن ، فان العلم ، والتكنولوجيا « هما مفتاحا تقدم أية أمة من الأمم ، وعليها ، يتوقف انتاجها ، وبالتالى ، دخلها القومى ، ومستوى معيشة أبنائها ، كما آن عليهما ترتكز صحتهم ، ورفاهيتهم ، بل ان قوة الأمة ، ومركزها ، وعزتها بين الأمم ، وحتى محافظتها على استقلالها ، أصبح يعتمد الآن ـ بشــكل ما ـ على الأخـــذ بالأساليب الحـــديثة للعلم ، والتكنولوجيا .

لقد أصبح العلم ، قوة دافعة للتكنولوجيا ، كما أصبحت التكنولوجيا بدورها ، قوة دافعة للعلم ، وأصـــبح الآن كل منهما يغذى الآخر .

ولقد شهدت الفترة فيما بين الحـــربين العالميتين تغيرا جذريا فى العلاقة بين العلم والتكنولوجيا ، بصفة عامة .

والعصر الذى نعيش فيه ، يشهد ازديادا فى المعـــرفة العلمية ، وهو ليس ازديادا تدريجيا ، ولكنه ازدياد هائل ،

فهنـــاك ـ كما يقـــول « بول هيرد » ـ ما يقـــرب من (٥٠٫٠٠٠) خمسين ألف مجلة علمية تنشر فيهـــا نتـــائج (١٫٢٠٠٫٠٠٠) مليون ومائتى ألف بحثا فى العام الواحد ، أى ما يعادل (١٠٠٫٠٠٠) مائة ألف بحث فى الشهر ،

كما يقدر أن حجم المعرفة العلمية ، قد زاد منذ عهـــد « نيوتن » مليون ضعف (١) .

---

(١) د. ابراهيم بسيونى عميره ـ عصر العلم والتكنولوجيا ـ صحيفة التربية ـ القاهرة ـ نوفمبر ١٩٧٠ ـ ص ١٨ .

وهذا العصر ، عصر العلم والتـــكنولوجيا ، يلقى على التربية أعباءا كبيرة ، ومتــزايدة باســـتمرار زيادة العلم والمعرفة ، وزيادة الأعداد البشرية فى دول العالم .

وهى ـ فى هذا ـ تستفيد مما يقدمه لها العلم ، وما تقدمه لها التكنولوجيا •

والى جانب ذلك ، فان عالمنا المعاصر ، يتسم بالكثير من الاتجاهات التربوية ، التى تتطلبها طبيعة الحياة الحاضرة، بل انها تتطلب المزيد من الاهتمام بها •

(٢) العـلم والقيم الروحية :

يحرص عالمنا المعاصر ، على النهوض بنوعيات التعليم المختلفة ، باعتبار أن التعليم سبيل من أهم سبل الاستثمار ، واكثرها عائدا ، لو أحسن توجيهه •

فالى جانب الاهتمام بالعلوم ، والتكنولوجيا ، والتسابق فى مجالات الخبرة ، والاكتشافات ، والمخترعات الحديثة ، ينبغى أن يكون هناك اهتمام بالقيـــم الخلقية ، والنواحى الروحية •

فلا شك ، أن من أهم متطلبات هذا العصر ، عدم اغفـــال الجوانب الانسانية ، والعاطفية فى تربيتنا ، واعدادنا للنشء لمواجهة العالم المتغير ، الذى يعيش فيه •

فنحن فى حاجة الى الاعداد النفسي، والروحى، والمعنوى، بقدر ما نحن فى حاجة الى التخطيط العلمى ، والصـــناعى ، والانتاجى ، ومن ثم ، فنحن ، لا نعد أبناءنا ليكونوا مجرد آلات للانتاج ؛ فكل فرد ، فى حاجة الى الغذاء الروحى ، بقدر ما هو فى حاجة الى الطعام ، والمسكن ، والملبس •

ان التقدم العلمي ، والتكنولوجي ، وما يصاحبه ـ احيانا

- فى بعض المجتمعات ، من اندفاع نحو تركيز الاهتمام - فى التربية والتعليم - على زيادة الانتـاج ، ورفع مستوى الاستهلاك ، قد يؤدى أيضا ، الى اهمال القيم الروحية فى المجتمع ، وعدم الاهتمام بآدمية المنتجين ، والمستهلكين من الناس ، مع أن هذا الانتاج الوفير ، ليس هدفا فى ذاته ، وانما هو من أجل سعادة هؤلاء الناس ٠

ومع ذلك ، فان الغالبية العظمى من شعوب عالمنا المعاصر ، نجدها فى تنافسها ، وحركتها ، كالآلات ، أو كالدمى ، لا تجد فرصة للاستمتاع بالسعادة الحقيقية ، والراحة النفسية ، انهم أشبه بالسوائم ، يساقون الى مصيرهم ، وكثير منهم ، مرضى بنفوسهم ٠

انها سمة عصر الآلة ، فى مجتمع أهمل قيمه الروحية ، والمعنوية ، وأهمل الجوانب الجمالية ، والترويحية فى تربية أبنائه ٠

(٣) التعاون الثقافى وتبادل المعرفة :

المجتمع الانسانى ، مجتمع متداخل العلاقات ، متشابك الصلات ، وقد تقتضى ضروريات العصر ، تقارب الأهداف ، بل ووحدتها أحيانا ٠

وبالرغم من تعدد شعوب عالمنا المعاصر ، وتنوع دوله ، وتزايد أعداد سكانها ، عاما بعد عام ، الا أن معظم هـــذه الدول تبدو ، وكأنها فى تعاون ثقافى ، وتبادل معرفى ٠

وربما كان من أوضح المؤشرات على ذلك ، تلك المؤسسات التربوية ذات الصفة العـالمية ، والتى نلمس جهـــودها ، وأنشطتها فى مجال التربية والتعليم (وكذلك فى مجالات أخرى) على الصعيد الدولى ، من بينها ، المنظمة الدوليـة للثقافة والعلوم والتربية (اليونسكو) التابعة لهيئة الأمم

المتحدة ، والتى تنبثق عنها (أو تماثلها فى اختصاصاتها) هيئات فرعية ، اقليمية ، ذات مجالات تخصصية فى ميادين الفكر ، والعلم ، والمعرفة ، ... هذه واحدة .

وهناك ، ما يعقد من مؤتمرات ، وندوات ، ولقاءات ذات صفة عالمية ، أو منطقية ، أو اتحادية ، أو اقليمية موسعة ، أو محدودة ، تتناول مجالات التربية والتعليم ، سـواء ما يتصل منها بعمومياتها ، أو خصوصياتها ، أو تنظيماتها او أساليبها ، مما له أثره ، ونتائجه ، ... وهذه ثانية .

وهناك ، ما يتم بين الدول المختلفة ، بعضها البعض ، من اتفاقيات ثقافية ، وعلمية فى التخصصات المتعـددة ، الى جانب ما تنظمه من برامج ، ودراسات ، وكذلك البعثات ، والزيارات الميدانية ، المتبادلة ، ... وهذه ثالثة .

الى غير ذلك ، من أنواع ، ووسائل الاتصال الثقافى بين شعوب الأسرة الانسانية ، سواء فيما يتعلق بنظم التربية والتعليم النظامية ، وغير النظامية ، الأمر الذى يضفى على حياتنا المعاصرة ، سمة التعاون ، والتبادل ، ويربط بين أفراد هذه الأسرة البشرية بروابط متينة ، سامية ، وان كان ينقصها المزيد من الاهتمام ، والتنظيم المثمر .

ذلك ، أن الانغلاق على الذات ، بالنسبة لبعض الدول ، قد يصيبها بالتخلف ، والمعاناة ، وأن الانفتـاح على دول العالم ، والتبادل بينها ، يساعد على توسيع التفاهم المشترك وتعميقه ، كما يعمل على تحطيم الأوهام ، السيئة ، والصور الزائفة التى تضمرها الدول لبعضها ، كما أن هذا التبـادل يثير ، ويثرى كلا من الأنظمة التعليمية ، والمهتمين بها ، فهو يحقق نفس الأثر على أساس فردى بالنسبة لكثير من العلماء ، والمبتكرين ، والكتاب ، والمتخصصين الذين يلتقون فى مؤتمر

عالمى ، يشعرون جميعا ، خلاله أنهم فى موضعهم الصحيح (١)

هذا ، فضلا عما يتاح للدول من فرص الاقتباس ، أو التقليد ، أو اعادة النظر فى أساليب التربية بها ، واصلاح ما يعن لها من الأمور التربوية ، والشئون التعليمية ٠

(٤) الاهتمام باعداد المعلم :

يتطلب عصرنا الحاضر ـ بل وكل عصر ـ الاهتمام باعداد المعلم ، باعتباره حجر الزاوية فى العملية التربوية ؛ فهو حامل للثقافة ، وناشر لها ، فضلا عن دوره كمرب ، ورائد اجتماعى ، وقائد فكرى ، وبقدر هذا الاهتمام ، يكون مقدار تقدم الشعوب ، ورقى الأمم ، باعتبار أن المعلم ، هو العنصر الجوهرى ، والدعامة الرئيسية فى نجاح ، وفعالية التعليم بما لديه من قوة التأثير فى تلاميذه وما لديه من ادراك عميق لمسئولياته ؛ فهو يؤثر فيهم ، سواء أراد أو لم يرد ، وسواء كان على وعى ، وبصيرة بقيمه ، وبقيم مجتمعه ، أم كان على غير وعى بها ،

وهو يؤثر فيهم بما لديه من طموح ، وسعة أفق ، وتطلع الى مستقبل أفضل ، فيدفعهم الى التفوق ، ويرعى نبوغهم ، أو يعالج مشكلاتهم ، ويوجه ميولهم ، وقد يكون على ذلك من صفات فيحدث العكس ، وقد يشعر تلاميذه بأهميتهم كأفراد ، ومسئولياتهم تجاه وطنهم ، وقد يحدث نقيض ذلك ، فلا يشجعهم على التعبير عن أنفسهم ، أو الاهتمام بأوطانهم ، أو يوحى اليهم بعدم الاكتراث ، واللامبالاة ، ومن ثم ، يكون عائقا لهم ، أو ضاغطا عليهم ، ومثبطا لهممهم ٠ ولهذا ، فان

---

(١) ف ٠ كومبز ـ ازمة التعليم فى عالمنا المعاصر ـ ترجمة د٠ احمد خيرى كاظم ، د٠ جابر عبد الحميد جابر ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٧١ ص ٢٤٣

وفرة المعلمين الأكفـــاء ، شرط أســـاسى لتحســين النظام التعليمى ٠

ومن أجل ذلك ، فان اختيار المعلم ، واعداده ، وتدريبه ، مع العناية بنموه ؛ النفسى ، والمهنى ، على جانب كبير من الأهمية، بالاضافة الى توفير الحوافز من أجل اجادة المعلمين لعملهم ، وتدبير برامج التدريب اللازمة ، والمستمرة ، تعتبر من أهم مقومات نجاح العمل التعليمى والتربوى ٠

وفى عصرنا الحاضر ، تبذل غالبية دول العالم جهـدها فى سبيل اعداد المعلم ، الذى يواكب تطور العلم والمعرفة ، والذى يتطلبه عصر التغير السريع ، ومن ثم، فهى تعيد النظر ـ من وقت لآخر ـ فى أساليب هذا الاعداد ٠ على أنه من الملاحظ ، أن أعداد المعلمين فى العالم ـ بصفة عامة ـ لا تكاد تفى بحاجات الدول، مما يجعلها تضيف الى أعدادهم، مزيدا فى كل عام ٠

(٥) رعاية الموهوبين والمعوقين

من الاتجاهات العامة فى كثير من دول عالمنا المعاصر ، رعاية الموهوبين ، والمتفوقين من أبنائها فى مجالات العلوم، والفنون المختلفة ٠

وهى ، من أجل هذا ، تتخذ الوسائل لنمــو قـــدراتهم ، والكشف عن استعداداتهم ، وتوجيه طاقاتهم ، وميولهم ، لتبرز نوعيات الكفاءة لديهم ، ثم للافادة من هذه الكفاءات الممتازة ، والعناصر الطيبة ، وتوجيهها لصالح شعوبهم ، ومجتمعاتهم ، بل ولصالح البشرية جمعاء ٠

كما توفر لهم الحوافز المادية ، والمعنوية ، والأدبية ، مما يدفعهم الى المضى فى مثابرتهم ، ويؤكد نبوغهم ، ودأبهم ، ويدفع بمجتمعاتهم الى المزيد من التقدم ٠

كذلك ، تعنى دول العالم ، فى عصرنا الحاضر ، بالمعوقين من أبنائها (كالصم ، والبكم ، والعمى ، وضعاف العقول ، والشواذ ، وغيرهم من المعوقين وغير الأسوياء) ٠

وهى فى هذا ، لا تقل عن عنايتها بالنابغين وذوى المواهب من أبنائها ، مستخدمة فى ذلك الوسائل المناسبة والمتنوعة، ايمانا منها بضرورة تكافؤ الفرص التعليمية ، وفرص ابراز المواهب، ومعاونة غير القادرين على ممارسة حياتهم بنجاح، والأخذ بأيديهم ليستمتعوا بحياة أفضل ٠

وبالتالى، لتتاح فرص العمل أمام الجميع من أبناء الدولة، حتى يمكن الافادة من كل طاقات المجتمع ، سواء بالنسبة للذكور أو للاناث ٠

ومما تجـــدر الاشارة اليه ، أن تقنيـــات العصر ، وما استحدث فيه من وسائل تكنولوجية ، أفادت دول العـــالم المعاصر ، سواء فى كشفها عن نبوغ النـــابغين ، وشـــحذ فكرهم ، واستمرار تفوقهم ، أو فى تقديم المعينات المستحدثة، النافعة فى التغلب على معاناة المعوقين ٠

(ب) الظواهر التعليمية والتربوية

يتسم عالمنا المعاصر ، بوجود بعض الظواهر فى ميـدان التربية والتعليم ، منها ما يتصل بمحتوى التعليم ، ومنها ما يتصل بكيفية أدائه ، على أن بعضها ، قد سبق وجـوده من قبل (بصورة أو بأخرى) فى بعض المجتمعات ، ولسبب أو لآخر توارت هذه الظواهر ، وغابت فاعليتها ٠

بيد أنه بانتشار المعرفة ، وتطور العلم ، وزيادة السـكان فى العصر الحاضر عاد كثير من هذه الظواهر ، وأصبحت من متطلبات العصر ٠

وفيما يلى ، نتناول مجموعة منها :

(١) التعليم المستمر (أو التربية المستمرة)

ونعنى بذلك ، العملية المستمرة ، اللازمة لتنمية الفـرد طوال حيـــاته ، ســواء بالطرق المباشرة أو غير المباشرة ، وسواء بالتعليم النظامى المدرسى، أو بالتعليم خارج المدرسة، وفى جميع مراحل السن ، منذ الطفولة الى الكبر ، وفى أى موقف من مواقف الحياة، بحيث تكون التربية مرادفة للحياة، وتطوراتها ، وبحيث تصبح مستمرة، ومستديمة مدى الحياة، حتى يتحول المجتمع كله الى « مجتمع متعلم » ، أو « مجتمع يتعلم ويعلم » ٠

والواقع ، أن سرعة التغير التى يتسم بها عصرنا (فى النصف الثانى من القرن العشرين) تجعل من أى تعليم نظامى ـ مهما كانت مدته ـ غير كاف لامداد الأفراد بالقدر المناسب من التعليم لاستمرارهم فى الحياة ، سواء لعدم كفاية المدة، أو للتغير السريع فى أساسيات المعرفة ؛ فأى معـــارف أو مهارات يتلقاها الفرد فى أثناء تعليمه النظامى ، لن تستمر ذات قيمة بالنسبة له فى المستقبل ، وبالتالى ، فانه يتحتم على كل انسان ، أن يكون قادرا على استيعاب أى حقائق جديدة ، واكتساب المهارات التى تمكنه من التكيف مع صور الحياة المتغيرة ، ومن أجل هذا ، ينبغى أن نركز فى تعليم الناشئين على اكسابهم طرق التحصيل الذاتية ، مع توفير المزيد من المرونة لنظم التعليم ، وأن تكون المراحل التعليمية مفتوحة أمام كل فرد ، لتعطى فرصا أكثر للنمــو الثقافى ، والمهنى، وأن تتوفر المؤسسات التعليمية المجهزة بالامكانيات التى تساعد أبناء الدولة ـ فى جميع الأعمار ـ على استمرار تعلمهم لكل ما هو جديد ٠

فالتربية والتعليم ، أبعـد من أن تنحصر فى فتـــرة من الانتظام فى المدرسة ، اذ تمتد فيستمر مدى الحياة ، وتشمل

كافة المهارات ، وفروع المعـرفة ، وينبغى أن تســتخدم كل الوسائل الممكنة ، والتى تتيح الفرصة لكل الأفراد للتطوير الكامل لشخصياتهم ٠

فالتعليم مدى الحياة (أو التربية المستديمة) قوة منشطة، من شأنها أن تجعل النظم التعليمية ، تتصدى لمشكلات الحياة والتنمية ، كما أنه هو فى ذاته ، استراتيجية لعمل تعليمى ، من أجل التنمية فى المجتمعات ٠

والأخذ بمبدأ التربية مدى الحياة ، تحقيق للتكامل بين التعليم الموازى (النظامى) والتعليم المكمل (غير النظامى والمفتوح) ذلك ، أن النظرة السليمة الى التربية ، تقتضى ألا تقتصر وظيفة المدرســـة على تعليم التلميذ ، المعلومات ، والمهارات ، بل يجب أن تمتد حتى تعلمه كيف يعلم نفســه وعندئذ ـ فى مقتبل حياته ـ يصبح هو المعلم ، والمتعلم ، ويسير بخطى سريعة نحو مواكبة سرعة التغير ٠

وهذا ، يقتضى أيضا ، أن تشترك قطـــاعات المجتمـع ، والأجهزة المعنية ، ومؤسسات الانتاج والخدمات ، فى رسـم سياسة التربية ، بل وفى تنفيذها ٠

(٢) التعليم المبرمج

هو تعليم ، أو أداء يخطط له مســـبقا ، وتنظم طرائقه ، بحيث تؤدى بالدارس أو المتعلم الى الغاية المرجوة منه ٠

أو هو ، جعل المادة التعليمية فى شكل برنامج متكامل ، من حيث المحتوى ، والتنفيذ ٠

ويمكن أن يطلق عليه « التعليـــم الذاتى »، أو « التربية الذاتية » باعتبار أن المتعلم نفسه ، هو محـــور النشاط فى العملية التدريسية ، التعليمية ، وقد يمارسه الفرد ، وقـد

تمارسه الجماعة ، أو مجمـــوعة من الأفراد ، الصغار ، أو الراشدين •

والتعليم الذاتى ، يتضمن عنصرين رئيسيين :

(أ) تنظيم المادة التعليمية بعناية •

(ب) تخطيط المـــادة التعليمية ، وتهيئتها بصـــورة نظامية •

ويقوم التعليم المبرمج على أسس موضوعية ، من أهمها الأســـاس النفسى ، الذى نادى به ودعمه علمـــاء النفس السلوكيين ، وأكدته مجموعة من البحوث والدراسات التى قاموا بها فى هذا المجال •

ومن الأهداف التى يسعى هــذا النوع من التعليم ، الى تحقيقها :

١ ـ تعليم الفرد كيفيــة مزاولته أو ممارسته للخبرات التعليمية بنفســه •

٢ ـ تأكيد قدرة الدارس أو المتعلم على ادراك جوانب الموقف التعليمى ، الذى يوجد فيه ، أو يتعرض له •

٣ ـ استخدام الدارس أو المتعلم لقـــدراته ، وتوظيف استعداداته ، فى سبيل الوصول الى غايته •

٤ ـ المرونة فى الممارسة العملية للدارس أو المتعلم ، وفقا لامكانياته الدراسية والتحصيلية •

٥ ـ اكساب الدارس أو المتعلم الثقة فى نفسه ، نتيجة تحمله مسئولية التعلم ، والاعتمـــاد على قدراته الذاتية •

عوامل نجاح التعليم المبرمج :

هذا النوع من التعليم ، من حيث هو وضع منظم للمــادة الدراسية أو مجموعة المواد الدراســية التى يراد تعليمها للدارس ، أو المتعلم فى صورة برامج محددة ، وطرئق تنفيذ مرسومة ، بحيث توفر له امكانيات الممارسة ، والتنفيذ ٠

نقول ، انه لكى تؤدى فعاليته بنجــاح ، ينبغى مراعاة ما يأتى :

أولا ـ

ترتيب المحتــوى العلمى أو المــادة التعليمية ، ترتيبا متناسبا مع تتابع خطوات الأداء المطلوب ٠

ثانيا ـ

الدقــة فى توصيف الأداء المطــلوب ممارســته ، فى كل موقف من المواقف التعليمية ٠

ثالثا ـ

التــدرج من القليــل الى الكثير ، ومن البســيط الى المركب ، ومن الســهل الى الصعب ٠

رابعا ـ

المتابعة الفورية لكيفيــة الأداء ، وادراك نوعيته ، وتمييز الصواب من الخطأ ٠

أما وسائل التعليم المبرمج ، فهى نفس الوسائل المستخدمة فى التعليم المعتاد ، من حيث الكتب أو الأدوات ، أو المعينات السمعية والبصرية ، بالاضافة الى معامل اللغات ، والبرامج التليفزيونية الى غير ذلك من تكنولوجيا التعليم ٠

(٣) التعليم بالمراسلة

هو أسلوب من التعليم ، يتم عن طريق الحوار التربوى والاتصال غير المباشر بين المعلم والمتعلم ، لسد حاجة المتعلم، ولتحقيق رغبته فى الحصول على تنمية ثقافية ، وعلمية ، وفكرية ٠

والتعليم بالمراسلة ، طريقة تعليمية ، يتحمـل المعلم فيها مسئولية توصيل العلم ، والمهارة الى طالب لا يتلقى العـلم شـفويا ، بل يدرس فى مكان ، وزمان تحددهما ظـروفه الشخصية (١) ٠

وهذا النوع من التعليم ، يمارسه الراغبون من مختلف الأعمار ، فهو ليس قاصرا على سن معينة دون أخرى ، أو مرحلة عمرية دون غيرها ، كما أنه ليس قاصرا على نوع معين من التعليم ، أو مرحلة تعليمية معينة ٠

ويؤخذ به فى بلاد العالم ـ بصفة عامة ـ ولكنه يأخـذ صفة الاهتمام ، لتزايد الاقبال عليه ـ فى الدول المتقدمة من عالمنا المعاصر ، نظرا لتمتعها بالكثير من مستحدثات العصر، وتكنولوجيات التربية والتعليم ، كما يعتبر جزءا أساسيا أو مكملا لنظم التعليم الرسمية فى كثير من هذه الدول ، حيث تخضعه لاشرافها ، أحيانا ، أو يتبع هيئات خاصة ، تشرف عليـه ٠

لماذا هذا النوع من التعليم ؟

التعليم بالمراسلة ، أحد الظواهر التعليمية ، التى تتطلبها الحياة المعاصرة ، وذلك ،

---

(١) انظـر

التعليم بالمراسلة ـ من مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ (جامعة الدول العربية) القاهرة ١٩٧٥ ٠

لأسباب عديدة ، من بينها :

(أ) اتاحة الفرصة أمام الراغبين فى التعليم ، من الذين لا تمكنهم ظروف عملهم من تلقى العلم عن طريق المواجهة ، أو الانتظام فى الدراسة ، بالوسائل المباشرة ٠

(ب) اتاحة فرص التعليم أمام الراغبين ، ممن يعيشون فى المناطق النائية ، والتى يتعذر اقامة مؤسسات تعليمية، نظامية بها ٠

(جـ) اتاحة فرص النمو العلمى ، والمعرفى أمام الراغبين والمتطلعين الى تنمية ميـــولهم ، ومواهبهم فى المجـــالات المتنوعة ٠

(د) تمكين الراغبين فى التعليم من أبناء الدول النامية، والتى لا تتوفر فيها معاهد تعليمية ، كافية لسد حاجاتها ٠

(هـ) تقديم فرص التعليم للكبار ، والمسنين ، والمعوقين (جسميا) ، وكذلك للمرضى ، ونزلاء السجون ، وغيرهم ٠

(و) اشباع حب الاستطلاع ، والهوايات ، لدى المهتمين ببعض مجالات العلم ، والمعرفة ، والفنون المختلفة ٠

(ز) تعويض فرص اللقاء المباشر (التى يصعب اغتنامها) فى معرفة ، وملاحقة التطور العلمى ، والتقدم التكنولوجى، باستخدام أسلوب بديل ، أو خبرة بالعوض ٠

على أنه من الملاحظ ، أن التعليم بالمراسلة ، قد يعتمد فى كثير من أنواعه على الجانب النظرى ، ولكنه اذا اقتضت طبيعة الدراسة ، التطبيق العملى أو الجانب الفنى ، فانه يمكن تحقيق ذلك ، بعقد دورات فنية ، محدودة ، ومناسبة لهذه الدراسة ٠ وللمزيد من فعالية التعليم بالمراسلة ، ينبغى

توافر احساس القائمين عليه من المعلمين ، بالمسئولية تجاه متعلمين أو دارسين لا يرونهم ، وليس بينهم خبرات مباشرة، وكذلك، عليهم أن يجعلوا دراستهم ممتعة، وشيقة لراغبيها ·

- سمات التعليم بالمراسلة :

من السمات التى يمتاز بها هذا النوع من التعليم :

١ - المرونة فى تلبية رغبـــات المتعلمين ، المتنوعة ، والمتعددة ·

٢ - معالجة موضوعات الدراسة ، بما تتفق ، ومستوى المتعلم أو الدارس ·

٣ - تخطى حواجز ؛ كبر السن ، والمرض ، وبعـــد المسافة ، والحرج النفسى ، الذى قد يعانى منه بعض المتعلمين أو الدارسين ·

٤ - البعد عن مشكلات التعليم النظامى أو الرسمى ، وما قد يفرضــــه من قيـــود ، تقف حجر عثرة أمام الراغبين فى التعليم ·

٥ - اثراء المجال التعليمى بالعـــديد من الدراســات المتنوعة ، والبرامج المختلفة ، والتى تحدث تكاملا مع برامج التعليم النظامى ·

٦ - انه فرصة لتجديد المعلومات ، أو الدراسات ، أو الخبرات ، وتنميتها ، أو استكمالها ، والحصول على مزيد منها ·

(٤) هجرة العقول

ونعنى بها هجرة أصحاب العقول المفكرة ، وذوى المواهب من دول الى أخرى ، وبخاصة من الدول النامية الى الدول التقدمية ٠

وهو ما يعبر عنه بانسياب الطاقات البشرية من الدول النامية الى الدول المتقدمة ، ولا سيما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ ، ومن ثم أصبحت تشكل ظاهرة ملحوظة فى كثير من الدول المتقدمة ، من بينها : الولايات المتحدة الامريكية ، كندا ، استراليا ، المملكة المتحدة (بريطانيا) ، وغيرها ٠

كيف تتم هجرة العقول :

الواقع أن شعور أصحاب هذه العقول بعدم الرضا عن حياتهم الاقتصادية ، وأوضاعهم الاجتماعية فى بلادهم ٠٠ كان من أهم دوافع هجرتهم ، وتركهم دولهم الى دول ذات امكانيات اقتصادية كبيرة ، الى جانب تمتعها بمستحدثات العصر من العلم ، والتكنولوجيا ، فى حياة أكثر رخاء ، ورفاهية ٠

وبالاضافة الى ذلك ، هناك مجموعة من العوامل ، ساعدت على انتشار ظاهرة هجرة العقول ،

من هذه العوامل :

أولا ـ

تشجيع الدول المتقدمة ، الهجرة اليها ، وبخاصة المهنيين ، والفنيين ، للانتفاع بخبراتهم ٠

ثانيا ـ

رغبة الدول المتقدمة فى اثراء انتاجها ، وتحسين مستويات الاداء بها ٠

ثالثا ـ

عدم وجود ضوابط للهجرة من قبل الدول المهاجر اليها ، مما يساعد عى استمرار الهجرة ٠

رابعا ـ

اصدار بعض الدول المتقدمة، القوانين التى تبيح هجرة العقول ، وتشجعها ٠

خامسا ـ

الفروق الاقتصادية الكبيرة بين الدول النامية ، والدول المتقدمة ، واحساس المهاجر بنموه المهنى فى وجوده بالدولة المتقدمة ٠

سادسا ـ

تخفف كثير من الدول المتقدمة من قيود الهجرة، سواء ما يتعلق بالجنسية أو النواحى العنصرية ، فهناك دول مفتوحة لمن يريد من أى مكان ٠

وتشير الاحصائيات المتعاقبة الى تزايد نسبة العقول المهاجرة ، عاما بعد عام ، على أن هنياك طائفة من هذه العقول والخبرات ، تهاجر الى دول حديثة الثراء ، مثل : الكويت ، ولمالسعودية ، وليبيا ، والامارات العربية ٠

نوعيات العقول المهاجرة :

تتنوع العقول المهاجرة ،

فتشـمل :

(أ) مهنيين ، وفنيين فى المجالات المختلفة ، مثل : الاطباء ، وأطباء الأسنان ، والجـراحة ، والمهندسين ، علماء الطبيعة ، والكيمياء ، والجيولوجيا ، والبيولوجيا، وعلماء الاجتماع ٠

(ب) مجموعة من طلاب الجامعات ، الذين قدموا للتعليم، واستكمال دراساتهم ٠

النتائج المترتبة على استمرار هجرة العقول :

لاستمرار هجرة ذوى العقول والمواهب من بلادهم الى بلاد أخرى أكثر تقدما ،

الكثير من النتائج ، من أهمها :

١ ـ حرمان الدولة النامية من مزايا نشـاط المهاجرين ، وعائد انتاجهم ٠

٢ ـ نقص مقدار التفاعل بين عناصر الانتاج فى المجتمع، نتيجة لهجرة الخبرات المكونة له ٠

٣ ـ سيطرة فكرة اهتمام الدول المتقـدمة بالكفايات ، والتفوق لدى أصحاب الكفاءات الممتازة ، مما يدعوهم الى الهجرة ٠

٤ ـ فقدان الثقة فى نفوس المهاجرين ، بالنسـبة لبلوغ طموحاتهم فى بلادهم النامية ٠

خطورة هجرة العقول :

وهذه الخطورة ، تتمثل فى أن الصفـوة من المتعلمين ، تلعب الدور الأول فى المجتمع ، وقد يكون لهجرة العقول من البلاد النامية آثار بعيدة، تفوق كل تخصص، وتسبب خسارة اجتماعية جسيمة ،

فالبلاد النامية ، لا تحتاج الى مهارات خاصة ، فحسب، بل تحتاج الى القيادة ، والقدرة على التنظيم ،

وقد يؤدى استمرار هجرة العقول الممتازة ، ذات الخبرة الى خلق احساس بالاحباط على المدى الطويل ، والى حدوث آثار معدية ، وتقلل من قدر من تخلفوا ، وتقلل ، ثم تقلل من عدد القادة ؛ من السـياسيين ، والاداريين ، والمدربين ، اللازمين لدفـع عجـلة التطـور ، حين يحيـن الوقت المناسب (١) ٠

ولكن ٠٠٠ هل من علاج ؟؟

يمكن معالجة هذه الظاهرة ، عن طريق المبررات التالية: (كما يراها البعض)

ـ أن المهنيين الذين يزورون بلادهم النـامية ، بين الحين والحين ، يضيفون الى عائدها بعدة وسائل ٠

ـ أن عطاء المهاجر ، لا يتوقف على عودته ، أو على ذهابه وايابه ، وانما على مدى صلته ببلده النامى ، وقد يعـود اليه فى النهاية بكل مدخراته ٠

ـ أن المهنى العائد ـ بعد صقل مواهبه فى الدولة المتقدمة

---

(١) المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ـ مركز مطبوعات اليونسكو ـ القاهرة ـ (العدد الثامن والعشرون) ١٩٧٧ ص ٤٠

- يستطيع أن يحدث أثرا يفوق ما كان سيحدث قبل هجرته •

كذلك ، يمكن علاج ظاهرة العقول المهاجرة ، عن طريق: :

- زيادة مرتبات المهنيين ، والفنيين ، مع زيادة الحوافز المادية ، والتشجيعية ، مما يجعل الهجرة أقل بريقا فى نظر الراغبين فيها •

- يمكن الحد من الهجرة بفرض ضريبة على دخول المهاجرين بحيث تودع لدى هيئة التنمية بالأمم المتحدة ، ثم تجمع هذه الأموال باشراف ، على أن توجه للتنمية فى الدول النامية ، اسهاما من هؤلاء المهاجرين ، مقابل تمتعهم بمزايا فى الدول المتقدمة التى يعيشون فيها •

ذلك ، أن الضرائب التى تفرض ، تستقطع جزءا كبيرا من رواتب المهاجرين ، مما يقلل - ولو الى حد ما - من نسبة الهجرة ، فضلا عن استثمار المحصلات الضريبية فى منفعة الدول النامية ، والتى توجد مناخا تعاونيا متبادلا بينها وبين الدول المتقدمة •

- استخدام الأساليب المقيدة للسفر خارج الدول النامية ، مع وجود علاقات دولية منظمة للهجرة ، فلا بأس من الاستفادة من خبرات النابغين والمتخصصين فى المجالات المختلفة ، وبين شعوب العالم ، ولكن ينبغى ألا يكون ذلك، على حساب استغلال دولة لطاقات أبناء دولة أخرى •

(جـ) طبيعة المجتمعات

نتناول هذا الموضوع من حيث :

١ - نوعية المجتمع
٢ - وسائط التربية فى المجتمع
٣ - ثقافة المجتمع
٤ - فلسفة المجتمع

(١) نوعية المجتمع :

من سمات عالمنا المعاصر ، انقسام المجتمعات البشرية الى نوعيات متعددة - كما سبق أن ذكرنا - من حيث فلسفات التربية ٠

على أن المجتمع العالمى فى هذه الفترة من حياة البشر ، يعيش مرحلة تحول جديدة ، تتميز بأبعاد ثقافية ، واقتصادية ، واجتماعية ، وسياسية ، ذات أنماط متباينة حتى أنه اصطلح فى الآونة الحالية الى تقسيم شعوب العالم الى مجموعتين : المجموعة الغنية ، وهى المجتمعات التى وصلت الى مرحلة ما بعد التكنولوجيا ، ومجموعة الشعوب الفقيرة ، التى تمارس حياتها بوحى من المعطيات التكنولوجية للدول المتقدمة ٠

أما الدول الغنية ، فيزدهر الرخاء فيها بدرجة تبلغ حد الترف فى كثير من الاحيان ، وأما الدول الفقيرة ، فلا يتوفر لشعوبها من أسباب الرخاء ، والرفاهية الا أقله ، حتى أن هناك - كما تشير احصائيات البنك الدولى سنة ١٩٧٧ - عشرة آلاف انسان يموتون يوميا بسبب الجوع ، وأن هذه النسبة ، متركزة فى الشعوب الفقيرة أو النامية ٠

كما نتج عن « تفجر المعرفة » وما ترتب على ذلك من آثار

شملت النظم الاجتماعية ، والاقتصادية ، أن اتسعت الفجوة بين الدول المتقدمة ، والدول النامية فى مختلف المجـالات، ومنها مجال التربية ،

ويتضح ذلك ـ بجلاء ـ مما يأتى :

(أ) يمثل سكان الدول المتقدمة ، نحو ثلث سكان العـالم، وقد بلغ ما أنفق على التربية فى تلك الدول (عام ١٩٦٨) مبلغ (٢٠) مليـار دولار ، بينما أنفق على التـربية فى الدول النامية فى نفس الفترة (رغم أنها تمثل نحو ثلثى سـكان العالم (١٢) مليار دولار فقط ٠

وبذلك يكون ما تنفقه الدول المتقدمة على التربية ، عشرين مثلا ، مما تنفقه الدول النامية ٠

(ب) أن المجتمعات المتقـدمة ـ على الرغم من تركيبها الطبقى ـ الا أنها تحقق قدرا من الوحدة بين عامة الجماهير وبين الطبقات العليا ، قد لا يتوافر فى المجتمعات النامية ، التى تكاد تنقسم ـ اجتمـاعيا ـ الى طبقتين منفصلتين ، والتى تكاد تنقسم ـ حضاريا ض الى حضارتين متباينتين ، ثم ما يمكن أن يترتب على هذا الانقسـام الاجتمـاعى ، الحضارى من مؤثرات داخلية ، ومن احتمالات الصراع ، الذى يعوق عمليات النمو الاقتصادى ، وتحقيق التقدم ٠

(جـ) وجود تباين واضح ـ أو انقسام ـ بين المتعلمين وغيرالمتعلمين فى مجتمع الدول النامية اذ تتميز هذه الـدول بوجود فئة قليلة ، تمثل الصفوة المثقفة أو المتعلمة ، وهـذه الفئة ، تنتمى عقليا ، واجتماعيا الى مجتمعـات غريبة عن مجتمعاتها الأصلية ، بينما يوجد هذا التبـاين فى الدول المتقدمة بدرجة قليلة نسبيا ، ذلك أن الحد الأدنى من التعليم، الذى يحصل عليه كل فرد فيها ، يجعل الفارق بين المتعلمين

الزاميا ، وبين المثقفين ، فارقا أقل من الموجود بين مثقفى هذه الدول وبين الأميين فيها ٠

وبالرغم من تقسيم العالم الى هاتين المجموعتين ، اللتين أشرنا اليهما ، ينبغى ألا نغفل بعض الحقـــائق عن واقـــع المجتمعات المعاصرة ، حيث تنقسم الى نوعيات متعددة

ويرتكز هذاالتقسيم على مجموعة من الأسس ، من أهمها :

١ ـ أساس اقتصادى :

ويركز على الناحية الاقتصادية ، وما يتصل بها من انتاج ، واستثمار ، وقدرة على الاستفادة من الطاقات البشرية فى تنمية المجتمع ، ويقسم دول العــالم على اعتبارات اقتصادية متنوعة ، مثل الدول الرأسمالية، والدول البترولية ، دول السوق الاوربية المشتركة ، دول الكمنولث ٠

٢ ـ أساس تقدمى :

ويركز على الجانب الحضــارى ، ويعنى بتقسيم دول عالمنا المعاصر الى نوعيات من التقدم الحضـــارى ، والذى يتبعه غالبا ـ تقدم اقتصادى ، واجتمــاعى ، وثقافى ، ٠٠٠ وفى ضوء هذه المعايير تقســـم الدول فمنها ، التى قطعت شـــوطا بعيدا فى سلم التقـــدم الحضارى ، ومنها ، التى لم تبلغ بعـــد ، من درجات هذا السلم ، ما يمكنها من التمتع بالحياة التقدمية ، المتطورة ٠

٣ ـ أساس قومى :

ونعنى به تقسيم الـــدول الى مجمـــوعات تنتمى الى مضمون قومى ، يربط بينها ، نتيجـــة عـــدة عوامل

مشتركة ، مثل مجموعة الدول العربية ، حيث تعيش المنطقة العربية فى مجتمـــع واحـــد (أو مجتمعات متجانسة متجاورة) تربط بين دوله ، وحدة التـاريخ واللغة ، والآمال ، والعـادات ، والتقاليد ، وكذلك تطلعات المستقبل ، ومن ثم فهى تمثل الوطن العـربى فى عالمنا المعــاصر ، ومن ذلك ، أيضا ، مجموعة شعوب الاتحاد السوفيتى بجمهورياته الستة عشرة ، ... وهكذا .

٤ ـ أساس عقـائدى :

وهذا، يعنى تقسيم الدول على أسس دينية أو عقائدية، فدول يطلق عليها « دول اسلامية » لأن غالبية السكان بها، يدينون بالاسلام، وهناك « دول شيوعية » التى تتخذ الفكر الشيوعى، اتجاها عقائديا لها (فلا دين ولا معبود فى نظرها) ، وهناك دول تتواجد بها ثنـائيات العقيدة ، فتوجد المسيحية الى جانب الاسلام ، مثلا ، وتوجد الهندوكية أو البوذية ، مع الاسلام فى مجتمع واحد ، وتوجد المسيحية مع اليهودية .. وهكذا .

٥ ـ أساس جغـرافى :

والمقصـــود بذلك ، تقســيم دول العــالم من واقع جغرافيتها ، فهذه ، دول افريقية ، وتلك ، دول آسيوية، وهناك دول البحر الأبيض المتوسط ، وأخرى ، دول جنوب شرقى آسـيا ، وهـــذه ، دول شبه جـــزيرة اسكندناوه ، أو دول الخليج العربى ، أو دول القـرن الافريقى ... وهكذا .

٦ ـ أساس سـياسى :

ويقصد به ، تقسيم دول العالم الى نوعيات سياسية،

من حيث نظام الحكم ، أو كيفية الحكم وطبيعته ، فهذه دول ملكية، وهذه دول جمهورية، وتلك دول مستعمرة، وأخرى مستقلة ، أو متحررة ، كذلك ، هنـــاك ، دول وارسو ، ودول محايدة (مثل دول عـــدم الانحياز أو الحياد الايجابى) وهناك دول تنتمى الى أحلاف، مثل: دول حلف شمال الاطلنطى ، ... الى غير ذلك من نوعيـــات الدول .

هذه النوعيات من دول عالمنا المعـــاصر ، لها جميعها - ديناميتها الداخلية فى مجتمعاتها ، ولها تفاعلها مع غيرها.

على أن كلا من التفاعل الداخلى ، والتفاعل الخارجى ، يصبغ سلوكيات هـــذه الدول بصبغة تجعلها تتسم بسماتها الخاصة ، والتى تميزها عما سواها ، وان بدت متقـــاربة من بعضها .

حقيقة أن هناك ، سمات مشـــتركة بين الشـــعوب فى مجتمعاتها ، ولكن - رغم ذلك - فان تلك النـــوعيات ، من شأنها ابراز سمات كل دولة ، أو كل مجموعة دول (عـــلى الاكثر) ، بحيث تلعب الثقافة - فى احداث هذه الســـمات - دورا كبيرا .

وبالتالى ، فان هذه المجمـــوعات من الدول - بسماتها وثقافاتها - تجعل مجتمعنا العـــالمى المعـــاصر ، يعيش فى ديناميكيات ، قد تكون متوافقة أحيانا ، ولكنها ، قد تكون متصارعة أحيانا أخرى ، أو متنـــاقضة ، ... وتلك ، هى سمة العصر .

(٢) وسائط التربية فى المجتمع :

فى فصل سابق ، تحدثنا عن وسائط التربية فى المجتمع، وكيف أنها متعددة ، ومتنوعة ؛ فمنها الوسائط النظامية ،

وغير النظامية ، ومنها الوسائط المباشرة ، وغير المباشرة ٠٠ وكلها جميعها تتفاعل نتيجة ممارسة الفرد فى حياته داخل مجتمعه ، ومن ثم ، تتكون شخصية داخل الاطار العام ، الذى يقوم عليه المجتمع ٠

وبديهى أن الدول ، ليست على درجة واحدة من نوعية أو فاعلية وسائط التربية ، اذ بقدر الظروف المتاحة لها ، تكون هذه الوسائط ، وفاعليتها ٠

ومن السمات العامة لعصرنا الحاضر ، وجود بعض المجتمعات الحديثة ، أو المتطلعة الى حياة أفضل ، والمتجهة الى تغيير فى أنماط حياتها ٠

كذلك ، فان هذه المجتمعات الحديثة لكى تساير اتجاهات العصر ، ينبغى أن تتخلص من كثير مما تمرسته من قبل ، مثل الجمود فى التفكير ، والرتابة فى أسلوب الحياة ، والعزلة الحضارية ، حتى تصبح مجتمعات دينامية ، متفاعلة ٠ وبالتالى ، فان وسائط التربية فى مجتمعاتنا المعاصرة، ينبغى أن توجه التوجيه الذى يساير العصر ، ويحقق غايات المجتمع ٠

وتستطيع وسائط التربية أن تقوم بأدوار اجتماعية هامة فى تدعيم وجود المجتمعات الحديثة كالدول المتحررة حديثا ، والتى نفضت عن كاهلها غبار الاستعمار ، سواء ذلك فى نظم تعليمها أو مؤسساتها التربوية ، فعنايتها بوسائط التربية، هى فى واقعها عناية بأفرادها وقواها البشرية ٠

كذلك ، فان العصر الحاضر، يملى على المجتمعات ضرورة اعادة النظر فى وسائط التربية بها ، وهذا، يقتضى اليقظة الى التطور الواعى ، المستند الى العلم ، والمتلائم مع ظروف٦٦ ما هو جديد للانتفاع به ، والتحرك والتطور الواعى ، المستند الى العلم ، والمتلائم مع ظروف المجتمعات وفى مجال التعليم

النظامى لم تعد النظريات الجامدة ، أو القوالب ، والانماط المصبوبة صالحة لعصر التغير والتطور ، ولم تعد النظم ، والاساليب التى كانت تستخدم من قبل صالحة، ولاسيما بعد أن ظهرت الثورات الاجتماعية، بأبعادها ، وفلسفتها ، ومحيط عملها الواسع، وبالتالى، فانه ينبغى أن تستجيب السياسات صالحة لعصر التغير والتطور ، ولم تعد النظم ، والاساليب التربوية لحركة المجتمعات ، وأن تكون من الوعى ، والكفاءة بحيث تشمل الاحتمالات ، والبدائل ، التى تتفق والخطوط العامة لحركة تطور المجتمعات نحو المستقبل ·

بالاضافة الى ذلك ، فان سمات العصر ، تقتضى ـ من أجل الارتقاء بالمجتمعات ـ ينبغى ألا يعتمد المجتمع على نظم التعليم المنقولة أو المستوردة دون مواءمة ثقافية ، فان تقدم التربية ، وتطورها ، لا يمكن أن يتم الا عن طريق مسارات خاصة ، تتفق ، وظروف كل مجتمع ، من حيث تاريخه ، وحاضره، ومستقبله، وقد ثبت بالتجربة، فشل النظم المنقولة فى تحقيق أهداف المجتمعات التى نقلت اليها ·

وعلى وجه العموم ، يحتاج عالمنا المعاصر فى هذه الأعوام احساس عام برغبة الدول فى اعادة النظر فيما لديها من أوضاع تعليمية وتربوية ، مسايرة لاتجاهات العصر ، ولم يعد ذلك قاصرا على مجتمع دون آخر ، بل كاد يعم المجتمعات كافة ، سواء المتقدمة منها أو النامية ؛ فقد أعلنت الولايات المتحدة الامريكية (فى عام ١٩٧٠) أن نظامها التعليمى ، أصبح فى حاجة ماسة الى التطوير ،

وفرنسا ، تتتابع فيها محاولات الاصلاح التربوى ، وهى تواجه الآن الاصلاح السادس ، الذى يشتد الجدول حول ما تضمنه من مقترحات لاصلاح نظام التعليم الثانوى ، وهو القلق ، الذى يعبر عنه بطرق متفاوتة ، من جانب الطلاب ، ونقابات المعلمين ، ومجالس الآباء ، والاحزاب السياسية ·

وانجلترا، تتتابع فيها المحاولات، والاجتهادات، والبدائل، فنرى فى مجالات التعليم الثـــانوى ، المدرسة الثـــانوية الاكاديمية ، والأخرى الفنية ، ثم المدرسة الشاملة ٠

ثم ، هم (الانجليز) يرجعون أو يعــدلون عن التخصص المبكر بعد المرحلة الابتــدائية ، ويكاد امتحـــان الشهادة الابتدائية ، يفقد أهميته ، وكذلك يرى المســـئولون هناك ، ضرورة انشاء أو وجود شهادة جـــديدة فى نهـاية المرحلة الثانوية ، يطلق عليها « شهادة التعليم الثانوى »

بجانب الشهادة التقليدية ، المسماة باسم « شهادة الثانوية العامة »

ويمتد نشاطهم ، فيشمل محتوى التعليم ، وطرق التدريس، ووسائله ٠ وألمانيا الاتحادية (الغربية) التى كانت من أكثر الدول تحفظا فى تعديل نظامها التعليمى ، العريق ، أقدمت هى الأخرى على تعديل ، واصلاح هذا النظام (١) ٠

ولسنا فى حاجة الى الاشـــارة الى أن الدول النامية — كذلك — تحاول اصلاح نظمها التعليمية الحالية ، والتى هى — فى الغالب — نظم مستوردة ، فلا هى ملائمة لظروف هذه المجتمعات ، وامكانياتها ، ولا هى محققة لآمالها ٠

ونحن فى مصر ، نحاول — من وقت لآخر — اعادة النظر فى أنماطنا التربوية ونظمنا التعليمية — مدعمين ايجابياتها ، ومستبعدين سلبياتها — ووضــعها فى الاطار العام لمقومات مجتمعنا ، وفى ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة ٠

---

(١) من تقرير اللجنة الدولية لأصلاح التعليم — ١٩٧٦

(٣) ثقافة المجتمع

الثقافة فى المجتمع ـ كما هو معروف ـ هى طراز الحياة فيه ، بكلياتها ، وجزئياتها ، ومكونات هـذه الثقافة ، هى مكونات المجتمع ؛ بشريا وماديا ، ومعنويا ، وتفاعل هـذه الثلاثية (الانسان ، والمكونات الحسية ، والمعنويات الموجهة) هى التى تميز المجتمع عن غيره من المجتمعات (كما سبق أن أوضحنا)

وهنا ، نود أن نشير الى أن ثقافة الشعوب فى عالمنا المعاصر ، عصر سرعة الانتقال ، والاتصال ، والتغير ، تتأثر بدرجة كبيرة ، بجملة أمور ، من بينها :

(أ) مقتضيات العصر :

ذلك أن طبيعة المجتمعات فى عصرنا الحاضر ، لا تستطيع الحياة المقفلة ، دون أن تتأثر بما يعيشه العصر ، ولما كان الانسان اجتماعيا بطبعه ، وتكمن فى نفسه ، الرغبة الدائمة فى حب الاستطلاع ، فانه دائم التجديد ، والاضافة الى فكره ، والى معلوماته ، والى انتاجه ، ومن ثم ، تزداد المعرفة ، وتنمو الثقافة ، وتتجدد ••

أضف الى ذلك ، أن المجتمع البشرى ، لا يمكنه أن يعيش فى عزلة مغلقة ، وأن حياة الشعوب ، والمصالح المشتركة بينهما ، تجعل الدول فى صلة مستمرة ببعضها ، وما المؤتمرات ، والتنظيمات الدولية ، الا تأكيدا لذلك ، على أنه ، ان صح هذا ، منذ فجر التاريخ ، والأطوار الأولى لحياة البشر ، فانه ـ فى عصرنا الحاضر ـ من لزوميات العصر ،

فالدول المتقدمة ، أو الدول الكبرى ، فى حاجة الى الدول النامية ، أو الدول الصغرى ، سواء عن طريق التعاون فى

مجال الخدمات ، أو عن طريق الافادة من العقول المفكرة من أبنائها ، وذوى المواهب فيها ،

والدول النامية فى حاجة الى الدول المتقدمة للافادة من سبقها العلمى والتكنولوجى ، وهكذا فثقافة المجتمع تتعرض للتزاوج مع ثقافة أخرى نتيجة ما يحدث بين الدول بعضها ، البعض من اتصال ، ساعدت ظروف العصر على احداثه ٠

(ب) التيارات الوافدة :

ونعنى بها ، ما يتعرض له مجتمع أية دولة من تيارات ثقافية وافدة اليه ، سواء من الشرق أو من الغرب ، منها ما يحدث عن طريق أولئك الدارسين فى دول العالم ، أو أعضاء البعثات ، أو الممثلين لدولهم فى مهام علمية أو فنية ٠٠٠ الخ حيث تمتزج ثقافتهم بثقافة المجتمع ، الذى يمضون فيه سنوات ، قد تطول ، وقد تقصر ، فيمتصون خلالها ، بعض العادات أو التقاليد، أو تستهويهم بعض الافكار والنزعات، ٠٠٠ ثم ، اذا هم رجعوا الى أوطانهم ، تمرسوها ، أو حاولوا نشرها ، بأسلوب مباشر أو غير مباشر ، وبالتالى ، ينتقل سلوكهم هذا ، - بطريق العدوى - الى الآخرين ٠

وقد تكون هذه التيارات عن طريق المناهج الدراسية ، والبرامج التعليمية ، والأساليب ، ووسائل التربية غير المباشرة ، المستوردة ، رغبة فى التجديد ، أو حبا فى التشبه، والتقليد ٠

وقد تكون عن طريق ممارسة فئة من المواطنين لبعض الاتجاهات المحببة الى نفوسهم ، وارتباطهم بأفكار دخيلة ، يترجمونها الى سلوك ، ومن ثم، تتحول الى ظاهرة ، فتنتشر ، وتثبت ٠

(جـ) المد الحضارى :

يزخر عالمنا المعاصر ، بحركة مد حضارية كبيرة ، تشمل جميع الدول ، مع اختلاف درجة هذا المد من دولة الى أخرى، فمن سمات العصر، الأخذ بالاتجاهات الحضارية؛ فالعلم ، والتقدم العلمى، من المظاهر الحضارية٠ والكشف، والاختراع وما يحدثه من تغير فى حياة الشعوب ، ٠٠ من المظاهر الحضارية٠ وتدريب الطاقات البشرية، وتحويلها الى وسائل انتاج ، من المظاهر الحضارية ، والاهتمام بالصناعة ، والتصنيع ، وانتاج ما ينفع الناس ، ويسهم فى رفاهيتهم ، من المظاهر الحضارية ٠

واستخدام تكنولوجيا التعليم ، والتطلع الى ما هو أكثر جدوى ، وأكثر عطاءا للمجتمع ، من المظاهر الحضارية ٠

كل هذه الأمور ، وما تستلزمه لاحداث فعاليتها ، عامل هام فىتكوين ثقافة المجتمع، وامدادها بالكثير من العناصر، واثرائها بالمتنوع ، والجديد منها ، انه مد حضارى مستمر٠

(٤) فلسفة المجتمع

فى حديثنا عن الفلسفات التربوية ، التى تأخذ بها نوعيات دول عالمنا المعاصر، تعرضنا ـ فيما سبق ـ لبعض التطبيقات التربوية لها ، أى كيف تمارس دول العالم ، فلسفتها عمليا؟

والواقع ، أن حياة كل مجتمع فى هذا العالم ، مزيج من عناصر ثابتة ، وعناصر متغيرة ، تتفاعل ، فتنتج مركبا ، له سمات تميزه عما سواه ، وتلك ، هى ثقافته ٠

وهذه الثقافة ، ذات أهمية كبيرة فى نوع الفلسفة التربوية التى ينتهجها المجتمع ،

والفلسفة التربوية ، التى تتخذها الدول فى حيـــاتها ، لا تتخذها ، من أجلها ذاتها ، وانما لتساعدها على تطوير نظـــرتها للعملية التربوية ، وعلى توجيـــه مجهـــوداتها ، وتنسيقها ، وعلى تحسين طرائقها ، وأساليبها فى التدريس، ثم من أجل التقويم ، والتوجيه ، والادارة ، وكذلك لمعاونتها على رفع مستوى معالجتها للمشكلات التربوية ٠

ويمكن تقدير مدى فاعلية الفلســـفة التربوية للمجتمع ، بمدى نجاحها فى توجيه سلوك الأفراد، وفى تعديل تصرفاتهم وعلاقاتهم ، واتجاهاتهم الفكرية ، والاجتماعية ٠

فالنتائج العملية ، هى المعيار الصـــادق للحكم على أى موقف توبوى ، أو أية فلسفة أو نظرية تربوية ، وهى ــ كذلك ــ معيارنا للحكم على مدى نجاح هذه الفلسفة (١) ٠

والمجتمع ، عندما يضع فلسفة تربوية يسير عليها ، فانه يضع تصورا كاملا عن المبادىء، والمعتقدات ، والفروض ، والمسلمات ، التى يؤمن بها ، بالنسبة للقضايا ، والمشكلات التربوية المختلفة ، ويرغب أن تكون الأساس ، الذى يقيم عليه أهدافه ، وســـياسته ، وخططه ، ومشروعاته ، ومناهجه ، وطـــرائقه التعليمية ، ويعـــالج فى ضـــوئها ، مشـــكلاته التعليمية ٠

على أن تنـــوع الفلسفات التربوية فى الوقت الحاضر ، دليل واضح على وجـــود نزعة الانفرادية لدى المجتمعات الانسانية ؛ فكل منها ، يبغى أن يتصف بالتمايز عما سواه ٠

وهى ــ فى نفس الوقت ــ تشير الى أن تمايز الشخصية القومية للدولة ، أو مجموعة الدول ذات السمات المشتركة،

---

(١) انظر : د٠ صادق سمعان ــ الفلسفة والتربية ــ محاولة لتحديد ميدان فلسفة التربية ــ دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٢ ص ١٧٧ ٠

من ظواهر هـــذا العصر ، كما أنهـــا ، دليل على أن تأثر المجتمعات بسمات العصر ، ليست بالدرجة الواحدة ، إذ أنها ليست متساوية فى تقبلها لمستحدثاته ، أو استيعابها لسرعة التطـــور ، وقابلية التغير ، وليست امكانيـــاتها المادية ، والبشرية بدرجة متساوية ، تمكنها من التفاعل الحضارى، القائم ، بنفس الحجم ، أو السرعة .

أضف الى هذا ، ما تعيشه نوعيات المجتمعات من فــكر فلسفى ، له صداه على فكرها التربوى .

وفلسفات التربية فى عالمنا المعاصر ، كثيرة ، ومتنوعة ، سواء كانت مســتقرة ، أو مضطربة ، واضـــحة ، أو غير واضـــحة .

انها نوعيات متباينة من فلسفات التربية ، فى مجتمعـــات العصر الحديث ؛ لكل منها ، سماتها ، ومبرراتها ، وأسلوب تطبيقها ، وممارستها فى حياة المجتمع .

ويرى البعض ، أن هذا التباين فى فلسفات التربية ، يعتبر ظاهرة صحية ، يعيشها العالم فى الوقت الحاضر ؛ فلكل منها أبعادها السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والحضارية، وظروف الأخذ بها ،

وهذه الصحة ، التى تطلق على ظاهرة تعدد الفلسفات التربوية ، انما تعزى الى أن الانسان يتفاعل داخل مجتمعه فى اطار ما حوله من ظروف ، وما يحيط به من قوى أو عوامل موجهة لهذا التفاعل .

واذا كان الأفراد يتفانون فى مقدار استجابتهم لمثير من المثيرات ، فانه بالتالى، ، تكون اســـتجابة الدول لمتطلبات العصر ، وفقا لظروفها ، والعوامل المحيطة بها .

وهذا ، ما يدعونا الى القول بأن بعض مجتمعات هـــذا العصر ، مطالبة بمواجهة تحديات كثيرة لكى تحقق فعـــاليتها فى ديناميكية المجتمع الدولى .

تعقيب وخاتمة :

هنا ، نقف وقفة وجيزة ، ذلك أننا ، اذا قارنا بين فلسفات التربية فى المجتمعات المعاصرة ، ربما لا نجد قواسم مشتركة كثيرة بينها ،

ولكن السمة السائدة ، هى تنوعها ، وتباينها ؛

ففلسفة التربية العربية – على سبيل المثال – قد تشترك مع فلسفة التربية الاسلامية ، فى طبيعتها ، ولكنها تختلف فى أساليب ممارستها ،

وفلسفة التربية الرأسمالية ، قد تشترك مع فلسفة التربية الشيوعية ، فى تقدمها ، واهتمامها بالعلم ، والتكنولوجيا ، ولكنها تختلف عنها فى مدى الحرية المكفولة للافراد ، واحترام رغباتهم ، بينما نجد الشيوعية تحد من الاهتمام بالفرد ، وتركز اهتمامها على المجتمع ·

والدول النامية، قد تشترك فى فلسفتها التربوية مع الدول العربية ، فى تركيزها على الجانب النظرى فى التعليم ، وافتقارها للقوى البشرية، ذات المستوى العالى من التدريب، ولكنها تختلف عنها فى أن بعض الدول العربية ، ينتمى الى الدول الرأسمالية ، ولكنها رأسمالية متخلفة (وهى الدول النفطية) ·

على أن فلسفات التربية فى دول عالمنا المعاصر ، تشترك كلها فى استجابتها للتغير ، فى طبيعة المجتمعات ، والرغبة فى التقدم ، ولكنها تختلف فى درجة هذه الاستجابة ، طبقا لظروفها ، وامكانياتها ·

وواقع هذه الفلسفات المتداخلة فى بعض سماتها (الى حد ما) أنها توجه فى مجتمعاتها الوجهة التى تقتضيها متطلبات الحياة بها ·

ولما كانت الغـــاية من فلســـفة التربية فى المجتمعـات الانسانية ، تتركز فى اكساب أفراد المجتمـــع ، القيم التى يتشربونها ، ويتمرسونها لتثبت فى سلوكهم ، فان هذه القيم، تنبع من ظروف المجتمع ، ومراميه فى الحياة ، سواء كانت قيما خلقية ، أو قيما سياسية ، أو قيما اقتصادية ، أو قيما معرفية ، أو قيما اجتمــاعية ، ... ممثلة فى مجمـــوعة الأهداف ، والمثل ، والقوانين ، التى توجه الانسان . وعـلى سبيل المثال ، يختلف مفهوم القيم الخلقية من فلسفة تربوية الى أخرى ، فهو فى التربية الاسلامية ، يستمد من طبيعة الاسلام ، وجوهره، بينما يستمد حقيقته فى التربية الشيوعية من مضـمون الفكر الشـيوعى ، ولخدمة الشيوعية وتحقيق أهدافها .

فالقيم الخلقية ، ليست مادة دراسية مستقلة ، يدرسها الناشئون ، بل هى طاقة توجه العملية التـربوية ، وتتضح معالمها فى المولقف التى قد يتعرض لها الفرد ، سواء كان ذلك فى المنشـــآت التعليمية النظـامية ، أو فى غيرها من تنظيمات المجتمع ،

وهنا ، ينبغى توافر التكامل بين المؤسسات الاجتماعية، على اختلاف أنواعها ، حتى يمكن تحقيق قيم المجتمع .

والسياسة ، والنظام السياسى للدولة ، يتضمن قيما تهدف الدولة الى تحقيقها ، ذلك ، أن السياسة ، هى العلم (أو منهج الحياة) الذى يبحث فى التنظيم الاجتماعى المثالى ، وفى الصورة المثالية للدولة ،

وما دامت السياسة كذلك ، فهى تدخل فى صميم الأخلاق، والقيم الخلقية ، وهى وثيقة الصلة بالتربية ، التى هى أداة خلق المواطن ، الذى يتوقف عليه تخليق الصورة المثـــالية للدولة .

ومن أجل هذا ، فان السياسة بمضمونها الأخلاقى ، لها وزنها التربوى فى حياة المجتمعات ٠

والنظام الاقتصادى فى المجتمع ، له خلفية اقتصادية ، فالنظريات الاقتصادية ، ليست مجرد نظريات تقوم على مبادىء علمية ، أو تصورات عن علاقة الانسان ببيئته ، ووسائل الانتاج ، بل انها تولد قيما معينة ، وتستند - كذلك - الى قيم معينة ؛

فالفرق بين الرأسمالية ، والاشتراكية - مثلا - ليس فرقا فى علاقة الناس بوسائل الانتاج فحسب ، بل انه فرق فى القيم الخلقية ، التى تشكل علاقات الناس ، بعضهم ببعض ، وفى الأنظمة التى تجسد هذه العلاقات ، وما تتضمنه من قيم (١) ٠

على أن قيم المجتمع ، قد تعتريها هزة أو اضطراب ، عندما يتعرض المجتمع لحالات التغير ، أو التحول (كما يحدث عقب قيام الثورات) وفى هذه الحالات ، وغيرها ، يكون للتربية دورها الهام فى تثبيت القيم الجديدة ، أو الحفاظ على النافع من القيم السابقة ٠

وقبل أن ننهى حديثنا عن سمات هذا العصر ، وأوضاع التربية فيه ، نعود ، فنشير - فى ايجاز - الى أن التربية تتأثر - فى طبيعتها - بجملة أبعاد ، منها :

البعد المكانى ؛

ذلك أن التربية فى مجتمعات الشعوب ، تتأثر بطبيعة المكان الذى توجد به ، وتستمر فيه ، أى البيئة التى

---

(١) د٠ محمد الهادى عفيفى - فى أصول التربية (الاصول الفلسفية للتربية) - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٤ ص ٢٨٥ ٠

يعيش فيها الانسان ، ويتفاعل مع مكوناتها ، ويؤثر فيها ، ويتأثر بها ٠

البعـد الزمنى ؛

وهو العصر الذى تتم فيه التربية ، والفترة الزمنية ، التى تكتمل فيها طبيعتها ٠
والتربية تتأثر بهذا البعد ، من حيث قربه من فترات النضج الانسانى ، أو مراحل الرقى الحضارى ، أو عصور التقدم ، والتطور ، فهذه كلهـــا ، ذات تأثير مباشر على التربية ٠

البعـد الحضـارى ؛

ونعنى به درجة حضارة الشعوب ، ومدى استمتاعها بهذه الحضارة، وما لديها من رصيد حضارى، يمكنها من تطبيع أبنائها بروح العصر ، وما تملكه من قدرة على مواجهة التغير الاجتماعى ، والحضارى ، الذي قد تتعرض له ، ثم مدى استجابة التربية لذلك ٠

البعـد الاجتمـاعى ؛

ونعنى به طبيعـة الحيـــاة فى المجتمـع ، والتركيب الاجتماعى ، المكون لنسيجه ، وكيفية ممارسة الأفراد، والجماعات لحياتهم ، بما فيها من نظـــم ، وتقاليد ، وعادات ، وتنظيمات ، وطرز اجتماعية ، أو قـــوى ثقافية ، متنوعة ، متفاعلة ، تشكل طبيعة التربية ٠

البعـد الاقتصادى ؛

وهو ما نعبر عنه بالكيان الاقتصادى، بصوره المختلفة والذى من شأنه توجيه عمليات التربية باعتباره أحـد الركائز الهامة فى احــداثها ، ذلك أن الاقتصـــاد ، والتربية بينهما ، ـ كما تؤكد كثير من الدراسات ـ علاقة تبادلية ، ومضـطردة ، فى أغلب الأحيـــان ؛

فالاقتصاد ، سبيل من سبل تقدم العلم ، والتعليم ·
وكذلك ، فان التربية ، عامل هام من عوامل الاقتصاد، والاستثمار ·

ولقد سبق أن تناولنا ـ بشيء من التفصيل ـ هذه الأبعاد، فى فصل سابق ، عند حديثنا عن ركائز التربية ، ولكننا ، عودنا فذكرناها ، هنا ، فى عجلة ، لتمدنا بمزيد من الضوء، نلقيه على أوضاع المجتمعات المعاصرة، ذات الأبعاد المتعددة بل المتناقضة فى كثير منها ، وهى ـ فى ذات الوقت ـ مطالبة بمواكبة العلم ذلك ، أن عصرنا الحاضر ، هو عصر العلم ، ولكن اذا كان العلم ، قد نشر قوانينه ، وأجرى تجاربه ، وتوصل الى مخترعاته ، فان طريقه فى المجتمع محفوف بالشوك ، تحاصره الاخطار من كل جانب ، ما لم تقم فلسفة التربية بوظيفتها فى تبيان القيم التى يسعى العلم الى دحضها ، والقيم الأخرى التى لابد لها أن تبقى ، وتأثير ذلك كله فى حياة الانسان ؛ فى حاضره ، ومستقبله ،

ان مدلول العلم الوصفى ، فى ناحيته العملية ، يتضمن دائما ، الأهداف ، التى يهم المجتمع ، الوصول اليها ، فاذا انعزل عن هذه الاهداف ، لم يبق فرق بين استخدام اكتشافاته لشفاء المرض ، أو انتشاره ، أو بين زيادة الوسائل للمحافظة على الحياة ، أو زيادتها لصنع الآلات الحربية ، القاضية على الحياة ·

فاذا كان المجتمع يهتم بأحد هذه الأمور دون الآخر ، فان العلم هو الذى يريه طريق الوصول اليه ·

وبذلك ، تكون للفلسفة مهمتان : (١)

---

(١) جون ديوى ـ الديموقراطية والتربية ـ ترجمة متى عقراوى ، زكريا ميخائيل (ط ٢) مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة سنة ١٩٥٤ ص ٣٤٠

أولاهما :

نقد الأهداف الحاضرة ، بالقياس الى وضـــع العلم الحاضر، وبأن القيم القديمة، أصبحت بالية، بالقياس الى ما بين أيدينا من موارد .

ثانيتهما :

تفسير نتائج العلم واختصاصاته ، من حيث أثرها على مساعى البشر فى المستقبل .

ومن أجل هذا ، ينبغى أن تكون فلسفة المجتمع ، علىجانب كبير من اليقظة ، بحيث يمكنها التنسيق بين حاجات العصر، وأبعاد المجتمع ، وبنائه الثقافى .

ومن أجـل هذا ـ أيضا ـ ينبغى أن تكون فلسفة التربية فى المجتمعات ، فلسفة واضحة المعالم ، هادفة الى غايات ، تحقق النفع للبلد الذى وجدت فيه أولا، ثم للجماعة الانسانية التى تنتمى اليها ، كأسرة بشرية ، متكاملة ، ثانيا .

وبعـــد ،

فشــكرا جــزيلا ، أيها القــارىء الكريم على حسن متابعتك لجــولتنا المحدودة فى مســيرة التربية ، داخـل مجتمعــات عالمنا المعاصر .

المراجـع

أولا - بعض المراجع العربية

١ - د. أبو الفتوح رضوان
القومية العربية (الطبعة الثانية) - دار الثقافة - القاهرة ١٩٦٥

٢ - د. أبو الفتوح رضوان
المدرس في المدرسة والمجتمع - دار الثقافة - القاهرة ١٩٦٥

٣ - د. أحمد شلبي
تاريخ التربية الاسلامية (الطبعة الثانية) - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٠

٤ - آدم كيرل
استراتيجية التعليم في المجتمعات النامية - ترجمة سامي الجمال - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة ١٩٧٧

٥ - الجمهورية العربية اليمنية - الجهاز المركزي للتخطيط - الخطة الخمسية الأولى ٧٦/١٩٧٧ ، ٨٠/١٩٨١ - الكتاب الثاني تحليل الوضع الراهن - صنعاء ١٩٧٦ .

٦ - اليونسكو - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - العدد الثامن والعشرون - القاهرة ١٩٧٧

٧ - اليونسكو - مستقبل التربية - العدد الأول - القاهرة ١٩٧٥

٨ - اليونسكو - مستقبل التربية - العدد الثاني - القاهرة ١٩٧٧

٩ - ج.ف - نيللر
الأصول الثقافية للتربية - ترجمة د. محمد منير مرسي واخرون - عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٢

١٠ - ج . ف - نيللر
في فلسفة التربية - ترجمة د. محمد منير مرسي واخرين - عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٢

١١ ـ ج· لو ، ن· جرانت ، ت·د· وليامز
التربية وبناء الأمة فى العالم الثالث ـ ترجمة عثمان نويه ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ القاهرة ١٩٧٧

١٢ ـ جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
تعليم الجماهير ـ القاهرة ـ سبتمبر ١٩٧٧

١٣ ـ جامعة الدول العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
تعليم الجماهير ـ القاهرة ـ سبتمبر ١٩٧٨

١٤ ـ د· جمـــال حمدان
افريقيا الجديدة ـ النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٦

١٥ ـ جورج كاونتس
التعليم فى الاتحاد السوفيتى ـ ترجمة محمد بدران ـ الانجـــلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٩

١٦ ـ جون د· هاتسون ، كول س · برمبك
التربية والتقدم الاجتماعى والاقتصادى للدول النامية ترجمة وتقديم د· محمد لبيب النجيحى ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة ١٩٧٦

١٧ـ جون ديوى
الخبرة والتربية ـترجمة محمد محمد رفعت رمضان وآخرين ـ الانجلو المصرية (بدون تاريخ)

١٨ ـ جون ديوى
الديموقراطية والتربية ـ ترجمة متى عقراوى ، زكريا ميخائيل ـ (الطبعة الثانية) مطبعـــة لجنـــة التأليف ـ القاهرة ١٩٥٤

١٩ ـ د· حامد عبد السلام زهران
علم النفس الاجتمـــاعى ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٢

٢٠ ـ د· حسين سليمان قورة
الأصول التربوية (الطبعة الثانية) ـ دار المعـــارف ـ القـاهرة ١٩٦٨

٢١ - د٠ جوسلين
المدرسة والمجتمع العصرى - ترجمة د٠ محمد قدرى لطفى وآخرين
عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٢

٢٢ - رينيه ٠ ف -
التعليم بالمراسلة - ترجمة أحمد محمود سليمان ، جورج أمين -
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة ١٩٧٥

٢٣ - د٠ زاهر رياض
استعمار افريقيا - الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٥

٢٤ - د٠ سعد مرسى أحمد
التربية والتقدم - عالم الكتب - القاهرة ١٩٧١

٢٥ - د٠ سعيد اسماعيل على
ديموقراطية التربية الاسلامية - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة
١٩٧٤

٢٦ - سفاسيلام تياجارجان
التعليم المبرمج - ترجمة د٠ فخر الدين القلا - المنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم - القاهرة ١٩٧٧

٢٧ - د٠ صادق سمعان
الفلسفة والتربية - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٢

٢٨ - صالح عبـــد العزيز
تطور النظرية التربوية - وزارة المعارف العمومية - المطبعة الاميرية
القاهرة ١٩٤٧

٢٩ - صبرى جريس
العرب فى اسرائيل - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحـاث
بيروت ١٩٦٧

٣٠ - د٠ عبد الرحمن زكى
- افريقيا الاسلامية (الجزء الثانى) النهضة المصرية - القاهرة١٩٥٨

٣١ - د. عبد العزيز القوصى
دراسة تحليلية عن التطور التربوى فى الاقطار العربية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة ١٩٧٧

٣٢ - د. عرفات عبد العزيز سليمان
اتجاهات التربية عبر العصور - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧.

٣٣ - د. عرفات عبد العزيز سليمان
استراتيجية الادارة فى التعليم - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٨.

٣٤ - د. عرفات عبد العزيز سليمان
الاتجاهات التربوية المعاصرة - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧

٣٥ - د. عرفات عبد العزيز سليمان
المعلم والتربية - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧

٣٦ - د. عز الدين فودة
خلاصة الفكر الاشتراكى - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٦٨

٣٧ - د . على عبد الواحد وافى وآخرون
أصول التربية ونظام التعليم - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٥

٣٨ - د. عمر محمد التومى الشيبانى
فلسفة التربية الاسلامية - الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان طرابلس - ليبيا ١٩٧٥

٣٩ - ف . كومبز
ازمة التعليم فى عالمنا المعاصر - ترجمة د. أحمد خيرى كاظم ، د. جابر عبد الحميد جابر - دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٧١

٤٠ - فردريك هاربيسون ، تشارلز مايرز
التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادى ترجمة د. ابراهيم حافظ - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦

٤١ - فريال محمد الصليلى
عرض للمشكلات الاجتماعية القائمة في اليمن - معهد التخطيط القومى - القاهرة ١٩٧٨

٤٢ - فتحى غيث
الاسلام والحبشة عبر التاريخ - النهضة المصرية - القاهرة (بدون تاريخ)

٤٣ - فتحية حسن سليمان
التربية عند اليونان والرومان - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٧

٤٤ - د. محمد الهادى عفيفى
التربية والتغير الثقافى - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٢

٤٥ - د. محمد الهادى عفيفى
فى أصول التربية (الأصول الثقافية) - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٤

٤٦ - محمد الهادى عفيفى
فى أصول التربية (الأصول الفلسفية) - الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٤

٤٧ - محمد عبد الفتاح ابو الفضل
الاستعمار الجديد والدول النامية - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية القاهرة ١٩٦٩

٤٨ - د. محمد عزت عبد الموجود وآخرون
أساسيات المنهج وتنظيماته - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٨

٤٩ - محمد عطية الابراشى
التربية الاسلامية وفلاسفتها (الطبعة الثانية) مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة ١٩٦٩

٥٠ - د. محمد فاضل الجمالى
آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية - الدار التونسية للنشر ١٩٦٨

٥١ ـ د· محمد قدرى لطفى
دراسات فى نظم التعليم ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ١٩٥٨

٥٢ ـ د· محمد لبيب النجيحى
الاسس الاجتماعية للتربية (الطبعة الرابعة) الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧١

٥٣ ـ د· محمد لبيب النجيحى
التربية ، اصولها ، ونظرياتها العلمية ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٤

٥٤ ـ د· محمد لبيب النجيحى
مقدمة فى فلسفة التربية (الطبعة الثانية) الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٧

٥٥ ـ د· محمد منير مرسى
الاتجاهات المعاصرة فى التربية المقارنة ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٤

٥٦ ـ د· منير بشور ، خالد مصطفى الشيخ يوسف
التعليم فى اسرائيل ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ مركز الابحاث ـ بيروت ١٩٦٩

٥٧ ـ نخبة من اساتذة التربية وعلم النفس
الكتاب السنوى للتربية وعلم النفس ـ المجلد الثالث ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٧٦

٥٨ ـ د· نعيمة محمد عيد
اللغات الاجنبية ـ دورها الثقافى فى المجتمع الجديد ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٥

٥٩ ـ نيقولاس هانز
التربية المقارنة ـ ترجمة يوسف ميخائيل ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٦

٦٠ ـ د٠ وهيب سمعان
التعليم فى الدول الاشتراكية ـ الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٢

٦١ ـ يوسف فهمى الجزايرلي
ارض البطولة (الجزائر) ـ الوكالة العربية للدعاية والنشر ـ الإسكندرية ١٩٦٤

ثانيا – بعض المراجع الاجنبية

1. ADAM, CURLE. **Educational Strategy for Development Societies** — Tavistock Publications Limited 1970.

2. B.O. SMITH et all — **Fundmentals of Curriculum Development.** N.Y. World Book Company, 1957.

3. BRUBACHER, J.S. **Modern Philosophies of Educati.n** — 3rd. Ed New York Mc Graw — Prentice Hall, Hill Book Company, Inc. 1962.

4. BRUNER, JEROME — S. **The Process of Education, Cambrage** University Press, 1961.

5. BUTTS, R.F. **Acultural History of Western Education, Its Social and Intellectual Foundations,** New York, Mc Graw-Hall, Book Company Inc., 1955.

6. CRARY, RYLAND, W. and LOUIS A. PETRONE, **Foundations of Modern Education,** N.Y. Alfred, A. Knopf, Inc., 1971.

8. DODD, P. and BARAKAT. H. **River Wilhout Bridges.** The Institute for Palestine Studies, Beirut, 1969.

9. DUPUIS, ADRIAN and ROBERT B, NORDBERG, **Philosophy and Education.** Milwaukes, The Bruce Publishing Company, 1958.

10. FREDERICK HARBISON and CHARLES A. MYERS. **Educational Manpower and Economic Growth.** Mc Graw-Hill Book, Company, New York, 1964.

11. GERMAN INISTITUTE FOR VOCATIONAL TRAINING. **Vocational Training in the Germann Democratic Republic,** (No date).

12. GOOD SELL, WILLYSTINE. **A History of Family as a Social and Educational Institution,** The MacMillan Company, New York, 1923.

13. GRANT. N. **Society Schools and Progress in Eastern Europe,** London, Pergamon Press, 1969.

14. GRANT. N. **Soviet Education,** University of London Press, 1965.

15. J. LOWE, N. GRANT and T. D. WILLIAMS. **Education and Nation Building in The Third World.** Scottish Academic Press, Edinburgh, 1971.

16. J.S. TRIMINGHAM, **Islam in Ethiopia,** London, 1952.

17. KILPATRICK, WILLIAM, HEARD, **Philosophy of Education,** New York. The MacMillan Company, 1951.

18. KNELLER, G. F. **Educational Anthropology, an Introduction,** John Welly and Sons Inc., New York, London, Sedney, 1965.

19. KNELLER, G.F. **Foundations of Education,** New York, Welley and Sons Inc. 1967.

20. KNELLER, G. F. **Introduction to the Philosophy of Education,** John Welly and Sons Inc. New York, London, Fifth Printing, 1967.

21. KURZWEIL, E. Z. **Modern Trends in Jewish Education,** New York Thomas Joseloff, 1964.

22. LIEBERMAN, MYRON, **The Future of Public Education** The University of Chicago Press, 1960.

23. ORGAN TROY, **The Philosophical Bases of Integration — The Integration of Educational Experience.** The Fifty-Seventh Yearbook of the National Society for the Study of Education, Chicago, 1958.

24. PHILIP. H. COOMBS. **The World Educational Crisis. (A System analysis)** Oxford University Press, 1968.

25. P. PHENIX, **Philosophy of Education,** Holt and Co. New York, 1958.

26. POUNDS, RALPH, L. and ROBERT L. GARRETSON, **Principles of Modern Education,** New York. The MacMillan Company, 1962.

27. READ, MARGARET. **Education and Social Change in Tropical Areas,** Thomas and Sons Ltd. Edinburgh, 1956.

28. RENEE. F. ERDOS. **Teaching By Correspondence** Unesco Source Books on Curricula and Methods No. 3, Unesco, 1967.

29. ROBINSON, S. B. **Problems of Education in Israel,** Comparative Education Review, Vol. 7 No. 2 Oct. 1963.

30. SIVASAILAM, THIAGARJAN, **Programmed Instruction for literacy Workers,** International Institute for adult, literacy, Methods, Tehran, 1976.

31. SMITH, WILLIAM A. **Ancient Education,** Philosophical library, New York, 1955.

32. SNELL, J. B. **Early Railways (Pleasures and Treasures)** Weidenfeld and Nicolson, London, 1967.

33. STAATSVERLAG DER. D.D.R. Education and **Training in the German Democratic Republic,** (Berlin, 1966).

34. STANNER, RUTH, **The Legal Basis of Education in Israel,** Jerusalem, 1963.

35. SUCHODOLSKI, BOGDAN, POLAND, **Astatment of aims and achievements, In King, E. J. Communist Education,** London, Methuen, 1963.

36. VAIZEY, JOHN, **The Economics of Education,** London, Faber and Faber, 1962.

مجموعة مختارة من المصطلحات التربوية

وما يقابلها باللغة الانجليزية

English	العربية
Alternatives	بديلات
Anthropology	علم السلالات البشرية وثقافة الجنس البشرى
Behaviour	سلوك
Civilization	حضارة ـ مدنية
Community	جماعة
Communism	شيوعية
Configuration	تشكيل
Culture	ثقافة
Cultural Convergence	تقارب ثقافى
Cultural diffusion	انتشار ثقافى
Cultural lag	تخلف ثقافى
Cultural Patterns	انماط ثقافية
Cultural Trait	سمة ثقافية
Dynamics	حركة ـ ديناميات
Economics	اقتصاديات
Education	تربية
Enculturation	تكيف ثقافى
Equilibrium	توازن
Experience	خبرة
Growth	نمو
Ideal	مثالية
Integration	تكامل
Interaction	تفاعل
Learning	تعلم

Manifest	واقعيــــة
Mass culture	ثقافة جماهيرية
Organic	نمــط
organization	تنظيم
Pattern	عضوى ، عضوية
Personality	شـــخصية
Planning	تخطيط
Qualities	صفات ـ سـمات
Reconstruction	تجـــديد
Social Change	تغير اجتماعى
Social Dynamics	ديناميات اجتماعية
Social lag	تخلف اجتماعى
Social Mobility	حـــراك اجتماعى
Social Stability	استقرار اجتماعى
Socialization	تطبيع اجتماعى
Society	مجتمـــع
Specialties	خصوصيات
Sub-Culture	ثقافة جانبية
Super-organic	فوق عضـوية
System	نظام ـ نسـق
Systematic	منظم ـ منسـق
Totalitarian Society	مجتمع جماعى
Universales	عموميـــات